جغرافيا مصر السياحية

الأستاذ الدكتور

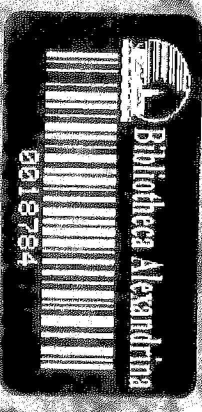
يسري الجوهري

نائب رئيس جامعة المنيا السابق

استاذ ورئيس قسم الجغرافيا

كلية الآداب - جامعة المنيا



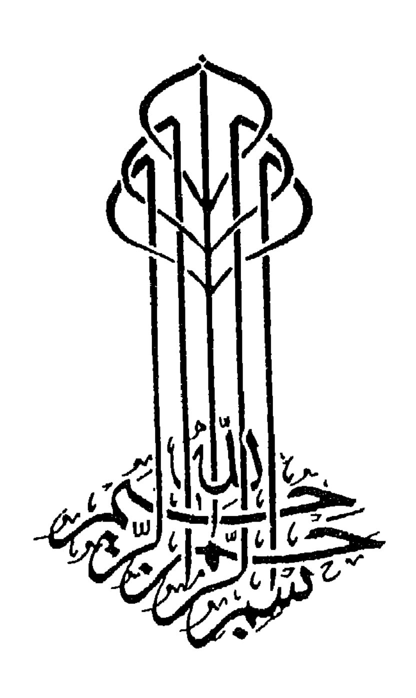


جغرافية مصر السياحية

الأستاذ الدكتور
يسرى الجوهرى
نائب رئيس جامعة المنيا السابق
أستاذ ورئيس قسم الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة المنيا

١٩٩٨

مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية
المنتزة - أبراج مصر للتعمير رقم ١٤ ☎ ٥٤٧٥٤٩١
المطابع : المعمورة البلد - بحرى ☎ ٥٦٠٠٤٧٩


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تكون مصر الجزء الأدنى من وادى النيل ، وهى بحكم موقعها الجغرافى كانت على صلة دائمة بالثقافات والحضارات المجاورة التى تأثرت بها وأثرت فيها على مر العصور. فمصر على اتصال دائم بالدول العربية المجاورة لحدودها الشمالية الشرقية، كما أنها على صلات وثيقة بشقيقتها الجنوبية السودان التى ترتبط بها بأكثر من رابطة، وتجمع بينها أكثر من وشيجة بفضل النيل الذى وحد بين شطرى الوادى شماله وجنوبه. كذلك فمصر على صلة دائمة بليبيا وبلاد المغرب العربى ، بل ان جزءا من تاريخها القديم مرتبط تمام الإرتباط ببعض الجماعات التى كانت تفد اليها من الصحراء الليبية.

وعلى الرغم من أن تاريخ مصر يدين بالكثير الى عهد الفراعنة ، الا ان مصر لم تلعب دورها الثقافى والتجارى الحقيقى الا منذ العهد الاغريقى الرومانى ففى هذا العصر استغل البطالسة موارد البلاد المحلية استغلالا اقتصاديا كاملا ، كما استغلوا الموقع الجغرافى لمصر ولا سيما بعد أن تم نشر الحضارة والمدنية الأغريقية حول حوض البحر المتوسط . وقد اتسع مجال الاتصالات المصرية حينئذ لدرجة أنه شمل كل حوض البحر المتوسط ومعظم بلدان الشرق الاوسط.

وفى العهد العربى حينما اكتسح العرب الحوض الشرقى والجنوبى للبحر المتوسط ـ الذى تحول بدوره الى بحيرة عربية ـ كانت مصر همزة الوصل بين شبه الجزيرة العربية قلب الإسلام وشمال افريقية من جهة ، واوروبا من جهة اخرى.

وفى الفترات الحديثة ظهرت اهمية مصر بوضوح بالنسبة للعالم الخارجى ولا سيما بعد أن حفرت قناة السويس وبعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو فى عام ١٩٥٢. تعتبر هذة الثورة نقطة تحول هامة فى تاريخ الشعب المصرى فمنها انطلق التغير الكمى والكيفى للهيكل الإقتصادى ، وقام مجتمع جديد يتميز بالطابع الديموقراطى ليحل محل المجتمع القديم الذى اتسم بالاقطاع والحزبية والفرقة ، وان شئت فبوجود النظم القبلية ايضا .

وقد بذلت ثورة ٢٣ يوليو جهودا فى المجالات التى حددتها الأيديولوجيات السياسية للثورة وكان من نتائجها أن بدأ مجتمع صناعى يسير جنب الى جنب مع المجتمع الزراعى الذى هو أساس وطابع المجتمع التقليدى فى مصر.

هذا التغير سوف يتلمسه القارئ بوضوح بين ثنايا هذا الكتاب الذى عالج أولا مصر الحضارة ، ثم تطرق بعد ذلك الى الأرض الطيبة لدرس الأرض والسكان لينتقل بعد ذلك لدراسة محافظة المنيا صفحة من الماضى وليختتم بمجموعة من الخرائط والصور للمدن الجديدة فى مصر.

والله الموفق

دكتور / يسرى الجوهرى

فهـــرس

الموضوع الأول

مصر الحضارة

المسرح الجغرافي لمصر القديمة :

البيئة المصرية ـ بيئة فياضـة معطاءة • قدمت لقاطنيها عبر الزمن امكانات الحياة المستقرة التى كان على الانسان القديم أن يدرك مزاياها ومكوناتها فى فترة كـان المسرح الجغرافى يتغير فيه تبعا لتغيرات مناخيـة وفيزيوجرافية سادت فى جميع أنحـاء العالم وذلك فى غضون عصر البلايستوسين •

فمصر كجزء من شمال افريقية شهدت ابان هذا العصر ـ وذلك تبعا للادلة التى أمكن جمعها من وادى النيـل ومنخفض الفيوم والواحات ذلك بالاضافة الى التى وجدت فى الصحراء الكبرى أدوارا مطيرة استمرت منذ اواخر الزمن الثالث وحتى نهاية الزمن الرابع أو عصر البلايستوسين •

وقد شملت هذه الادوار المطيرة فترتين رئيسيتين امتـدت الاولى لفترة طويلة من الزمن منذ نهاية عصر البلايوسين وحتى البلايستوسين الاسفل حيث اتسمت بتكوين مدرجات نهرية كبيرة وحفر الاودية فى الصخور التى تغطى سطح الصحراء • ولا تعرف تفاصيل كثيرة عن هذا الدور اللهم انه بداء باردا نوعا ما ثـم ارتفعت درجة الحرارة فى الجزء الاوسط اثناء حضارة شل ثم عاد الى البرودة النسبية فى أواخره •

وقد أعقب الدور المطير الاول فترة جفاف انقرض بمجيئها بعض الحيوانات وذلك اثناء الحضارة الاشولية • وقد كانت فترة الجفاف قصيرة الامد ولكن فاعليتها وتأثيرها كان عظيم الاثر على التجمعات البشرية والحياة النباتية والحيوانية فى المنـاطق التى سادت بها حيث تكونت الكثبان الرملية القديمة ، كما شهدت بعض المناطق ظهور البركانية •

وبعد ذلك جاء دور مطير ثان اتفق فى توقيته مع عصر البلايستوسين الاعلى ومع حضارة العصر الحجرى القديم الاوسط والاعلى اذ عاصر نهاية الحضارة الاشولية والحضارة الموستيرية • وقد شهدت الفترة المطيرة الثانية قمتين للمطر رغم انها اقصر عمرا من الفترة المطيرة الاولى وقد ارتبط بهذه الفترة هجرات حيوانية من القارة الاسيوية الى القارة الافريقية وذلك من خطوط العرض وليس عبرها الامر الذى يتخذه الباحثون للاشارة على ان متوسط درجه الحرارة فى الفترة المطيرة الثانية كانت معتدلا أو مائلا للبرودة لانها سمحت لهجرة الحيوانات الاسيوية من خطوط العرض الوسطى حيث عاش الخرتيت الموسكى فى ذلك الوقت فى شمال افريقية وقد جاء فى اعقاب الفترة المطيرة الثانية فترة جفاف ثانية وذلك مع نهاية عصر البلايستوسين غير ان حالة الجفاف قد تخللها فترة رطبة Wet Phase وذلك فى أثناء العصر الحجرى الحديث حيث تجددت الثروة الحيوانية الموجودة فى شمال افريقية وظهر لاول مرة الفيل الأفريقى الذى وجدت بقاياه مدفونه فى مراكش الى جانب فرس النهر والدب وظهر بعض انواع الجاموس والغزلان •

وقد امتازت الفترة الرطبة أو الفترة المطيرة الثالثة كما يطلق عليها البعض بارتفاع قليل فى درجة الحرارة وأستمرت لفترة قصيرة من الزمن حتى العصر التاريخى حيث بدأ يحل الجفاف التدريجى وأنتهى شمال افريقية الى الوضع الذى عليه الان •

وقد ترتب على فترة الجفاف الشديدة فى العصر الحجرى الحديث أن حاول كل من الانسان والحيوان ان يهاجر من الصحراء المكشوفة ليستقر فى الواحات وعلى حواف الاودية النهرية ثم بعد ذلك فى بطونها • وقد ادى ذلك الى اقتراب الحيوان من الانسان وبالتدريج بدء ان استقر الانسان الى جانب موارد المياه الدائمه

تعلم زراعة الحبوب وأستأنس الحيوان والارتباط بالارض وتشييد الاكواخ واقامة النوايات الاولى لحياة القرى •

واذا كان تاريخ هذا الاستقرار يختلف من مكان لاخر فى شمال افريقية الا انه بالنسبة لمصر حدثت فى أواخر الالف السادسة ق•م• حيث تمكن الانسان من زراعة القمح فى مصر حينئذ واصبحت الزراعة معروفة فى وادى النيل الادنى • هذا وقد بدأت مرحلة العصر الحجرى الحديث الرطبة فى نتصف الالف السادسة ق•م • واستمرت بعد ذلك لمدة ثلاث الاف علم أخرى الى أن بدأ الجفاف التدريجى الذى حدث فى الفترات الحديثة •

ولعل دراسة المدرجات النهرية على جوانب النيل تمثل أهمية كبرى بالنسبة لدراسة اصول الحضارة المصرية القديمة اذ عن طريق دراسة الادلة المادية والنباتية والحيوانية التى عثر عليهافيها يمكن ان تعرف الفترة الزمنية التى كان يعيش فيها الانسان وذلك الى جانب العصر الحضارى سواء كان العصر الحجرى القديم أو الاوسط أو غير ذلك لان الانسان كان يترك أثاره على المدرجات وهو يعيش على ضفاف النهر فاذا ما حدث وعمق النهر مجراه وتكون مدرج آخر هبط الانسان معه وتركه • وهكذا تتوالى الاثار البشرية على ضفاف النهر •

أما من حيث التعرف على فترات الجفاف والمطر فتدرس الرواسب والصخور المكونة لهذا المدرج فاذا ما وجدت تكوينات البرشيا أو التكوينات الرملية فهذا دليل على حدوث فترات جفاف أما اذا ما وجدت تكوينات رسوبية فهذا دليل على حدوث فترات مطيرة — وفى مصر قد يكون من العسير ان تعتمد على المدرجات النهرية وحدها فى معرفة المناخ وذلك لان الاودية الجافة التى

تصب فى نهر النيل الان كانت تملأ بالمياه فى فصول معينة ومن ثم كانت مياهها تجرف أمامها وهى فى طريقها الى النهر ما عسى ان يكون قد تكون من تكوينات البرشيا أو التكوينات الهوائية ثم تعيد ارسابها على شكل رواسب نهرية فلا يمكن ان يستدل منها على المناخ أى أن هذه المياة الجارية تفسد هذا النوع من الادلة التى تشير الى ذبذبة المناخ •

والمدرجات النهرية على جانبى وادى النيل قد ازالت عوامل التعرية اجزاء منها أو بعضها من آن لاخر كذلك قد هدمت هذه المدرجات وسويت بالإراضى الزراعية فى الجهات التى شيد عليها الانسان معالمه الحضارية • والمدرجات على جانبى نهر النيل ارتبط تكوينها باختلاف مستوى انصباب النهر فحينما يكون مستوى البحر منخفضا لابد للنهر ان يقطع مسافة اطول ليصل الى المستوى الجديد فى هذه الحالة تنشط عمليات النحات حيث يعمق النهر مجراه ومن ثم يترك على جانبيه مدرجات نهرية •

وأما حين يرتفع مستوى البحر ــ الذى يرتبط بالتغيرات المناخية ــ فيطغى الماء على الجزء الادنى من المجرى فيغرق المجرى القديم وبذلك يصبح جزء من المجرى على هيئة خليج بحرى ، وفى هذه الحالة تنشط عمليات الارساب ثم تتكرر الدورة ويبدأ مستوى البحر فى الانخفاض ويعمل النهر على النحت فتتكون المصاطب النهرية

وقد أمكن حصر ودراسة المدرجات التى نشأت على جانبى النيل حيث وجد ما يقرب من عشرة مدرجات البعض منها يقع على مستوى مرتفع والبعض الاخر على مستوى منخفض • وتقع أعلى مدرجات نهر النيل على ارتفاع ٢٤٠ ، ٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ٩٠ ، ٦٠ ، ٤٥ مترا فوق مستوى الفيضان الحالى ، ومعنى ذلك ان مجرى نهر النيل كان فى وقتماأثناء عصر البلايستوسين أعلى من مستواه الحالى بمقدار ارتفاع المدرجات

السابقة ، وانه كون مدرجاته وانخفض الى مستواه الحالى تدريجيا بعد أن اخذ مستوى الانصباب فى الهبوط •

هذا ولم يعثر فى المدرجات المرتفعة على جانبى النيل على الات حجرية من مخلفات الانسان فى عصر ما قبل التاريخ اذ يعتقد بعض الباحثين ولاسيما ساند فورد واركل ان هذا المدرجات تكونت فى أواخر البلايوسين واوائل البلايستوسيين حيث عاصرت اقدم مراحل التعرية والارساب • أما المدرجات التى تقع على ارتفاع ٣٠ متر. و ١٥ مترا وهى المدرجات الوسطى فيمكن تتبعها فى منطقة النوبة ومصر العليا وهى ترجع الى اوائل العصر الحجرى القديم اذ عثر فى مدرج ٣٠متر على الات شيلية بينما وجدت الات أشوليه على مدرج ١٥ مترا •

أن المدرجات التى تقع على ارتفاع ٩ ، ٣ أمتار فيمكن تتبعها من اسوان الى اسيوط أما بعد ذلك فقد حطمت المدرجات بواسطة عوامل التعرية والنحت • وقد وجد فى مدرج ٩ أمتار الات ترجع الى اوائل العصر المستيرى فى حين أرجع الالات التى وجدت فى مدرج ٣ الى أواخر العصر نفسه وبعد ذلك تدخل مصر فى العصر الحجرى القديم الاعلى • وفى هذاا لعصر بدأ تركيز اقليمى للانسان والحياة الحيوانية والنباتية معا فى قاع وادى النيل وعلى جوانبه حيث اقتصر مجال تنقل الانسان فى مصر بالقرب من النهر • ونظرا لان الانسان كان يسكن فى الصحراء فى مراحل الحضارة الاولى فى العصر الحجرى القديم بسبب كثرة الامطار كان من الطبيعى ان نجد اثار هذا الانسان على سطح الهضبتين الشرقية والغربية • أما المواقع المتعلقة بحضارة العصر الحجرى القديم الاعلى فقد اخذت تتركز فى الجهات التى يتوفر فيها الماء نظرا

لازدياد الجفاف وأنتشار الاحوال الصحراوية خلال تلك المرحلة الحضارية .

ثم ندخل فى حضارة العصر الحجرى المتوسط التى توجد بعض اثارها على المدرجات النهرية والتى تمثلت فى الحضارة السيبلية التى انحدرت من الحضارة الليفالوازية حيث صنعت الالات فى المراحل الاولى من تكوينها - من شظايا ليفالوازية حجرية ذات حافات مشظية.ويلاحظ ان حضارة مصر فىعصر ما قبلالتاريخوحتى العصر الحجرى القديم الاعلى لا تختلف كثيرا عن حضارات العصر الحجرى القديم فى شمال افريقية غير ان الحضارة المصرية امتازت بأنها كانت ملتقى الحضارت القادمة من جنوب غرب اسيا الى شمال افريقية أو الذاهبة من شمال افريقية الى الشرق .

أما عن حضارة العصر الحجرى الحديث فلديها بعض الاثار على المدرجات النهرية رغم ان تمثيل هذه الحضارة يظهر بوضوح فى منخفض الفيوم والواحه الخارجه . وربما قد تشير هذه النقطة الى ان وادى النيل نفسه لم يكن بيئة جذابه ليسكنها الانسان فى العصر الحجرى الحديث لان وادى النيل نفسه كان كثير المستنقعات والاعشاب علاوة على ان النهر لم يتمكن بعد من ان يتم حفر مجراه فى نفس الوقت لم تكن الصحراء المتاخمة له انذاك من الجفاف بحيث تدفع الانسان الى الهبوط الى المجرى وهذا أمر طبيعى اذ لم يكن هناك داعى لان يجبر الانسان على العيش فى وسط المستنقعات فى نفس الوقت الذى وجد امامه فرصة الاختيار للعيش فى مناطق واسعة تسقط عليها كمية من الامطار كافية لقيام حياة نباتية وحيوانية يعيش عليها .

حقيقة مع نهاية العصر الحجرى الحديث حين اتجه المناخ

نحو الجفاف التدريجي أضطر الانسان الى ان يهبط الى جانب النهر، وانه فى أثناء هبوطه كان شديد التردد بدليل انه اكتفى بالسكن على حافتى الهضبة على مسافة كافية من وادى النهر وفى نفس الوقت بعيدا عن غائلة الفيضان،وانه لم يستقر بجانب النهر الا حينما أصبح قادرا على ضبط مجرى النهر وبعد أن شيد محلاته العمرانية فوق أكوام من الحجارة والطوب لكى لا تغرق • وهذه مرحلة متقدمة عن الحضارة تقودنا الى عصر ما قبل الاسرات أو الى فجر الحضارة المصرية القديمة •

وقد تقودنا فكرة الاستقرار المتدرج فى وادى النيل الى اقليم منخفض الفيوم الذى مثل فى تاريخ الاستقرار نقطة سابقة لتاريخ الاستقرار فى الوادى ومنخفض الفيوم اذا كان ينفصل عن وادى النيل بواسطة حافة الهضبة الغربية الا انه يحتل موقفا ليسمح لمياة النيل ان تغرقه فى الفترة التى كان مستوى النهر فيها اعلى من مستواه الحالى ولاسيما عن طريق بحر يوسف الذى يعتقد انه فرعا قديما من النيل شق طريقه على الحافة الصخرية الى المنخفض وذلك فى بداية عصر البلايستوسين الاعلى وذلك بعد أن اختفت الفؤوس اليدوية من الحضارات المحلية التى عمرت فى الفيوم •

منذ ذلك التاريخ يبدو ان مستوى بحيرة قارون التى توجد فى المنخفض قد أخذ يتحدد من جهة عن طريق المياة المتدفقة اليه من النهر ومن جهة أخرى عن طريق الامطار الساقطة فوق المنخفض • وهكذا نجد ان مستوى البحيرة قد ارتفع الى حوالى ١١٢ ــ ١١٣ قدما فوق سطح البحر ثم اخذ فى الانخفاض التدريجي بعد ذلك الى ان وصل فى اثناء العصر الحجرى القديم الاوسط الى حوالى ٧٥ قدما • وهذا الانخفاض وتبعا للدراسات الجولوجية التى تمت

فى اقليم الفيوم تتفق مع عصر البلايستوسين الاعلى •ويبدو ان المستويات العليا الاولى التى حدثتفى العصر الحجرى القديم الاوسط كانت ترجع اساسا الى طغيان أو فيضان نهر النيل على المنخفض أما فى أثناء الفترة التى انخفض فيها مستوى البحيرة من ٧٥ الى ٥٧ قدما وحيث وجدت محلات العصر الحجرى الحديث فى الفترة التى انحسر فيها الانخفاض من ٥٩ ـ ٥٧ قدما • فقد كانت الظروف المتاحة السائدة هى الظروف الصحراوية وذلك تبعا للادلة الجيولوجية التى عثر عليها •

وقد ارجع ذلك الى انخفاض مستوى نهر النيل وعودة المياه البحيرة اليه أو الى زيادة كمية البخر خلال فترة اشتد فيها الجفاف •

وقد ربطت كاتون تمسون بين الصناعات الحجرية القديمة وبين اماكن تواجدها على مستويات بحيرة قاروق وذلك بقصد ايجاد تصور لتتابع الاستقرار على شواطىء البحيرة • وقد توصلت الى انه فى خلال العصر الحجرى القديم كانت توجد بحيرة كبيرة تملاء المنخفض على ارتفاع ٤٠ مترا فوق مستوى البحر ثم اخذت هذه البحيرة منذ ذلك التاريخ فى الانكماش بسبب تغير الاحوال المناخية • ومع اوائل العصر الحجرى الحديث استطاع النيل ان يعبر فتحة اللاهون ويغمر المنخفض مكونا بحيرة ارتفاعها ١٨ مترا فوق سطح البحر ولكن مالبثت فتحة الهوارة أن امتلات بالرواسب النهرية فانقطعت موارد مياة النهر وترك معين البحيرة للعوامل المناخية تقرر وحدها مصيرها ولما أخذ الدور المطير فى العصر الحجرى الحديث فى النضوب ثم الجفاف أخذت البحيرة فى التقلص تدريجيا فوصلت الى مستوى ١٠ أمتار واستمرت فترة طويلة من الزمن الى ان هبطت فى

الالف الخامسة ق٠م من ١٠ الى ١٤ امتار فى اثناء حضارة فيوم (أ) ثم الى ـ ٢ متر فى فترة فيوم (ب) (٤٥٠٠ ق٠م) ٠

ويبدو ان سكان الفيوم (ب) لم يستطيعوا الاستمرار فى الزراعة عندما حل الجفاف اذ اصبحت حياتهم نصف زراعية رعوية واعتمدوا فوق ذلك على صيد الاسماك ، ولكن لما زاد الجفاف اضطروا الى الهجرة خارجها ولم يعودوا اليها الا فى حوالى الاسرة الرابعة مع ادخال اساليب الرى الحديث اليها ٠

واذا كان منخفض الفيوم والواحة الخارجة من العلامات المميزة فى المسرح الجغرافى القديم لمصر وللمصريين فان الصحراء الشرقية كجزء متمم للصحراء الليبية قد خضعت لنفس الظروف المناخية التى مرت بها الصحراء الكبرى ومن ثم كانت الاودية العميقة الجيدة الصرف التى تقطع مرتفعات البحر الاحمر وتنساب فى هذه الاراضى جنوب النيل من اهم معالمها فى الزمن الرابع وما يترتب على ذلك من سهولة الحصول على المياة الباطنية عن طريق حفر الابار بعد ان صار المناخ نحو الجفاف التدريجى ٠ وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان الاراضى التى تقع شرقى النيل كانت بعيدا على ان يكون حاجزا منيعا امام الجماعات البشرية فى الاجزاء الشرقية من الصحراء الليبية فى جميع العصر بل كانت بمثابة معبر لتقاليد الصحراء التى وصلت الى وسط افريقية من البحر المتوسط وايضا الى هضبة الحجار وتبستى ٠

الاستثمار الزراعى بداية لعصر المعدن فى مصر :

من المعروف أن الزراعة التى ارتبط معرفتها بالعصر الحجرى الحديث كانت احدى السبل التى لجأ الانسان اليها فى الواحات

لينفذ نفسه من الجفاف الشديد الذى ساد الاقليم الصحراوى فى أواخر عصر البلاستوسين ودفع الانسان والحيوان الى ان يشتركا سويا فى المعيشة المتجاورة واذا كانت مصر تمثل الجزء الادنى من واحة مستطيلة عمودها الفقرى نهر النيل الذى يجرى فى وسط الصحراء فانه مع ظهور الجفاف لجأ الانسان الى هذا الوادى رغم حالته البرية التى كان بمستنقعاته المليئة بالمياة واقتصاده البرى عيدان البوص والبردى تكون بيئة ملاءمة لتجول الحيوانات البرية المختلفة : وكان على الانسان المصرى القديم أن يبدأ معركة حياته من البيئة ليغير من ماهيتها غير المستأنسة فيهىء مجرى النيل ويخفف المستنقعات ويقضى على الحيوانات المفترسة ليعد الارض للزراعة وعمل الحياض ثم ليقيم القرى فوق اكوام صناعية حتى لا يطفى الفيضان كل عام على هذه القرى •

وبداية العصر الحجرى الحديث غير معروف فى مصر وغير ان الاستاذ فلندر بترى ينوة فى كتاباته على ان حضارة العصر الحجرى الحديث فى مصر قد وفدت من أسيا الصغرى • ورغم رفض الباحثين لهذا الرأى الا انه لا يوجد اساس ثابت يبنى عليه هذا الاسنبعاد فالحقيقة الاثرية أنه كان هناك اتصا ل حضارى بين مصر وآسيا الصغرى وأن كل من الحضــارة المصرية والحضـــارة الاسيوية فى الاناضول قد تأثر بالاخر •

على أى حال تقسيم الحضارات المصرية الى قسمين حضارات تنتمى الى العصر الحجرى الحديث والاخرى تنتمى الى بدء عصر المعدن الذى عاصر فترات قبل الاســرات Pre Dynastic وقبيـــل الاسرات Proto Dynastic والاسرات Dynastic ونظرا لان صناعة الفخار — كدعامة من دعامات العصر الحجرى الحديث فى محلات

الشرق الاوسط — فقد استخدم السير فلندر بترى طريقة التوقيت المتتابع Consquence Dating فى توقيت حضارة مصر فى عصر ما قبل التاريخ •

افترض بترى مقدما ان الاوانى الفخارية البسيطة أقدم من الاوانى الفخارية المعقدة وقام بعد ذلك بتقسيم الفخار الى أقسام تبعا للتطور صناعة المقابض احيانا أو تبعا للون ودرجة الصقل احيانا اخرى • وقد اعطى بترى اقدم الاوانى الفخارية رقم ٣٠ والاحداث منها ارقاما حتى رقم ٨٠ وهذا الارقام لا تشير الى تواريخ محددة أو معينة بقدر ما تشير الى التطور الهيركراكى لصناعة الفخار أما سبب تركه للارقام التى تقع تحت ٣٠ فلعل الباحث يعثر على اثار اقدم فيستطيع ان يعطيها رقم قبل ٣٠ •

وقد وجد فى مصر احدى عشر محطة حضارية ينتمى منها خمس محلات الى العصر الحجرى الحديث وست الى عصر ما قبل الاسرات ففى الوجه القبلى وجدت خمس محطات حضارية مرتبة تبعا لقدمها على النحو التالى ديرتاسا ، البدارى ، العمره ، جرزه والسمانية حيث تتبع الحضارتان الاوليتان العصر الحجرى الحديث فى حين تمثل الحضارات الباقية عصر ما قبل الاسرات • أما فى مصر الوسطى فتوجد حضارتان للفيوم توضع الاولى منهما فى العصر الحجرى بينما توضع حضارة الفيوم (ب) فى عصر ما قبل الاسرات •

أما حضارات الوجه البحرى الممثلة تبعا لقدمها فى حلوان الاولى ، ومرمدة بنى سلامة وحلوان الثانية والمعادى فحص العصر الحجرى منها حضارة حلوان الاولى ومرمده بنى سلامه فى حين تقع الحضارتان الاخريتان ضمن حضارات عصر ما قبل الاسرات •

ولا يعنى قلة الاثار فى الدلتا عن الصعيد انى ان المنطقة الاولى أقل حضارة من الثانية اذ ان الدلتا كانت مركزا لحضارات قديمة ارتبطت بحضارات جنوب غرب اسيا غير انه بسبب طبيعة الدلتا الطمية وبسبب زيادة رطوبة الارض فقد اندثرت معظم آثارها • أما معظم محلات الصعيد فقد كانت على حافة الوادى وفى هذا دلاله على ان الانسان فى المراحل الاولى من هبوطة من الهضـــبة الى الوادى كان يراعى فى تشيد اماكن اقامته فى المنطقة التى لا يغمرها الفيضان • غير انه بعد ان تعلم كيف يستأنس مجرى نهر النيـــل ومن ان تقدم فى الحضارة تمكن ان يبنى القرى فوق أكوام ترتفع فوق مستوى الفيضان وبالتدريج هبط المصرى القديم للسكنى الى جوار النهر •

ويمكن تقسيم حضارة العصر الحجرى فى مصر منذ بدايتها فى الالف السادسة أو الخامسة ق•م الى نوعين احدهما فى مصر العليا والاخر فى مصر السفلى ، ولكن ليس معنى ذلك ان حضـــارة الصعيد كانت مختلفةتماما عنالحضارة الدلتا اذ وجدتصفاتمشتركة كثيرة بينها ، ليس فقط من نحية طرق الحياة العامـــة الممثلة فى الاكتفاء الذاتى لمجتمعات الفلاحين الذين مارسوا الزراعة المختلفة ولكن ايضا فى الاتجاهات الحضارية •

وتعتبر حضرة ديرتاسا بالوجه القبلى اقدم حضارة حجرية حديثة عرفت حتى الان فى مصر حيث يمكن ان تتبع منذ بدايتها وبدون انقطاع نحو الحضارة المصرية حتى بداية عصر الاسرات •

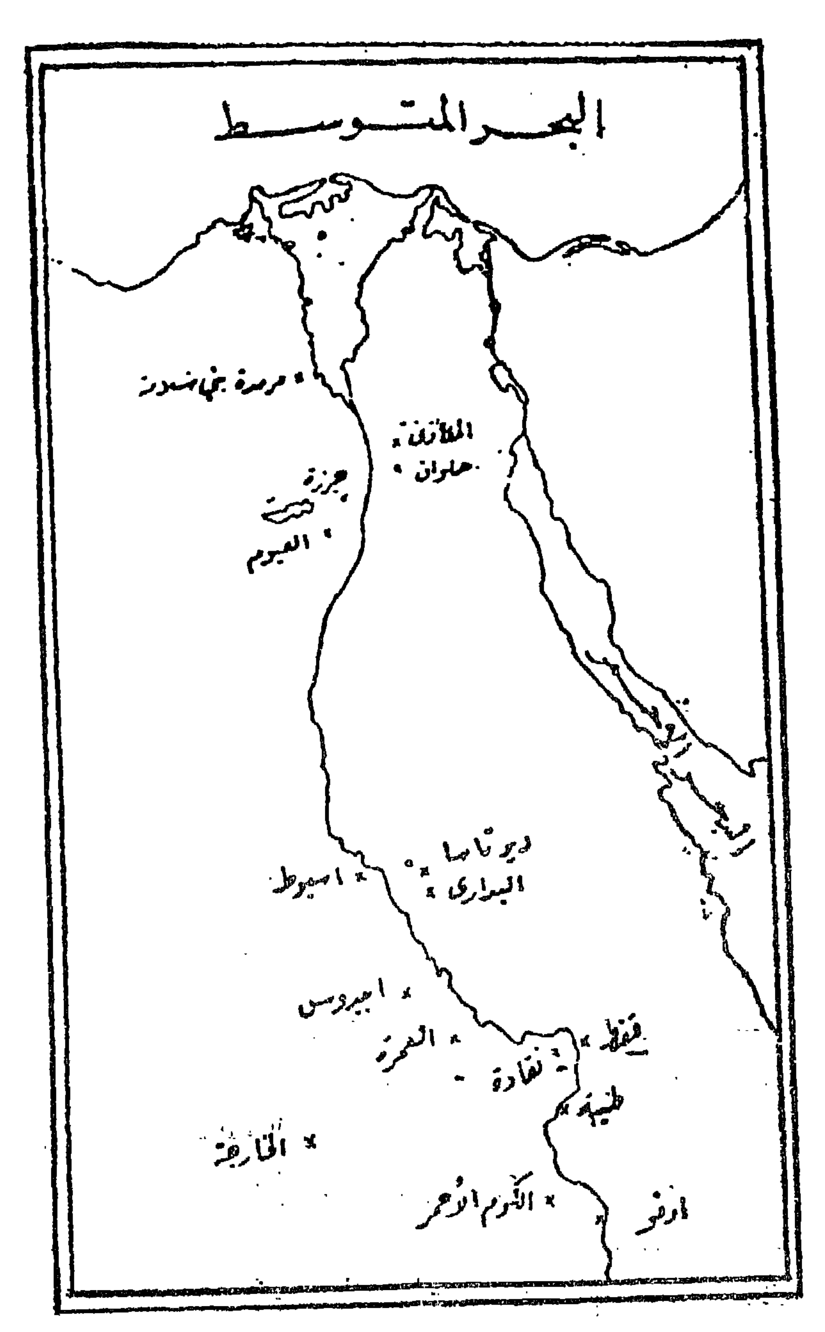
وقد عرفت المعسكرات التى نشأت على الحافات الصخرية عند ديرتاسا حيث اعتبرت من اقدم المحلات العمرانية التى أنشـــائها الجماعات الزراعيـــة فى مصر • ومن المؤكد ان هذه الجمـــاعات كانت بدائية رغم انهم زرعوا القمح من نوع ايمر emmer

وكذلك الشعير وطحنوا غلالها فى رحى كبيرة وكانت لديهم قطعان من الماشية والاغنام •

ويعتقد بعض الباحثين ان حياة سكان ديرتاسا ربما كانت تشبه حياة جماعات الهندوة الذين كانوا حتى وقت قريب رعاة بالصحراء الشرقية ولكن انشاؤا لهم حديثا قرى ثابته بالقرب من النيل الازرق يعودون اليها بانتظام لزراعة المحاصيل بعد الفيضان السنوى • وسواء كانت معسكرات ديرتاسا قرى حديثة من هذا النوع أو لم تكن فلابد ان نتذكر انهم لا يعطوا صورة كاملة عن الحياة الزراعية الاولى بالنيل وقد اشتغل التاسيون الى جانب الزراعة لصناعة الفخار وصيد الاسماك وطيور الماء وحيوانات المستنقعات ذلك بالاضافة الى رعى الماعز فوق الاراضى الفيضية المنتشرة •

أما عن موتاهم وضعوهم منحنين أو فى وضع القرفساء ولفوهم بالجلود ودفنوهم فى اكفان من القش ، وهله المقابر القليلة المتناثرة تكفى للاشارة الى ان هذه الجماعات كانت صغيرة العدد ومستنقله •

أما عن حضارة البدارى فربما كانت متطورة عن ديرتاسا غير ان نطاق معرفتهم كان اوسع حيث امتدت من البدارى نفسها جنوبا الى ان وصلت الى ارمنت كما وجدت فى وادى الحمامات • وقد كان البداريون على التقلض من سابقيهم رعاة ماشية رغم انهم زرعوا القمح والشعير ونظرا لوفرة الصيد على الهضبة وكذلك فى روافد الأودية فقد خرج البداريون للصيد بالقوس والسهام • ولكن فى صيد الاسماك استخدموا سنانير من الاصداف اخذوها عن اصحاب حضارة ديرتاسا •



شكل ٣٦ ـ مواقع الحضارة المصرية القديمة

وبالنسبة لاكواخ البدارى فقد كانت عبارة عن مأوى بسيط من الحصير • غير ان البدارين كانوا صانعى فخار من الدرجة الاولى امتازوا بالمهارة والدقة فصنعوا فخارا رقيقا ذات لون بنى أو أحمر ، كما استخدموا البازلت فى صناعة بعض القدر الى جانب العاج الذى استخدم فى صناعة بعض الادوات المنزلية ونظرا لان قطعان الفيلة كانت ما تزال تعيش على الهضبة فقد قدمت المادة الخام اللازمة لصناعة الخرز العاجى والدبابيس وغيرها من أدوات الزينة كصنع الامشاط التى تتزين بها النساء •

ويبدو ان سكان البدارى كانوا يعيشون فوق مستوى الكفاف الى حد ما مع وجود مواد خام استخدموها فى تجميل انفسهم وممتلكاتهم • ويظهر هذا بوضوح فى مقدرتهم على الاحتفاظ بقليل من التجارة فى سلع الترف حيث احضروا الدهنج لكحل العين من شبة جزيرة سيناء أو من النوبة كما احضروا الاصداف من البحر الاحمر والاحجار النصف قيمة الفيروز وخشب الارز والصنوبر من سوريا •

وقد استخدم البداريون قوارب صغيرة فى الملاحة النهرية ويبدو انهم صنعوا هذه القوارب استنادا لوجود نماذج فخارية لديهم من هذه القوارب •

وعلى الرغم من ان جبانات البدارى كانت صغيرة الا انها كانت من الكبر بحيث تشير الى عدد أكبر من سكان ديرتاسا •وقد وضع الموتى فى لمقابر على هيئة القرفصاء ولفوا بالجلود كمافعل اهلتاسا ووضع معهم اوانى مملؤة بالطعام والشراب

واذا كانت حضارة البدارى قد اظهرت اقتصادا ماديا سمح

بصناعة ادوات الترف واستيراد المواد الخام العالية ، فحضارة العمره التى تبدو وكأنها انحدرت مباشرة منها تقترب كثيرا عن بدأية الحضارة أو لحضارة أخرى تعاصر نهاية العصر الحجرى الحديث •

والاسس الاقتصادية لحضارة العمرة كانت أكثرة قوة من الحضارات السابقة اذ أن العمريين لابد وانهم بدأوا زراعة منظمة فى السهل الفيضى للنيل رغم أنه لا يوجد دليل حتى الان للرى الصناعى فقد ربوا الماشية والاغنام والخنازير كما استأنسوا الحمار كحيوان لحمل الاثقال ذلك بالاضافة الى انهم عرفوا لصق اوراق البردى جنبا الى جنب مع صناعة القوارب التى تذكرنا بتلك التى استخدمت فى النقل منذ العصر الفرعونى وحتى وقت قريب •

ورغم أن الصيد استمر يساهم فى زيادة سكان العمرة بقسط كبير الا ان الاساس الزراعى لاقتصادهم ادى الى زيادة سكان العمرة فاستقروا فى القرى بصفة دائمة كما يبدو فى المقابر التى يصل عددها الى ٢٠٠ مقرة والتى تشير الى استخدمها جيل بعد جيل•

وقد تمكن سكان العمرة من تطوير الحرف التى كانت لدى اسلافهم سكان البدارى ولم يشذ عن ذلك صناعة الاوانى التى اتصفت برداءة صناعة فوهاتها السوداء • وفى هذه الحضارة وصلت صناعة الشظايا الصوانية المضغوطة الى درجة عالية من الاتقان من حيث الفن والشكل ذلك الى جانب انهم استخدموا الانوال الرأسية فى صناعة النسيج ، كما أضافوا فى هذه المرحلة الذهب الى جملة المواد الغالية المستوردة للزينة ، واستخدموا النحاس المحلى فى صناعة الدبابيس ورؤوس السنانير •

ويدبو ان العمريين — كما تشير الى ذلك اشكال اوانيهم

أما عن الموتى فقد دفنوا بين الاكواخ ووضعوا القرفصاء وفى العادة كانوا يوجهون نحو الشرق حيث يوضع معهم طعام أو أى اثاث جنائزى آخر •

عصر المعدن فى مصر :

قدمت الطبيعة فى وادى النيل الامكانيات اللازمة من تربة خصبة ومورد مائى متجدد لقيام حضارة راقية ومن ثم لم يكن امام سكان وادى النيل الاول سوى ان يبذروا حبوبهم على جانبى النهر بعد انحسار مياه الفيضان ثم ينظروا بعد ذلك نمو ونبخ المحصول • ونظرا لخصوبة تربة الوادى فكان المحصول الواحد يفى بالحاجة • ومعنى ذلك ان كل قرية كانت مكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية وكان لديها الايدى العاملة اللازمة لانتاج فائض عن الطعام وبالتالى كان هناك وقت فراغ سمح بظهور تخصص حرفى•

ولابد وان الرغبة فى تبادل المنتجات دفعت الى وجود سوق يتبادل فيه سكان القرى المختلفة منتجاتهم الامر الذى ادى فيما بعد الى نمو مدن الاسواق التى تضمن وجودها قيام سلطة ولكن رغم ذلك فظلت القرية مكتفية ذاتيا • وبصفة عامة ظلت مصر فى عصر ما قبل الاسرات ارض المجتمعات القروية حيث كانت كل جماعة منها تختص بزراعة حقولها بمجهوداتها الخاصة •

ومن المحتمل ايضا ان بعض المراكز الدينية التى كان يتجه اليها القرويون الى عبادة آلهاتها كانت بمثابة مراكز للخدمات تجذب اليها سكان القرى المجاورة ، ومن ثم فقد قسمت مصر فى هذه الفترة الى مجموعات كبرى أو مقاطعات ، ولكن هذه المقاطعات رغم انها كانت تلعب دورا قياديا هاما ايام الازمات الاقتصادية [illegible] لم تنمو لتصبح عواصم سياسية • ولذلك فمن الاوفق أن نذكر انه لم توجد

فى مصر مدن فى فترة ما قبل الاسرات ، ولكن مع توحيد مصر ازدهر نظام الرى وبنيت المقاييس المختلفة على النيل لتكون نقط لمراقبة فيضان النهر ، وفرض على الفلاحين العمل فى حفر القنوات للاستفادة من رى الاراضى المرتفعة البعيدة عن مياة الفيضان • وهكذا ظلت مصر بلد القرى الزراعية ومدن الاسواق ونظرا لان الاراضى الخصبة التى كونها النيل على جانبيه كانت عظيمة الاتساع لذلك بدأت الهجرات البشرية تتسرب من الدول المجاورة لاراضى مصر . وفد الليبيون من الشمال الشرقى وجاء الساميون من الشرق• دوقم النوبيون والينا الليبيون من الجنوب والجنوب الربى •

وبعبارة أخرى تعرضت مصر مع بداية التاريخ لهجرات بشرية مختلفة هدأت أحيانا وزاد تدفقها فى الاحيان الاخرى • وقد انتشر خليط السكان على طول وادى النيل غير انهم تركزوا فى منطقتين منفصلتين احدهما فى جنوب اسيوط والاخرى فى الفيوم ومن ثم كان التميز بين مصر العليا ومصر السفلى •

وفى النصف الثانى من الالاف الرابعة ق•م • وفد الى مصر موجه جديدة من الهجرات السابقة القادمة من آسيا وحملت معها حضارة أرقى من تلك التى وجدت فى مصر ثم استقرت بعد ذلك فى مصر السفلى • ومع نهاية الالف الرابعة ق•م • ذابت الفوارق الجنسية التى كانت تميز الجماعات الوافدة المختلفة نتيجة للاختلاط والتزواج حيث تشاهد ان جماجم نقادة ليست بسامية أو ليبية بل هى مصرية • واذا كانت بعض الاوانى الفخارية تشبة تلك التى مازال يصنعها بعض القبائل الموجودة فى شمال افريقية الا ان لغة السكان ولا سيما فى كلماتها تحمل عناصر سامية مختلفة بعناصر حامية وطنية .• وربما المرجع الاساسى لهذا التزاوج والتوالد هو

الحجرية ولوحاتهم — بدأوا يظهرون الروح الحضارية الجامعة التى ميزت التاريخ الطويل للحضارة المصرية•وتظهر هذهالروح بوضوح فى عادات الدفن وغيرها من المواسم الدينية • على اى حال فالمصريين مازالوا اساسا جماعات من فلاحى العصر الحجرى الحديث يعيشون فى قرى كبيرة وغاية ما فى الامر انهم يمثلون نهاية طريقة العصر الحجرى الحديث فى مصر •

أما فى مصر الوسطى فقد وجدت حضارة فيوم (أ) التى تعود بتاريخها الى الالف الخامسة ق•م • وقد تكونت محلات العصر الحجرى الحديث بالفيوم من اكواخ بسيطة بدليل عدم وجود كثير من البقايا اللهم بعض المواقد وحفر مبطنة بالحصير لتخزين الحبوب ومنذ البداية عرف فلاحو الفيوم الحضارة الكاملة للعصر الحجرى الحديث فزرعوا القمح من نوع ايمر وكذلك الشعير وأستأنسوا الماشية والاغنام والماعز والخنازير ، كما زرعوا الكتان ونسجوا منه الاقمشة ذلك بالاضافة الى صناعة الفخار غير المزخرف والسلال الدائرية الجيدة الصنع • أما المناجل التى استخدموها فى حصد محاصيلهم فكان مستقيمه تنتهى باسنان صوانية وتشبه تماما تلك التى وجدت فى الحضارة الناطوفية فيما عدا اليد فكانت مصنوعة من الخشب •

وتدل الاثار التى عثر عليها فى الفيوم على سكان العصر الحجرى الحديث ظلوا يمارسوا الصيد البرى البحرى الى جانب الزراعة وكان فرس النهر من بين الحيوانات التى اصطادوها • ويظهر ان السكان كانوا أكثر اعتمادا على الرعى من الزراعية لان المطر كان يسير حثيثا نحو الجفاف • وسكان الفيوم كانوا بعيدين عن النيل وكان هذا هو السبب الذى جعلهم يركنون للرعى • وكما هو متبع فى معظم مجتمعات العصر الحجرى الحديث كانت الادوات الشخصية

للزينة هي الشيء الوحيد المنشود في الاقتصاد • وقد زين أهل الفيوم انفسهم بالاصداف التي احضروها من البحرين المتوسط والاحمر وفي بعض الاحيان من المحيط الهندي وذلك بالاضافة الى الالات الموسيقية المزركشه التي احضروها من وسط الصحراء أو من الصحراء الشرقية • هذا ولم يعثر على مدافن في أي مكان بين محلات الفيوم الامر الذي يؤدي بضرورة وجود جبانات بعيدا عن المنازل •

أما مرمده بني سلامة التي تمثل المرحلة النهائية في حضارة العصر الحجري الحديث في مصر السفلى فتقع في الطرف الغربي للدلتا فوق حافة رملية • وتبلغ مساحة المحلة العمرانية في مرمدة حوالي ٤٠٠ متر مربع وتضم اكواخ ذات شكل دائري ومدخلها من الجنوب وقد كانت صفاته الاكواخ في مرمدة واهيه في بادىء الامر ولكن تمكن الفلاحون بعد ذلك من صنع اكواخهم من الاعمدة الخشبية والبوص ، ثم استخدموا في فترة لاحقة الطين لكي يتمكنوا من صنع مأوى جيد يصمد امام العواصف الرملية ويحول دون انتشار الامراض بينهم •

ويبدو ان لكل اسرة كان لها كوخ ذات فناء أو حديقة خاصة، وجميع الاكواخ نظمت على هيئة صفوف ربما لكي تحدد الطرق الزراعية وبصفة عامة كانت الاكواخ تشبه الى حد كبير تلك التي وجدت في الفيوم فيما عدا ان الحبوب بدأت تخزن في قدر كبيرة وذلك مع نهاية العصر الحجري الحديث • ورغم وجود اختلاف في شكل فخارهم وأدواتهم واسلحتهم وممتلكاتهم الشخصية الا ان هناك كثير من الصفات المشتركة بين هذه الحضارة وحضارة الفيوم وايضا بصورة أقل حضارة ديرتاسا •

مقدرة المصريين على استغلال الظروف الملاءمة فى وطنهم لاقامة احدى حضارات العالم القديم الكبرى •

ومن بين الحضارات التى ظهرت فى مصر فى هذه الفـــترة حضارة جرزة أو نقادة الثانية والسمانية والمعادى • وتختلف حضارة العمره فى انها تحمل اثار غزوة قدمت من الشمال الشرقى من خارج البلاد ، غير انها تشبه الحضارة السابقة فى انتشارها صوب الجنوب الى النوبة وتتميز منازل جرزة بأنها مبنية بخلاف محلات العمره ولكنها رغم ذلك لا تحمل الطابع المدنى بمعنى الكلمة •

أما من ناحية الصناعات الصوانية فقد بلغت القمة فى جرزة بحيث انها لم تصل الى نفس الدرجة فى أى مكان آخر من العالم • وقد اختلفت الات جرزة اختلافا بسيطا من ناحية الشكل عن العمره فى حين كان الاختلاف جوهرى فى صناعة الفخار بينهما اذ ان فخار جرزة صنع من صلصال استخرج من محاجر وليس من طمى النيل كما حدث بالنسبة للثانية ذلك الى جانب ان الوان الفخار كانت فاتحة ومزركشة فى بعض الاحيان برسوم هندسية أو بأشكال بعض الحيوانات المعاصرة •

هذا ويقترح بعض الباحثين ان هناك اتصالا حضـــاريا قويا بين جرزة وحضارة جنوب غرب آسيا غير ان البعض الاخر ومن بينهم Alimen يذكر ان حضارة جرزة قد تكونت اساسا فى الدلتا وانها اقترضت بعض مظاهر حضارتها الاساسية من مرمدة بنى سلامة • وليس معنى ذلك بطبيعة الحال ان حضارة جرزة لم تتأثر ولم تستقبل مؤثرات اسيوية وفدت اليها فى فترات متعددة •

وبالنسبة لحضارة السمانية فتمثل أخر دور من عصر ما قبل

الاسرات وتمتاز هذه الحضارة بتقدمها من الناحية المادية وتمتاز بنشاط اتصالها مع الخارج وخصوصا الاتصال بالشرق الادنى الذى تم بطرق عديدة وينتمى الى هذا الدور انواع الفخار الملون ذات الشكل الاسطوانى والذى وجد فى بعضه اثار الزيوت التى كانت تستوردها من سوريا • وأما صناعة الصوان فقد ظلت قائمة فى هذه الحضارة ولكنها اخذت فى الاضمحلال والتدهور السريع نتيجة لاستخدام المعدن •

واهم ما يلاحظ على هذه الحضارة ازدياد السكان وارتباطهم بالقرية وزيادة اعتمادهم على الزراعة ومن ثم زادت الالات الزراعية بينما اخذت الات الصيد تقل وبدأ يحل محلها بعض رؤوس النبال البسيطة التى تستعمل فى القتال • ويبدو أن المجتمع المصرى كان فى طريقه الى الوحدة التى بدأت أولا بين المجتمعات صغيرة التى ارتقت الى تكوين مجتمعات أكبر حتى انتهت بتكوين الدلتا على حدة والصّعيد على حدة ثم اتحدهما وتكوين المملكة المصرية فى عهـد الاسرات •

اما عن حضارة المعادى فترتبط بموقع المعادى حيث عثر هناك على بقايا عمرانية كبيرة تكون من اكواخ ذات شكل بيضاوى مفتوحه من الجهة الجنوبية الغربية ، يحيط بها قوائم خشبية من جذوع الاشجار شدت حولها أغصان الاشجار الدقيقة والتى كست القوائم من الخارج بطبقة من الطّين • ولسنا نعرف على وجه الدقة عما اذا كانت تلك المساكن مسقوفة أو غير مسقوفة رغم ان الغرض الرئيسى من تشيدها هو حماية اهلها من الرياح الشمالية ذات البرد القارس اذ ان الرياح الشمالية تسود فى تلك البقعة طول العام •

ويكاد يكون نظام المساكن واحد اذ يوجد الموقد دائما قرب

المدخل وبجواره قدر كبيرة بعضها لحفظ المياه والبعض الاخر لتخزين الجنوب وانواع الطعام وقد حفرت لتلك القدر حفرات عميقه فى التربة الرملية • والى جانب ذلك فقد استخدمت ايضا فى التخزين بعض المخازن التى كانت عبارة عن حفر عميقة رأسية الجوانب توضع بها بعض الانية الفخارية الصغيرة •

وللانية الفخارية بالمعادى ميزات خاصة تجعلها تختلف عن الانواع المعروفة فى مصر فى فترة ما قبل التاريخ بعضها احمر اللون ذات شكل مستطيل وقاعدة خلفية ، وبعضها اسود اللون ذات شكل كروى مصقول السطح قاعدة ملساء وكلها مصنوعة باليد ، بما فى ذلك القدور الكبيرة على الرغم من حجمها العظيم • وقد عرف سكان المعادى صناعة النسيج بدليل وجود قطعة صغيرة من خرقه بالية محترقة ، وجدت على عمق كبير فى الطبقات ، ذلك بالاضافة الى الحجارة الكثيرة المثقوبة وقطع الفخار المستديرة وهى التى كان يستعملونها فى المنزل •

ويظهر ان سكان المعادى كانوا على دراية بفوائد المعدن ومزاياه فى صنع الالات المختلفة ، ومن ثم فقد وجد مثقاب من النحاس له مقبض من العظام ، كما وجد سلاح يشبه الازميل صنع من نفس المعدن •

هذا وقد اعتقد سكان المعادى فى البعث بدليل دفن الاثاث معهم والذى كان يتكون فى اغلب الاحيان من بعض الاوانى الفخارية وادوات الزينة والصيد ذلك بالاضافة الى بعض الحيوانات المقدسة لديهم والتى دفنوها بعناية فى مقابرهم الخاصة •

وعلى الرغم من ان حضارة المعادى تبدو لاولى وهله وكانها

متصلة بحضارة مرمدة ، وعلى الرغم من ان بعض اثار المعادى تشبه اثار البدارى الا ان الرابطة غير قوية بين حضارة المعادى وحضارات العصر الحجرى الحديث لانها حضارة متأخرة عن حضارة البدارى ومرمده بنى سلامه ذلك الى جانب انه من الصعب التكهن بأصل حضارة المعادى فى ضوء الكشوف الاثرية الحالية •

على أى حال فقد ارجع المصريون القدماء ـ الذين جاءوا بعد ذلك ـ كثيرا من التغيرات التى طرأت على حضارتهم فى عصر المعدن الى الهجرات التى قدمت من الشرق وحملت معها الى البلاد فنونا واتباع حوريس Followers of Horus وهذه اشارة الى الجماعات الاسيوية السامية التى سبق ذكرها ، والتى حضرت لعها الى مصر تقاليد حضارة أرقى وجدت فى العراق •

ومعنى ذلك ان الاتصال الحضارى المباشر بين مصر والعراق أمر لا يمكن التقليل من أهميته فى عصر المعدن ، غير أن هذا الاتصال لم يكن ميسورا عن طريق البر لان الصحراء السورية جعلت النقل البرى يأخذ طريقا طويلا حول الهلال الخصيب ، اذ ان بقايا المحلات الاولى تبرهن على ان الغرباء قدموا أولا الى مصر العليا بعد أن نزلوا عى ساحل البحر الاحمر حيث تبعوا وادى احمامات الى قناء

واذا كان الامر كذلك فليس هناك محل لاعتبار العناصر الوافدة سرمرية اذا ما كانوا من العناصل السمية • والاحتمال الاقرب الى الصحة انهم كانوا رجالا وسطاء من بحارة الخليج العربى (الخليج الفارسى) الذين كانوا على صلة وثيقة بسومر • وان هؤلاء الوسطاء هم الذين انحدر منهم الفينيقيون وهم الذين نقلوا اليها المعدن من مناجم عمان وسومر ، كما حملوا التقاليد والافكار والبضائع

السومرية الى مصر •

وقد خضعت الدلتا لنفوذ ليبى قوى ابان عصر المعدن وقبيل حكم الاسرات اذ كانت حضارتها أقل قوة وازدهارا من تلك التى وجدت فى صعيد مصر والتى تمكنت بفضل طريق البحر الاحمر وفقط من ان تستمد عناصر قوتها من سومر، وكان نتيجة لذلك ان استطاعت المملكة الجنوبية تحت قيادة مينا من ان تهزم سكان مصر السفلى وتحد القطرين ، وتنقل قصبة الحكم الى ممفيس وذلك رغبة منها فى المحافظة على الاقليمين •

وعلى الرغم من ان الدلتا قد استطاعت ان تحتفظ من الناحية النظرية على الاقل بشخصيتها منذ بداية الالف الثالثة حينما دابت الفوارق تماما بين الاقليمين الا ان العناصر المختلفة للسكان قد ساهمت فى اعطاء حق شخصيتها التى اخذت تتبلور منذ عهد الاسرات •

وعلى هذا الاساس اخذت المدينة المصرية فى هذه الفترة تنهض وتطور الى ان وقفت فجأة عقب غزوة اللكسوس لمصر فى القرن ١٨ ق•م • غير ان احتلال الهكسوس لمصر لم يدم طويلا اذ تمكن المصريون من ازاحة هذا الكابوس ، كما تمكن فراعنة مصر سيزوستريس الثالث وامنحت الثالث من ملوك الاسرة ١٢ من أن يؤكدوا اهمية موقع مصر كقوة افريقية حيث اتجه فراعنة مصر الى غزو سوريا واخضعوا كل المنطقة الساحلية الممتدة من غزة جنوبا الى اوجاريت شمالا وربما وصلوا ايضا الى سهل العمق •

والخلاصة انه على الرغم من التغيرات الجذريه التى انتابت مصر إبان عصر المعدن إلا ان الاقتصاد المصرى منذ بداية تشكيله

اعتمد اساسا على الزراعة ، فالاغلبية العظمى من السكان كانت تعيش وتعمل فى الارض ، وانهم كانوا فى حاجة الى سوق يتبادلون فيها منتجاتهم ويحصلون منها على الاشياء التي لا يوجد مثيلالها لديهم • ولابد وان المدينة كانت مركزا لاصحاب المحلات التجارية المعقدة ولرجال الحكومة والكهنة الذين الحقوا بخدمة المعبد المحلى؛ غير انه لم يوجد فى هذه المدن تكتلات صناعية كبيرة أو تجارية على نطاق واسع بحيث تخدم تجمع بشرى كبير يسمح فى نفس الوقت بنشأة طبقة متوسطة تمتهن التجارة اذ لا يوجد هنا التنظيم المدنى الصحيح الذى يمكن ان نطلقه على المدينة •

والنتيجة انه منذ اقدم عصور ما قبل التاريخ بدأت عوامل البيئة المحلية فى التطور وتتخذ شكلها النهائى الذى سادها فى العصور التاريخية الامر ساعد الحضارة المصرية على ان تتميز فى تاريخها الطويل بالاستمرار والتقدم • فالتاريخ المصرى يعتبر من اطول التواريخ المستمرة فى العالم بالرغم من حدوث بعض الفجوات ، فالحضارة المصرية القديمة القائمة على الزراعة والحياة القروية لم تتغير ، واستطاعت هذه البلاد أن تنهض دايما من كبوتها ، كما تمكنت من ان تحتفظ بحضاراتها على مر الايام •

أما من حيث القدم فمصر موطن احد اقدم الحضارات البشرية فى العالم وان كن هذا لم يمنع بعض الباحثين من الاعتقاد بأن حضارة سومر فى العراق اقدم من الحضارة المصرية ، ولم يمنع ايضا أن يردد بعضهم أن حضارة مصر أتت من سومر ذاتها •

البيئة المصرية منذ العصر الفرعونى وحتى أواخر العصر الرومانى :

اعطى وادى النيل ارض مصر خلال تاريخها وحدة جغرافية ففيما عدا وجود ظاهرة الاراضى الزراعية والصحراء لا توجد اقسام جغرافية تنعزل بعضها عن بعض ، وانما كل ما يمكن التوصل اليه فى هذا الصدد ، هو وجود تنوعات محدودة ضمن الاطار الفيضى الموحد . وتتمثل هذه التنوعات فيما نسميه باسم مصر السفلى ومصر الوسطى ومصر العليا .

أما عن مصر السفلى أو الدلتا فقد كانت فى العصر الفرعونى مختلفة فى طبيعتها عما هى عليه الان ، فقد كان يجرى بها ما يقرب من سبعة فروع ، كما انها لم تكن بيئة متجانسة واحده حيث ضمت شتات عددا من البيئات فبينما نجد جنوب الدلتا عبارة عن اراضى خصبة تغطيها طبقة سميكه من الطمى الذى حملة النهر منذ القدم وارسبه فى تلك المنطقة نجد فى شمال الدلتا مساحات مائية كبيرة هى بقايا المستنقعات التى كانت تغطى شمال الدلتا فى فجر التاريخ .

أما فى شرق الدلتا وغربها فتتدرج البيئة الزراعية الى بيئة رعوية أو شبه صحرواية . ولكن بسبب انخفاض أراضى شرق الدلتا عن الاراضى التى تقع فى غربها كان عدد فروع النيل التى تصب فى القسم الشرقى أكثر من عددها فى القسم الغربى . وقد انعكس هذا الوضع على النشاط الاقتصادى فى الدلتا فوجدت بها ثلاث بيئات وهى بيئة زراعية مستقرة بين فرعى النيل عند رأس الدلتا ، وبيئه رعوية تتركز على وجه الخصوص فى وادى الطميلات الذى سكنه بنى اسرائيل فى شرق الدلتا ، ثم بيئة الصيد وتربية الحيوان فى شمال الدلتا .

وقد كان هذا التنوع البيئى الاقتصادى دعامة لان يجعل من الدلتا اقليم غنيا بوجه عام حيث كانت أكثر استقبالا للعناصر الاجنبية من صعيد مصر فوفد اليها من الشمال شعوب البحر المختلفة فقدم اليها الاغريق مع نهاية العصر الفرعونى ، كما وفد اليها الشعوب الاسيوية النصف بدوية من الشرق علاوة على قبائل التحنو أو التمحو التى جاءت إليها من الغرب .

ونظرة لكثرة فروع النيل فى الدلتا وبسبب تغير مجاريها وكثرة المستنقعات فى الشمال فقد جعلت حدود الاقليم الطبوغرافية غير ثابتة كثيرة التحويل والتغير ومن ثم كانت الدلتا أقل تماسكا وكان أهلها أقل عصبية من أهل الصعيد . وقد نشأت فى الدلتا عدة عواصم قديمة منها بوتو وسايس (صالحجر) وتانيس صان الحجر) وغيرها بل لقد تمثل تفكك الدلتا من الناحية الادارية والسياسية منذ فجر التاريخ فأستطاع رجال الصعيد ان ينزعوا لانفسهم فخر توحيد البلاد .

أما اقليم مصر الوسطى فقد كان من اقاليم مصر ومن ثم كان حصنا من حصون الاقطاع فى تاريخ مصر ، وكان احد المناطق التى توجه اليه اطماع الغزاة من الشمال والجنوب . وقد كانت هذه المنطقة فى عهد الدولة الوسطى منطقة استغلال الاسر ١٢ ، ١٣ ، ١٤ لان الدولة الوسطى وجهت للنشاط التجارى اهتماما زائدا .

ويلحق باقليم مصر الوسطى الفيوم التى تعتبر واحه مثل أى واحه مصرية أخرى غير انها تختلف عن هذه الواحات فى كونها تتمتع بالاتصال بالنيل ، وهى فى مظهرها الريفى تختلف كثيرا عن الريف فى مصر اذ ان ريف الفيوم عبارة عن حدائق ، كما ان المدرجات

تأخذ فى الهبوط التدريجى نحو البحيرة ، ولذا فقد سادت حرفة الرعى على ضفاف البحيرة بينما مورست الزراعة فى المنخفض وصيد الاسماك فى البحيرة .

أما عن مصر العليا فقد ضمت فى الجنوب بلاد النوبه والتى كانت فى حد ذاتها تعتبر منطقة حدود بين مصر والسودان وحيث كان النفوذ المصرى يغطى عليها فى بعض الاحيان وينحسر عنها فى بعض الاحيان الاخرى . فمن المعروف لدى الباحثين ان النوبه كانت خزانا اضافيا للحضارات التى ظهرت فى مصر فعن طريقها انتقلت الحضارة المصرية الى اللغب الافريقى . ومنذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر وهذا الاقليم ملىء بالمقابر المصرية القديمة والمعابد وذلك دليل على ان أهل تلك المنطقة اقتبسوا الحضارة المصرية القديمة ، وعاشوا بأسلوب مصرى صحيم ، وقد كانت النوبه منطقة التجاء الاسر المغلوبة على امرها غير انه فى نهاية (الاسرة ٢٥) .

كذلك يدخل تحت مصر العليا التى تمتد من جنوب المنيا الى النوبة منطقتين كان لهما دورا بارزا فى حياة مصر القديمة وهما منطقة قنا ، فعند ادفو يتسع الوادى على الجانبين حيث يوجد وادى كوم امبو ، هنا كانت منطقة المقاومة المصرية القديمة اذ لم يكن من قبيل الصدفة ان تنشأ فى تلك المنطقة اقدم عاصمتين وهما نخن ونخب ، فقد استطاع امراء تلك النقطة ان يتغلبوا على بقية الامراء ليقودوا من منطقة الكاب حركة الوحدة ثم التحرير .

أما عند ثنية قنا حيث يبدأ ظهور طبقات الحجر الجيرى فى الهضبة الشرقية والغربية والتى استخدمت احجارها فى بناء المعابد

والتماثيل نجد أن الوادى يتسع على الجـانبين وتكثر الاراضى الزراعية ، كما يصيب عند ثنية قنا عدد من الاودية التى تقطـع الصحراء الشرقية وتنساب فى هدوء وطمائنينه نحو نهر النيـل • وهذا الاقليم كان من أحد الاقاليم التى ساد فيها الاقطاع وهنا ظهرت على جانبى النهر اقدم مدينتين فى التاريخ بعد نخن ونخب وهما طيبه وطنيه ، وكانت هذه المنطقة مركزا للحضارات المصرية الاسيوية ومقرا للاسرة الفرعونية التى حكمت مصر خصوصا فى تلك الفترة التى كان يلهوا فيها الغزاة بالقسم الشمالى•فمن تلك الرقعة خرج نارمر واحمس ومن هذا الإقليم كانت المقاومة بمعنى الكلمة • وهذا الاقليم قد شهد فترة ازدهرت فيها التجارة بين مصر وبلاد النوبة فى الجنوب حيث كانت مركزا لطرق القوافل الذاهبة الى الواحة الخارجة والتى تنتهى عند ابيدوس ، ومن اهم تلك الطرق طريق درب الاربعين • وتشير الادلة الاثرية كما توضحها نقوش البردى وحجر بالرمو ان مصر قسمت فى عصر ما قبل الاسرات الى أقسام ادارية وسياسية وان هذه التقسيمات كان معمولا قبل ظهور الكتابة قبل العصر التاريخى • اذ ان الشارات التى اتخذت فى العصر التاريخى كرموز دالة لمقطعات مصر انذاك قد وجدت منقوشة أو مرسومة على أنية فخارية تنتمى الى عصر ما قبل الاسرات حقيقة ان بعض الشارات كان لها الغلبة على البعض الاخر نتيجة لسيادتها البيئة أو لبسط نفوذها الحضارى الا انه من الثابت اثريا ان الشارت المميزة للاقسام السياسية قد ظلت عبر التاريخ المصرى القديم ترمز الى نفس الاقـليم الذى حملت لوائه رغم ما أصـاب البلاد من تقلبات سياسية وتغيرات دينية واجتماعية •

وهكذا قسمت مصر الفرعونية الى ٤٢ مقاطعة منها ٢٠ مقاطعة فى الوجه البحرى و٢٢ مقاطعة فى الوجه القبلى • وهذه المقاطعات

أو كما اطلق عليها المصريون القدماء اسم « سبات » كانت تأخذ في معظم الاحيان الشكل المستطيل وكانت تقسم بخطوط متوازية واخرى عمودية • ويبدو ان هذا التقسيم كان يتفق مع بيئة مصر الجغرافية التى اتسمت بالانبساط والبساطة من جهة والتحديد من جهة اخرى اذ ان محور هذه البيئة نهر متدفق وبيئة طينية لا توجد بها سوى بعض الترع كمعالم طبوغرافية بارزة تقطع انبساطها واراضى صحراوية أو هضبية تحدد نطاق العمران الذى استغلفي مواقع عديدة نقطة التقاء بين الاكيومين والصحراء لاقامة معلم حضارى من معالم تفاعله البيئة وتأثر ه وتأثيره فيها •

ويغطى تاريخ الاستقرار الفرعونى فى مصر فترة زمنية مداها ثلاثة ألف عـام تبدأ بتوحـيد للوجهين فى عـام ٣١٠٠ ق•م وحتى بداية غزو الاسكندر الاكبر فى عام ٣٣٢ ق•م وهذه الفترة قد قسمت الى ثلاث فترات كبرى تحمل كل منها ملامح وصفات مميزة تركت بصماتها على مواضع الاستقرار وادلتها التاريخية فى المنطقة •

ففى الفترة الاولى فى الدولة القديمة أو عصر الاهرامات الذى اعتبره عديد من المؤرخين المد الاعلى للانجازات البيئة بالمفهـوم العام والحضارية بالمفهوم الخاص قامت حكومة محلية مستقرة تمكنت من زيادة انتاج الحقول واستئناس الوادى فى مناطق تواجد السكان الامر الذى ادى الى حدوث تغيرات حضرية كبرى فى فترة انتهت بظهور الاقطاع وتنازع الاقاليم مع بعضها •

أما الفترة الثانية المعاصرة للدولة الوسطى فقامت مواقع الاستقرار تحت نظام دعمه قوة الجيش اذ تمكن البيت الحاكم من أعادة توزيع الارض الامر الذى انعكس مباشرة على حياء الفن المعمارى الذى شهدته مواضع الدولة القديمة وعلى اقامة مشروعات

الرى فى البلاد •

وقد انتهت هذه الفترة الثانية الكبرى فى حياة مواضع الاستقرار بمصر باستقرار الهكسوس فى الدلتا ومنافستهم للسلطة المصرية، غير ان حرب التحرير الكبرى التى قادها ابناء مصر بحكومة قوية وجيش منظم أدى الى فترة شهدت انتعاش التجارة المصرية الدولية والتوسع خارج حدود الوادى وتكوينه • وهكذا جاءت الفترة الثالثة أو الدولة الحديثة ومصر تحكم امبراطورية واسعة تجبى من شعوبها الضرائب ويتدفق الى طيبه وقصبة الحكم ـ كثيرا من خيرات البلاد ولهذا فقد كانت هذه الفترة فى نظر المؤرخين والاثرين فترة عظيمة وقوة وثراء ومركز لايعادلها فى ذلك أى فترة أخرى فى تاريخ مصر ، وكان من الضرورى ان ينعكس ذلك الوضع على طبيعة مواقع الاستقرار الفرعونى فى ذلك الوقت •

وقد تخللت هذه الفترات الكبرى فترتين ثارت فيهما السلطات الاقليمية ضد التاج وذلك فى خلال فترة الانتقال الاول وفى اثناء الاحتلال الاجنبى ولذا لم يكن من المستغرب تبعا للاختلافات السياسية والدينية والحضارية والقوى الاجتماعية العاملة ان تحمل مواضع الاستقرار الفرعونى فى كل فترة من الفترات السابقة صفات مميزة •

أما عن مشكلة أى مواضع استقرار هذه الفترات يمكن ان تمثل الحضارة المصرين فيذكر الاستاذ جيل كامل Jill Kamil ان الدولة القديمة بموضعها واثارها اختيرت لتكون مستوى كلاسيكى Classic Standard أو تقليدى للحضارة المصرية القديمة اذ انها الفترة التى تكونت فيها النواة الصلبة التى بنى المصريون عليها حضارتهم المادية والروحية ، كما أنها الفترة التى نظر اليها المصريون

انفسهم على انها نموذجا لتاريخهم .

وقد كانت الاستمرارية الحضارية سمة المجتمع المصرى بصفة عامة اذ تبين الادلة التاريخية والاثرية انه ليس هناك انفصال أو أنقطاع حضارى بين ما حققه الفراعنة وما أدخله اليونان والرومان وذلك لان الاسس المادية التى قام عليها هذا المجتمع ارتبط بمسرح جغرافى متجدد الثراء وسكان تطلعوا فيما حولهم فاستغلوا كل ظروف البيئة المهيئة من منبع وتربة فيضية ومورد مائى فى ترسيخ مجتمع زراعى غير قابل التغير اصوله متمشيا مع هضم كل جديد تقبله هذه الاصول .

ان ضعف النفوذ اليونانى فى مصر لم يبدأ قبل القرن الثانى ق.م ولم يكن نتيجة لاختلاط الاغـريق بالمصريين ، كما انه لم يتمخض عن دخول البلاد فى حوزة الرومان أى تغيرات ذات معنى فى نظام ادارتها وبعبارة أخرى فان الانتقال الى العصر الرومانى لم يكن مصحوبا بضطرابات أو تقلوبات فلم يكن أكثر من انتقال الحكم من اسرة الى أخرى ولا سيما وان الرومان قد استغل ما خلفه لهم اليونان من نظام ادارى فى البلاد مع تعديل طفيف فى بعض الاحيان .

وقد حمل القرن الاول من الحكم الرومانى (من حكم اغسطس الى آخر حكم نيرون ٣٠ ق.م ٦٨م) رخاء للبلاد غير ان الحقيقة هى ان مصر كانت لفترة بقرة حلوب لروما وان نظام الحكومة هدف الى غاية واحدة وهى تمكين الدولة من استعباد الفلاح فى خدمها وابتزاز دافعى الضرائب وكان لابد ان تترك هذه السياسـة آثارها على المجتمع المصرى آنذاك .

وفى خلال القرن الثانى من حكم الرومان (٦٨م ـــ ١٨٠م) ٠ عنى الاباطرة بتحميل المجتمع المصرى اعباء باهضــبة ومن ثم انتعشت احوال البلاد الاقتصادية لبعض الوقت الا انها سرعان ما عادت الى ما كانت عليه ابتداء من منتصف هذه الفترة حيث توسعوا فى الاخذ بمبدأ الالترام فى جمع الضرائب من المزارعين ٠ أما القرن الثالث من حكم الرومان فقد كان سلسلة متصلة الحلقات لاضمحلال مستمر بسبب ازدياد عبء الضرائب والتوسع فى تطبيق مبــدأ الالترام فى مختلف النواحى مع اهمال نظام الرى الامر الذى ادى الى ازدياد احوال الفلاحين سوءا وتفضيلهم الهجرة الى المدن والعمل بها أو كسب قوتهم بطريق السلب والنهب ٠ والنتيجة هو ترك ٠ مسافات واسعة من الارض دون زراعة ٠

لقد ذكر هيردوت المؤرخ اليونانى « ان المصريين عاشوا فى ظروف مناخية فريدة على ضفاف نهر اختلف عن بقية الانهار اكتسبوا عادات وسلوك تميزت فى معظم نواحيها عن تلك التى وجدت عند غيرهم من الجماعات ٠ ومعنى ذلك ان الحضارة المصرية القديمــة تدين بكثير من معالمها الانسانية الى المناخ والمظاهر التضاريسية ٠ فسكان مصر أرتبطوا منذ كونوا مقاطعهم الاولى فى العصر الفرعونى بالنهر حيث كان الارتباط شديدا بين الطين الذى يروى بماء النيل والمصرية وليس أدل على ذلك من أنهم كانوا يؤلهون هذا النهر فى كل مقاطعة من مقاطعتهم حيث رسموا النهر فى شكل رجل عظيم الجسم ضخم الثديين أو فى صورة امرأة ممشوقة القوام تحمل على بدلها ما تتجه أرض المقاطعة من خــيرات ٠ ولم يقتصر الامــر على ذلك فحسب بل عبدوا ايضــا بعض الحيوانات التى لها عــلاقة بالنهر ذلك بالاضافة الى انهم نظروا الى الجنوب أى الى الجهــة التى ينبع منها النهر على انها هى منتهى افقهم اذ اهمية الجنوب

والغرب لهم كانت تفوق بقية الجهات الاربع الاخرى اذا ان الجهة الاخيرة هى المكان الذى تذهب اليه روحهم فى عالم الاخرة ولذا كان يسمى الاموات اهل الغرب • أما عن المناخ فهو لطيف مشمس حيث سجل هيردوت مرة أخرى ان الصيف الدائم يسود مصر ، وان الامطار غير معروفة تماما ، والرياح باردة وجافة ، والضوء ساطع ومستمر لان الشمس تظهر بعظمة كاملة ونادرا ما تختفى ولذا فقد عبدت الشمس الى جانب النهر •

فالشمس الدائمة الاشراق ساعدت على اعطاء الحالة الجوية صفة الثبات والاستقرار ، كما ان الدفء والجفاف ساعد على حفظ الاغراض التى دفنت تحت أديم الرمال والممثلة فى مميا ءالفراعنة واثارهم واوراق البرادى • فعبادة الشمس استمدت من مبدأ استمرارها وعدم تغير اشعاعها المصحوب بانتظام الفيضان قد شجع ذلك المصريون بصفة عامة على ان يكونوا محافظين مستقرين قانعين • ولا سيما اذا ما اضفنا ان المنطقة التى عاش فيها المصريون القدماء غنية فى مواردها الفيضية الطبيعية كما أنها محاطة بالمحاجر ، والمادة الخام الوحيدة التى افتقرت اليها هى الاخشاب فيما عدا اخشاب اشجار النخيل اللينة والصفصاف •ومن حسن الحظ انهم احضروا الاخشاب فى معظم الاحيان عن طريق التجارة من لبنان • لقد استغل المصريون القدماء ارضهم السوداء فى الزراعة بمهرة ونشاط حيث استغلوا كل قدم من التربة التى وقعت فى حوزة اراضيهم ولهذا فقد عمد القرويون الابتعاد عن الارض الخصبة وأقامة منازلهم على تخومها أو اطراف الصحراء ، وقد فطنوا جيدا الى اعتمادهم فى حياتهم على ارضاء الاله ... فانحسار النهر يسبب مجاعة ، كما أن طوفانه يؤدى للدمار واغراق السدود والقنوات ، لقد ادرك المصريون الاوائل طبيعة النهر وتعرفوا عليه

فسجلوا مقدار ارتفاع مياهه وانخفاضها ومن ادخـل المصريون القدماء الارقام فى سجل الكتابه حيث كانت خطورة نحـو تطور الكتابة الهيروغرافية ٠

أما الاشـراف على النهر فقد كانت هى المهمة الاولى المطلوبة للادارة الجيدة فى المجتمع الفرعونى وكان لابد وان تكون السدود ونظام الرى فى حالة جيدة فى كل الاوقات ، وان اهمال فرد فى هذا الصدد قد يكلف مئات من الانفس ضياع قوتهم ، ولذا فقد كان من الامور الضرورية أو الحيوية الا يدعى فرد حقوق مياه جارة ، وقد كان خير وسيلة لعملية ملاحظة العلاقة بين مالك الارض والنهر هو قيام حكومة مركزية ممثلة فى ادرات محلية فى كل مقاطعة ٠

ولعل اهم ما يلاحظ على العلاقة بين السكان والارض فى مصر القديمة هو تجربة قيام دولة اشتراكية فملكية الارض للحاكم ظلت لمدة طويلة من الزمن عادة مقدسة اذ ان فرعون كالهه له كل الحق فى التربة ومنتجاتها ٠ أما الفلاح فلم يكن عبدا ولكن كان لا يستطيع ان يترك مكانه دون اذن من الحكومة ، كما كان عليه ان يعطى الدولة جزءاكبيرا من محصوله ٠

وحين وقد البطالة قبلوا هذا النظام وتوسعوا فيه حيث تمكنت مجموعة من الموظفين الحكومين البيروقراطيين والذين يدعمهم حرس مسلح من ادارة البلاد ــ كل البلاد كمزرعة للدولة حيث أمر كل فلاح تقريبا عن طريق هؤلاء الموظفين بتحديد الارض التى يزرعها ونوع المحاصيل التى ينتجها ٠ كما ان عمالته وحيواناته كانت تحت أمره الدولة فى أى وقت وذلك من أجل التعدين والبناء والصيد وحفر الترع واقامة الطرق ٠

وقد كان محصول الفلاح يقرر بواسطة الدولة وما أشبهه اليوم بالبارحة – حيث تسجل كمية المحصول فى السجلات ثم تنقل الى بيادر وقد سمح البطالمة للفلاح بامتلاك حديقة ومنزله ، كما انهم اعتبروا المدن ملكية خاصة لهم ومن ثم اعطوا المحاربين حق ملكية الارض التى تخصص لزراعة العنب والبساتين غير انه كان من حقهم سحب هذه الارض فى أى وقت من الاوقات واذا كانت المهارة والمقدرة اليونانية قد ساهمت فى تحسين احوال ارض المشاركة الا انه قد نشأ المطالبة بحق انتقال الملكية عن طريق الوراثة حيث سمح بذلك فى خلال القرن الثانى ق٠م بحكم العادة وليس بحكم القانون – ثم اعترف بها قانونيا فيما بعد قبل ظهور المسيحية حيث اكتمل التطور العادى من الملكية العامة الى الملكية الخاصة ٠

وبدون شك ارتبط تطور هذا النظام الاشتراكى بأحوال الزراعة فى مصر بصفة عامة ، تلك الاحوال التى اقتضت تعاونا واتخاذا فى العمل فى أى زمان ومكان ، فما تحققه المجموعة فى هذا الصدد أكثر مما يمكن ان يحققه العمل الفردى ، فكمية وطبيعة المحاصيل التى لابد من بذرها اعتمد الى حد كبير على الفيضان السنوى وعلى توفير الرى والصرف وكلها امور ارتبطت بالسلطة المحلية ٠ وهكذا تمكن المهندسون الذين كانوا فى خدمة الحكومة فى العصر اليونانى من ادخال تحسينات على النظم القديمة فادخلوا زراعة كثيفة أكثر عادية فى ارض مصر اذ حل محل الشادوف القديم الساقية والتى كانت عبارة عن عجلة كبيرة يصل قطرها فى بعض الاحيان الى ٢٠ قدما ، كذلك استخدم الطنبور لرفع المياه بسرعة لم تعرف من قبل٠ فتركيز ادارة النشاط الاقتصادى فى يد الحكومة واحتكار العمالة جعلت فى الامكان اقامة الاعمال العامة الكبيرة التحكم فى الفيضان وبناء الطرق والرى والمبانى ٠

وقد خضع الانتاج الصناعى فى مصر الفرعونية لظروف مشابهة للزراعة اذا لم يقتصر الامر على امتلاك الحكومة للمناجم فحسب بل استغلتها أيضا لحسابها ، كما انها احتكرت فى العصر اليونانى الرومانى صناعة الزيوت المستخرجة من بذرة الكتان والسمسم . فقد كانت الحكومة تحدد كل عام مساحة الارض التى تزرع ونوع النبات ، كما تأخذ كل المحصول بالسعر الذى تحدده ثم تقوم باستخراج الزيوت فى معصرة الدولة لتقوم بعد ذلك لبيعه لتجار التجزئة بالسعر الذى تحدده وتحول دون المنافسة الاجنبية عن طريق فرض الضرائب العالية كذلك وجود اشراف حكومى مماثل على صناعة البردى والمنسوجات . هذا ويعتبر الاثريون والمؤرخون ان صناعة الزجاج كانت من ارقى الصناعات المصرية انذاك حيث يرجع الى مصر ابتكار وفق تشكيل الزجاج مع بداية العصر المسيحى . أما الصناعات الاقل اهمية فقد تركت فى حوزه الاهالى حيث اقتصر عمل الحكومة على اعطاء التصاريح لها والاشراف عليها مع المشاركة نصيب كبير فى منتجاتها وتوجيه خبرء اخر من هذا الانتاج الى خزائن الملك .

أما عن التجارة فى ظل ما اسميناه تجربة قيام دولة اشتراكية فى المجتمع المصرى القديم فقد احتكرتها الحكومة ونظمتها ، وكان تجار التجزئة هم بمثابة وكلاء للحكام يوزعون منتجاتهم أو منتجات الدولة ، فكل طرق القوافل والمجارى المائية كانت ملكا للسلطة . وفى هذا الصدد لابد من الاشارة الى أن بطليموس الثانى ادخل الجمل الى مصر ونظم بريد الجمال صوب الجنوب . حيث كان يحمل هذا البريد المراسلات والطرود الحكومية فحسب والتى اشتملت على ما يخص الحكومة من مراسلات تجاريه . أما النيل فقد كان مليئا بالمسافرين والبضائع الثقيلة وذلك ايضا تحت اشراف الحكومة .

نقطة اخرى وهى فكرة العالمية التى ظهرت لاول مرة فى عهد الاسكندر الاكبر والتى كان احد معانيها ان يعيش اليونانيين والمصريين سويا ويختلطا على اساس التساوى . ان هذه الفكرة لم تتبناها الارض المصرية اذ سرعان ما نسيت بعد موت صاحبها وصارت ارض مصر بلاد مستعمرة حيث تمكن اليونانيين من ادارة وتطوير الاقتصاد فى كل مكان منها الامر الذى زاد من توسيع القاعدة الاقتصادية للمجتمعات المصرية ، ولكن الزيادة ذهبت اليهم كما ذهب الى الرومان من بعدهم . ففى كل مكان أخذ الحكومة الايجار والضرائب والعوائد بل احيانا العمل وحياة الانسان ذاته .

ولعل من اهم آثار الاحتكاك الاوربى بالمجتمعات المصرية القديمة التى نشأت على ضفاف الوادى هو استشراق الروح الاوربية Orientalization of European Soul اذ برهنت الملكية الشرقية بأنها اقوى من الديموقراطية اليونانية ، ومن ثم فرضت شكلها على الغرب ، فأصبح ملوك اليونان واباطرة الرومان آله على نمط اسلوب شرقى . وهكذا لم يقهر الشرق لان أصالة نفسه وجذورها العميقة منعته من أن يستسلم فى روحه لذا فقد حافظ اغلبية سكان مصر على لغتهم الام وابقوا على طرق عادتهم الموروثة وعبدوا آلهة الاسلاف . فلم يحدث اختلاط سلالى أو حضارى كما حلم الاسكندر الاكبر اذ ان اليونان وحضارتهم كانت فى القمة بينما كانت حضارة البلاد وسكانها فى القاع ، فكيفية الذكاء اليونانى لم يجد له منفذا أو سبيلا الى عقول الشرقيين وكانت النتيجة ان فشل الاغريق كما فشل الرومان من بعدهم فى تغير الطابع الشرقى الذى ارتبط بارض مصر ، ونيل مصر ، وسماء مصر ، وجغرافية مصر ، من هنا كانت البداية ، ومن هنا ايضا لابد وان تكون النهاية .

التغيرات الحضارية فى البيئة المصرية منذ العصر العربى وحتى القرن ١٨م :

من الحقائق التاريخية ان الفتوح الاسلامية فى مصر قد ارتبطت بقدوم عمرو بن العاص مؤسس الفسطاط وحامل الدين الاسلامى الى تلك المنطقة من العالم • فمن القرن السابع الميلادى بدأت الدول الأسلامية تتابع على مصر ، وكان ركيزة النفوذ الاسلامى فى المراحل الاولى من وجوده فى مصر هى الدلتا حيث اتجه العرب بعد الفسطاط الى الاسكندرية ومن ثم بدأ دور صعيد مصر ليكون مجالا لانتشار الدين الجديد فوصلوا الى الجيزة ثم منطقة البهنسا التى اصبحت نقطة الانطلاق صوب مصر الوسطى ، ومن بعد ذلك الى مصر العليا وبلاد النوبة وقد استغرق هذا الانتشار عدة قرون منذ القرن السابع الميلادى ، حيث جاء بعد ذلك ولاه تبعوا الخلافة الاسلامية التى استمرت طوال العصور الوسطى •

وقد اتسمت القرون الثلاثة الاولى من حكم العرب الى مصر بمعالم حضارية فريده تتمثل فى قدوم حضارة جديدة عن تلك التى استقرت فى الوادى منذ قرون عديدة • وكان على هذه الحضارة الجديدة ان تحتك أولا بما هو موجود بمصر من عناصر مادية وروحية ثم تصارع وجودها ليكون لها فى النهاية السيادة وتعطى باية حضارية جديدة لسكان مصر •

والمسألة هنا ليست بهذه البساطة فمصر الفرعونية اذا كانت الاصل ، فمصر الاسلامية العربية كانت هى الاستمرارية لهذا الاصل بعد تنويعه وتطويره ليظهر لنا اليوم بعد مرور ما يقرب من ١٤ قرنا بالصورة التى هى عليها • فقبل وفود العرب الى مصر ، أو مجىء الجماعات الاسلامية العربية الى الوادى من شبه الجزيرة

العريق كان القبط هم سكان مصر ، وكانت الحضارة اليونانية الرومانية قد تركت بصماتها واضحة الى جانب الحضارة الفرعونية على ارض مصر ، غير انه فى غضون القرون الثلاثة الاولى من قيام الدولة الاسلامية فى مصر نجحت الحضارة الجديدة فى ان تثبت جذورها وتفيض معالمها على الحضارة القديمة وتعطيها مجالا للنمو والازدهار بعد ذلك ابان حكم الدولة الفاطمية خلال القرن العاشر الميلادى •

ففى هذه الفترة حلت اللغة العربية محل اللغة القبطية كلغة الدواوين ، كما ان اقباط مصر لم يصبحوا هم الطبقة السائدة فى التركيب الاجتماعى لسكان مصر حيث اصبحت الغلبة الان للعرب المسلمين وما تبع ذلك من تأثير على مكونات الحضارة المادية والاقتصادية المعاصرة لفترة الاحتكاك بين الحضارتين •

واذا كان اصحاب الحضارة اليونانية والرومانية فى مصر كانت معابدهم ومسارحهم وملاعبهم علامات مميزة فى مناطق تواجدهم الى جانب مقابرهم ومحلاتهم المعيشية ـ التى تميزت فى بعض المناطق بانفصالها عن المحلات الفرعونية ـ الا ان العرب حين وفدوا الى مصر ، وهم سكان البادية ، لم تكن لديهم الدراية الكافية بالشئون الزراعية كما كان لسكان مصر الاصليين ، ولم يكن لديهم الوعى الحضارى والمدنى الذى كان لدى اليونان والرومان ، ولم يكن لهم ايضا من مقومات الحضارة التى كانت لدى القراعنة • أن كل ما كان يملكه العرب فى هذه الفترة هو دين جديد وحماس لنشر هذا الدين ، لذا فبناء المساجد كان هدفا لانه مركز التجمع بالنسبة لهم ، تجمع دينى دنيوى تقام فيه شعائر الصلاة ومن حوله يقضون حاجاتهم من بيع وشراء •• ونظرا لطبيعة البادية فكانت

المساجد فى بادى الامر بسيطة البناء والتركيب ولا سيما تلك التى أقيمت خارج قصة الحكم ومن ثم لم يعمر فيها على مدى الزمن الا القدر اليسير •

ولعل فكر ة المسلمين عن الحياة الدنيا واعتبارها معبرا لحياة أفضل كان لها الاثر فى طبيعة الارض التى استقروا عليها • ففى العصور القديمة كانت فكرة الخلود سببا فى تخصيص مدن للخالدين فى احضان الهضبة حيث تكون الظروف ملائمة لحفظ جثث الموتى ومخلفتهم بعيدا عن الاطماء النهرى بينما اقيمت المحلات الدنيوية على مقربة من مدن الخلود ولكن فى بطن الوادى حيث التربة الخصبة والمياه الوفيرة •. أما المسلمون فلم يخصصوا فى مناطق تواجدهم اماكن خاصـــة يقيموا فيها قبورا مجاليتية على نمـــط تلك القبور التى نشأت فى مصر القديمة بل اكتفوا بان ينشئوا مقابر بسيطة على تخوم اماكن التجمع السكانى وبالتدريج على مرور الزمن كثيرا ما اصبحت تلك القبور داخل مناطق السكن •

حقيقة كان التدفق العربى الاسلامى الى مصر منذ القرن السابع الميلادى تدفقا تاريخيا لا جدال فيه اذ لم يكن قيامهم فى مصر نتيجة لتسريات قبلية أو شعوبية الا انه رغم ذلك فقد شاركوا المصريين فى استغلال محلاتهم العمرانية المتوارثة ، ولم يكونوا فى ذلك اصحاب سبق فقد استغل هذه المواقع من قبل اليونان والرومان كما انهم فى المراحل الاولى للاستقرار حرم الخلفاء على الجند فى سائر الاقاليم المفتوحة الاشتغلال بالزراعة أو امتلاك الارض كى لا يركزوا الى الكسل ويسيطر عليهم من المال والنعيم •

وقد ظلت الحدود الادارية فى مصر ملائمة لغرض انشائها فى العصر الفرعونى ، ثم جاء اليونان ومن بعدهم الرومان وكان توجيههم

الجغرافي صوب البحر وكانت حضارتهم تتناقض مع الحضارة الفرعونية ، وكان من المفروض ان ينعكس هذا الاختلاف على اسلوب استغلال الارض ومن ثم على كيفية ادارتها ، ولكن الطبيعة المصرية أملت على الوافدين الجدد معالم بيئتها ولذا كان عليهم ان يقبلوا النظام الاداري الذي وجد في وادي النيل منذ بدأ الانسان المصري يتفاعل مع بيئته غاية ما في الامر ان المقاطعات أو النوم Nome التي ارتبط تقسيمها بسيادة الالهة وفي نفس الوقت بمراعاة طبيعة الارض الزراعية تغيرت اسماؤها • وقد قسم اليونانيون مصر الى ثلاثة اقسام كبرى هي من الشمال الى الجنوب اقليم الطيباد واقليم اركاديا ثم اقليم هبوتوما وحينما وفد الرومان استعملت الاسماء مرة أخرى وبقى المضمون ثابتا فكلمة ابرشيه حلت محل الاقليم •

وحينما وفد العرب سكان البادية الغرباء على الارض الزراعية وعلى مورد المياه الدائم فلم يكن لديهم خيار في ان يرتضوا الاسلوب الذي سبق وان ارتضى به السابقون • كان عليهم ان يقبلوا نظاما اداريا متطورا مبتعدين في ذلك عن أي محاولة يائسة قد توقع الضرر بارض زراعية يصفها عمر بن العاص فيذكر « ان من اراد ان يذكر الفردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين يخضر زرعها وتنمو ثمارها » •

والتغير الاداري الذي حدث في العصر العربي هو تغير في اسماء الوحدات الادارية أيضا فبعد أن كان يطلق عليها حلقات أو دوائر بيزنطية غدت تسمى « كورا » تكبر أو تصغر بمقدار ما اقتضاه نظامهم الاداري وهذا يعني ان حجم الكورة وشكلها قد تغير أو تناقص عبر الزمن وباختلاف المكان • ليس هذا فحسب فالحضارة والعمران اثرتا ايضا في شكل وطبيعة الكورة وهكذا اختلفت

كور صعيد مصر عن مصر الوسطى ومصر السفلى اذ ان ركيزة العرب فى مراحل استقرارهم الاولى فى مصر كانت فى الدلتا المتسعة المنبسطة الامر الذى ترك بصماته على احجام الكور التى كانت هناك فحملت صفات الانبساط والاتساع • وقد كان التقسيم الادارى للعرب فى ابسط اشكاله ووحداته يحمل اساسا ماليا يرتبط بتقدير الخراج • فقد كانت المحلة العمرانية قرية كانت أو نجعا أو ناحية تعتبر من وجهة نظر الخراج وحدة مالية لها زمامها الزراعى الخاص يحدد فواصلها وقراها التى تحددها عن النواحى والقرى المجاورة لهـــا •

فيذكر ياقوت الحموى ان كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر اسمها ذلك اسم الـكورة • ويذكر الاصفهانى « ان الكورة اسم اشتق من اللغة الفارسية التى تعنى بها قسم » • وهذا ان دل على شىء فأنما يدل على ان التأثير الفارسى قد ورد سويا مع التأثير العربى الى ارض مصر وان كان ذلك بطريق غير مباشر •

ولعل من اهم المصادر التى تبين الاحوال الادارية فى مصر فى تلك الفترة كتاب البلدان لليعقوبى الذى ظهر فى الربع الاخير من القرن الثالث الهجرى وأورد فيه « وصفا للامصار والكور وما فى كل مصر من المدن والاقاليم ومن يسكنها من قبائل العرب واجناس العجم والمسافة ما بين البلد والبلد » • كذلك كتاب قدامه بن جعفر الذى يطلق عليه كتاب الخراج والذى صدر فى ٣١٦هـ • حيث وجه اهتمامه الاساس لوصف طرق البريد والولايات مع ايراد معلومات هامة عن تقسيم الارض وجباية الخراج • كذلك هناك كتاب محمد بن يوسف الكندى والذى ظهر فى تاريخ لاحق بعد كتاب الخراج

وذلك فى عام ٣٥٠هـ • تحت تاريخ ولاة مصر وقضاءها هذا بالاضافة الى كتاب ابن خردازابة وابن حوقل وغيرها من الكتاب•أما عن النشاط الاقتصادى فى مصر فى خلال العصر العربى فقد كان ايضا صوره صادقة للعلاقة القائمة بين سكان المنطقة والارض التى عاشوا فيها فاذا كان هيردوت قد عبر قديما عن هذا التفاعل بالاشارة الى ان مصر هبة النيل فقد بين المقريزى طبيعة التنوع المناخى داخل هذا الاطار حيث يذكر « ان كان أول مصر من جهة الجنوب عليه الاحتراق واخرها من الشمال الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة ، فما بين هذين الموضعين من ارض مصر الغالب عليه الحرارة وتكون قوة حرارية بقدر بعده من اسوان وقربه من بحر الروم • ومن أجل هذا قال ابقراط وجالينوس ان المزاج الغالب على الارض مصر الحرارة» ويضيف المقريزى « ان ارض مصر كثيرة الحيوان والنبات جدا لاتكاد تجد فيها خلوا من الحيوان والنبات وهى ارض متخلخلة فانك تراها عند انصراف النيل بمنزله الحمأه فاذا حلت الحرارة ما فيها من رطوبة تشققت شقوقا عظاما ، والمواضع الكثيرة للحيوان والنبات ارض كثيرة العفونه •• ويظهر من ارض مصر بالعشيات بخار اسود وأغبر وخاصة فى ايام الصيف ، وارض مصر ذات اجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشىء دون غيره وعنه ذلك ضيق عرضها واشتمال طولها على عرض الاقليم التالى••• وبالجملة فكل بقعة من ارض مصر لها اشياء تختص بها وتنفصل عن غيرها » •

وهكذا لم يدخل العرب طرق جديدة للزراعة فى مصر حيث ابقوا على الطرق المتوارثة من العصر الفرعونى والتى تقدمت نوعا فى العصر الرومانى ، فطريقة حرث الارض وتقسيمها الى خطوط وبذر الحب عن طريق الايدى واستخدام المحراث والمنجل والمورج

وغيرها من الادوات الزراعية التى عرفت فى مصر قبل وفود العرب بالاضافة الى الساقية والطنبور كلها ادوات استخدمت فى العصر العربى وان الزراعة اعتمدت فى بعض المناطق على مياه العيون والابار ولاسيما فى تلك المناطق الصحراوية التى اقيمت بها الاديرة وكان لها زراعات بساتين ذلك الى جانب استخدام نهر النيل الذى مثل المورد الرئيس للزراعة فى مصر •

وقد اتصل النظام المائى ببناء الجسور العديدة فى العصر العربى ولاسيما فى القرنيين الثانى والثالث الاغريقى وهى الفترة التى انغمرت فيها القبائل العربية فى العمل الزراعى • وقد ارتبط تحديد الاراضى المزروعة بمقدار المقررات المائية المتاحة لهذه الاراضى وبتحديد نوعية الاراضى المستصلحة فى زراعة المحاصيل المختلفة فزرع القمح والكتان فى ارض الباق واراضى الشراقى ، أما القرط والقطانى فقد زرعت فى الاراضى البورية ذلك الى جانب محاصيل اخرى زرعت فى انحاء مصر اذ اتسم الانتاج الزراعى بالتنوع والتخصص •

وقد ارتبطت الزراعة بالشهور القبطية وليس بالشهور العربية وزرع السكان محاصيل متعددة كالعدس والسمسم والخضروات والنباتات الريفية والبردى والبلح • وقد استغل المصريون اشجار النخيل التى كونت مصدرا لغذاء الفلاح واشجار البلح والسنط الى جانب انهم زرعوا الكتان والقصب الذى جلبه العرب اليهم من الهند الى جانب زراعة العنب •

وقد ارتبط الانتاج الزراعى بقيام بعض الصناعات كصناعة المنسوجات الكتانية التى كانت فى ايدى الافراد ذلك الى جانب

صناعة استخراج الملح والمعادن والاحجار وقد حمل الاقبــاط فى مصر العليا لواء هذه الصناعات لفترة طويلة من الزمن .

أما عن الانتاج الحيوانى فكانت تربية الخيول تمثل نقطة ركيزة فى حياة العرب فى مصر اذ ان الاهتمام بامتلاك قطعان الاغنام والماعز ظهر حتى فترة متأخرة فى القرن الثالث الهجرى .

أما عن حركة التجارة كجزء من النشاط الاقتصادى للسكان فقد لعبت اسواق القرى دورا فى هذا الصدد حيث اتسمت حركة البيع والشراء بنظام المقايضة وقد لعبت المواصلات الداخلية دورا فى تسهيل سبل التجارة عبر البلاد .

وقد استمرت مصر العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادى أو القرن السادس الهجرى حيث تمكن المماليك من السيطرة على البلاد عقب انتهاء الدولة الايوبية وحيث استمر حكمهم للبلاد حتى القرن السادس عشر الميلادى حين كونت مصر جزءا من الامبراطورية العثمانية . وفى اثناء الحكم المملوكى لمصر تغيرت ماهية البــلاد كثيرا وكان مرد ذلك الى ان المماليك قد استغلوا موقع مصر على طريق الشرق وكحلقة توصل بين العالم الاوروبى والموسمى وحققوا موارد مالية كبيرة من التجارة العابرة عبر الوادى واستغلوها فى اقامة القصور وترف الطبقة الحاكمة التى انفصلت عن طبقة المجتمع الريفى الذى اهمل شأنه وانعكس ذلك على اعمال الرى والانتــاج الزراعى ومن ثم الانتاج الصناعى وكانت المحصلة النهائية القاعدة الاقتصادية الرئيسية لمصر والمرتبطة بموردها المائى الدائم الجريان واراضيها المتجددة الخصوبة قد بدى يعتريها التغير لهذا الاهمال والاعتماد على دخل التجارة العابرة كمورد للبلاد . وقد زاد الامر

سوءا بعد تربع العثمانيون على عرش ولاية مصر اذ كان عليهم محاولة البحث عن مصادر حيوية للانتاج الاقتصادى فى مصر وذلك بعد ان اكتشفت طريق رأس الرجاء الصالح وتحولت اهمية طريق الشرق حول غرب افريقية وليس عبر البحر الاحمر ووادى النيل • وقد كان العهد العثمانى استمرار للاهمال الزراعى والصناعى الذى شهده العصر المملوكى بالاضافة الى الخلل الاقتصادى الذى تمخض عن فقدان السيطرة على الطرق التجارية صوب جنوبا شرق آسيا أو نحو العالم الغربى وبدخول العثمانيين الى مصر أخذ الطابع الادارى فى البلاد ابعاد رئيسية ثلاثة تتمثل فى الامن والدفاع والحصول على الضرائب ، وفيما عدا ذلك وجد المصرى نفسه فى فراغ وعزلة كاملة عن التيارات الحضارية ومن ثم سادت احوال من اسوء الى سوء حيث شهدت مصر فى غضون القرن ١٨ وفود بعض الاوربيين الذين جاءوا اليها فى صورة رحالة نجمع بعض المعلومات عن الاحوال الداخلية فى البلاد والتى استغلوا فى امداد بعض الطامعين فى مصر ببيانات عن تدهور الاحوال الاقتصادية وخير مثل على ذلك الرحالة فوليتى الذى أمد نابليون بونابرت فى جزيرة كورسيكا فى عام ١٧٩٢ بتقرير كامل عن تحصينات مصر وحيث تمكن نابلسون بعد ذلك بست سنوات من قيادة الحملة الفرنسية على البلاد •

وقد استمرت الحملة الفرنسية على مصر لمدة ثلاث سنوات خرجوا بعدها هم والحملة الانجليزية فى عام ١٨٠١ • وقد دخلت مصر بعد ذلك فى فراغ سياسى الى ان نجح محمد على فى عام ١٨٠٥ من الاستيلاء على السلطة حيث يبدأ منذ ذلك الوقت مصر الحديث •

المظهر الحضارى الحديث :

بدأت مصر تاريخها الحديث فى اطار تجمعات سكانية ذات اعداد قليلة حيث يذكر جومار وهو احد علماء الحملة الفرنسية فى تقدير لسكان فى عام ١٨٠٠ أن أكبر محلاتها العمرانية وهى القاهرة لا يزيد عدد سكانها عن ربع مليون نسمه وان الاسكندرية ودمياط تحتلا سويا المرتبة الثانية فى الحجم السكانى اذ يوجد فى كل منها ما يقرب من ١٦٫٥ ألف نسمة أما بقية عواصم الاقاليم فى اتخاذ مصر المختلفة فيتراوح عدد سكانها ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ نسمة .

وقد شهدت مصر الحديثة ثورات حضارية بارزة اثرت على ما هيتها ولعل من ابرزها الثورة الزراعية التى حدثت فى عهد محمد على وارتبطت باحلال الرى الدائم محل الرى الحوضى وما يتبع ذلك من شق الترع والرياحات وتعميم انصرف وادحال محاصيل زراعية جديدة وتوسيع الرقعة الزراعية وقد كان من نتائج اتساع الرقعة . الزراعية خلق اسواق جديدة للمحاصيل ومن ثم كان من الطبيعى ان تبدأ بعض المراكز المحلية فى الانتعاش وظهورها معتمدة على وظيفتها كنقطة التقاء ومركز للتسويق فى الاراضى الزراعيــة ، كما أن التوسع فى انشاء القنوات أدى الى ظهور بعض المواقع النهرية عند التقاء القنوات أو على المجارى الرئيسية ثم انشاء قناة السويس وما ترتب على ذلك من اعادة تأكيد اهميــة موقع مصر الجغرافى كحلقة بين الشرق والغربوما صاحب ذلك من انشاء مدن القناة . وهكذا لعبت وسائل المواصلات دورا لا يقل اهمية بأى حال حال من الاحوال عن الصناعة فى جذب السكان وهجرتهم الى عديد عن المدن . وقد احدثت الثورة الزراعية وتطور الصناعة وتقــدم وسائل المواصلات تغيرا شاملا فى الاقتصاد المصرى وواكب هذا

التغير تحرك سريع فى التركيب الاجتماعى والثقافى للسكان ذلك بالاضافة الى الثورة الديموقراطية التى تشكل معلم اساسى فى تاريخ مصر الحديث •

الموضوع الثانى

الأرض الطيبة

الأرض الطيبة

تحتل ارض الكنانه منذ اقدم العصور موقعاً فريداً فى الشمال الشرقى للقارة الافريقية وفى الطرف الشمالى لوادى النيل الخصيب . وهى فى هذا الموقع الجغرافى جعلها دولة من الدول التى تتمتع بميزات همزة الوصل بين عالمين احدهما اسيوى والاخر الإفريقى ولا سيما وأن المنطقة سهلة امام التحركات البشرية لا يقف فيها اى عائق يحول دون الربط والوصل بين العالمين .

وبالاضافة إلى ذلك تشرف مصر على بحرين يعرف أولهما البحر المتوسط الذى يوجد فى قلب العالم القديم وينتهى إلى المحيط الأطلس غرباً وما وراءه من مياه معتدلة باردة وثانيهما بالبحر الأحمر الذى شهد نشاطاً تجارياً مستمراً منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى وقتنا هذا والذى ينتهى إلى المحيط الهندى ودول آسيا الموسمية .

وقد كان الموقع الجغرافى هو المسئول إلى حد كبير عن العلاقات الحضارية والثقافية لمصر بالدول الاخرى ، اذ حدد هذا الموقع موجات الهجرات التى تصل إلى ارضها ، كما مكن المصريون من السيطرة على طرق التجارة الهامة المارة بالشرق الاوسط فى الفترة التى كانت تتمتع فيها البلاد بالاستقلال ، ولكن هذا الموقع طمع فيه غيرها من الدول خصوصا فى عصور الفوضى والانكماش.

وقد تأثرت مصر بالشرق تأثراً مستمراً ، وقد ادى ذلك إلى فتح صدرها للشعوب التى تسكن جنوب غرب آسيا فتأثر الفن والثقافة والحضارة العربية بهذه المؤثرات التى ربطت سكان شمال الوادى منذ اقدم العصور بجيرانهم فى الشرق .

وإلى جانب ذلك فقد دفع نهر النيل سكان مصر لأن يتجهوا بارواحهم صوب الجنوب إلى البلاد التى يجرى عبر اراضيها اكسيد

حياتهم حيث يتوقف انتاجهم الاقتصادى على مقدار ما يحمله اليهم من غرين وماء . وقد ساعدت الطبيعة على هذا التوجيه واكدت اواصلة منذ اقدم الفترات التاريخية كما سبق أن ذكرنا .

وتنبسط مصر على رقعة من الارض تبلغ مساحتها نحو مليون ك.م٢ ، وتبلغ مساحة الاراضى المستغلة بها ما يقرب من مساحة سويسرا أى ما يقرب من ٤ بالمئة من جملة مساحة الجمهورية مصرالعربية ، بينما يبلغ عدد سكانها ما يقرب من ٥٨ مليون نسمة . ومعنى ذلك أن كثافة السكان فى المناطق المعمورة بالسكان تقدر بحوالى ١٨٦٠ شخصاً فى الميل٢ فى حين ترتفع فى المناطق الريفية إلى ٢٥٠٠ نسمة فى الميل٢ . وقد ترتفع إلى اكثر من ذلك بالنسبة للاراضى الزراعية إذ تصل إلى ٢٩٧٦ نسمة فى الميل٢ أو ما يعادل شخص واحد لكل خمس فدان فى مقابل شخص واحد إلى كل ٩ر٠ فدان فى دول أوربا وإلى كل ٩ر٣ فدان فى الولايات المتحدة[١] .

وعلى الرغم من أن ارتفاع نسبة الكثافة قد تعطى فكرة مجردة عن الوضع الاجتماعى والسكانى فى مصر إلا أنها لا تمثل فى حد ذاتها سوى جزء من الاطار الجغرافى العام الذى تعيش فى داخلة البلاد . فارتفاع نسبة الوفيات العامة ونسبة وفيات الاطفال وانخفاض مستوى المعيشة ما هى إلا نتائج مباشرة لارتفاع الكثافات السكانية التى تمخضت بدورها عن تكالب وتكدس السكان فى رقعة من الارض حددت الطبيعة تخومها بدقة منقطعة النظير وجعلتها تتفق مع الاراضى الخصبة المجاورة لنهر النيل أو المناطق التى تتوفر فيها المياه فى المناطق الصحراوية التى تحيط بوادى النيل .

ولكى نتفهم الاطار الجغرافى العام الذى يعيش فيه المصريون ولنتوصل إلى معرفة مشاكلهم البيئية والامكانيات المختلفة التى يمكن استغلالها لتطوير حياتهم الاقتصادية والاجتماعية سنتعرض لدراسة

---

1 - Hance, op[. ci., P.119

ثلاث نقط هامة وهى :

أ ــ الجغرافية الطبيعة لمصر.

ب ــ الانتاج الاقتصادى فى مصر.

جـ ــ السكان.

أولا : الجغرافية الطبيعية

لعل من اهم المميزات التى تتصف بها اراضى مصر هو عدم التعقد فى التضاريس إذ يكون وادى النيل ودلتاه أهم ظاهره جغرافية فى البلاد بمعنى أن السهولة والانبساط فى التضاريس هى العلامة المميزة لأرض النيل .

على اىَ حال يقسم الباحثون الاراضى المصرية إلى ثلاث او اربع مناطق طبيعية كبرى لكل منها وتجعل لكل اقليم شخصيته الجغرافية المنفردة وهذه المناطق هى:

١ ــ وادى النيل

٢ ــ الصحراء الشرقية

٣ ــ شبه جزيرة سيناء[1]

٤ ــ الصحراء الغربية

وادى النيل

يبدأ نهر النيل فى الاراضى المصريةعند خط عرض ٢٢° شمالا عند قرية ادندان بعد أن يكون قد اجتاز الجندل الثانى إلى الجنوب من وادى حلفا . ويبلغ طول المسافة التى يقطعها نهر النيل منذ دخوله إلى الحدود المصرية حتى مصبه فى البحر المتوسط حوالى ١٥٠٠ك٠م إذ يبلغ طول مجرى النهر من ادندان حتى اسوان حوالى٣١٠ ك.م وحوالى ٩٦٥ ك.م بين اسوان ومدينة القاهرة ثم حوالى ٢٣٦ك.م من القناطر الخيرية

---

١ ـ تلحق شبه جزيرة سيناء بالصحراء الشرقية فى بعض الاحيان

إلى البحر المتوسط وذلك بالنسبة لفرع رشيد وحوالى ٢٤٢ك.م بالنسبة لفرع دمياط .

ويجرى النهر منذ دخوله اراضى مصر ولمسافة ٤٠٠ ك.م فوق منطقة من الخرسان التى ترتكز فوق صخور نارية قديمة تظهر فى بعض المواضع لتعترض مجرى النهر إلى الجنوب من اسوان ولتكون الجندل الأول .

وعند أسنا تختفى صخور الخرسان النوبى تحت صخور العصر الكرتياسى الاعلى ويتغير التكوين الجيولوجى ويظهر التكوينات الجيرية التى يستخرج منها الفوسفات فى المنطقة المحصورة بين سفاجة والقصير ثم تبدأ بعد ذلك الصخور الايوسينية بالقرب من أرمنت وتستمر متاخمة لوادى النيل حتى القاهرة ويجرى نهر النيل إلى الجنوب من اسوان فى واد ضيق تنتشر على جانبه مناطق زراعية متفرقة صغيرة المساحة . وقد كان النهر ينحدر هنا فيما سبق حوالى ١٠ قدماً فى مسافة ثلاثة اميال ولكن حينما اقيم خزان اسوان رفع المياه فى النهر فى الجزء الواقع خلفه وذلك لمسافة ١٠٠ ميل . وقد بنى خزان اسوان فى عام ١٩٠٢ ثم على مرتين ليصل اقصى ارتفاع له حوالى ٧٦ قدماً وليعطى مقداراً كبيراً من المياه . ويختلف التصريف النهرى عند خزان اسوان اختلافاً كبيراً من عام إلى آخر . ففى غضون ٥٠ سنة اختلف مقدار التصريف النهرى هناك ما بين ٤٢ و ١٣٠ بليون متر٣ . ومقدار الخزان على تخزين المياه تصل إلى ٣ر٥ بليون متر٣ من مياه النيل فى البحر المتوسط.

ومن اسوان إلى الدلتا يبلغ انحدار النهر ١ إلى ١٣ ألف . ويشرف على الوادى فى هذا الجزء الهضاب العالية ، ويختلف عرض الاراضى الخضراء بوضوح عن الاراضى الصحراوية المجاورة . هذا ولا يوجد اى خزان للمياه إلى الشمال من اسوان اللهم إلا بعض القناطر التى ترفع مستوى المياه فى النهر من أجل رى الأراضى المجاورة وتدفق المياه إلى

القنوات التي تأخذ من النهر[١].

ويلاحظ أن النهرّ يكاد يلتزم دائماً بالجانب الايمن من وادية ولا يتحول إلى الجانب الايسر إلا قليلا ومن ثم ارتبطت مراكز الاستقرار البشرى فى صعيد مصر بالضفة الغربية للوادى وليس بالضفة الشرقية ولا يشذ على هذه القاعدة سوى منطقة قنا حيث يغير النهر اتجاهه ويسير من الشرق إلى الغرب فى وادى التواشى[٢] الامر الذى ساعد على توزيع السهل الرسوبى على الجانبين ولكن ظاهرة الالتزام بالجانب الايمين سرعان ما تعود بعد ذلك ، فنجد أن اتساع الجانب الغربى من الوادى يصل عند بنى سويف إلى حوالى ٢٣ ك.م. فى حين لا يزيد اتساعة فى الجانب الشرقى عن عشرة كيلو مترات فقط .

وإلى الجنوب من القاهرة وعلى بعد ٦٠ ميلا يخرج من النيل بحر يوسف ليروى منخفض الفيوم الذى لعبت عوامل التعريه دورا هاماً فى تشكيلة فمنذ ما يقرب من ٣٦٠٠ سنة مضت تمكن أحد الفراعنة من استخدام هذا المنخفض كخزان للمياه يحمى مصر إبان الفيضانات العالية . وبعد ذلك بألف عام اصبح اقليم الفيوم جزءا من وادى النيل بعد أن بنت القنوات اللازمة لذلك . ويعيش الآن فى الفيوم حوالى ٨٧٠ ألف شخص فى مساحة من الاراضى الزراعية تقدر بحوالى ٧٠٠ ميل٢ . وتمتاز اراضى الفيوم بأن الرى يتم فى معظم اجزائها عن طريق التدفق الطبيعى إذ أن الانحدار تدريجياً صوب بحيرة قارون التى تخفض عن مستوى سطح البحر بحوالى ١٤٠ قدماً .

---

١ ـ يبلغ مجموع اطول القنوات الرئيسية فى مصر حوالى ٨٥٠٠ ميل وذلك إلى جانب ٤٥ الف ميل من القنوات والترع الرئيسية .

٢ ـ يعلل بعض الباحثين هذه لظاهرة بنظام جريان الماء الذى يؤدى إلى ظهور سلسلة من الدومات تسير مياهها عكس عقارب الساعة فتطابق بذلك مسيرة تيار النهر فى الجانب الايمن وذلك على النقيض من الجانب الايسر ، ومن ثم يحدث ارساب فى الجانب الايسر نتيجة لضعف التيار . هذا ويرجع البعض أسباب اتساع الوادى على الجانب الايسر إلى تاثير الرياح الشمالية الغربية التى تدفع مياه النهر بصفة دائمة نحو الجانب الشرقى ،، أنظر من عر[illegible] ـ نهر النيل ـ القاهرة ١٩٤٨ من ص ١٢٩ إلى ١٣٢ .

وإلى الشمال من القاهرة على بعد ١٢ ميلا توجد قناطر محمد على أو القناطر الخيرية التى بنيت أولا فى عام ١٨٣٠ ثم اعيد بناؤها من جديد فى عام ١٨٨٤ . وإلى الشمال منها يتفرع النيل إلى فرعى رشيد ودمياط وهذه القناطر هامة إذ أنها تتحكم فى رى حوالى ٧٠ بالمئة من جملة المساحة المنزرعة فى اراضى مصر .

وفى منطقة شرق القاهرة تظهر الطبقات الايوسينية التى اشرنا اليها من قبل فى جبل المقطم الذى يتكون من طبقتين من الحجر الجيرى السفلى منها بيضاء والعليا تميل إلى الاصفرار قليلا وهى آخر ما تكون من الطبقات الايوسينية .

أما فى غرب القاهرة فتوجد كتلة ابو رواش المكونة من الحجر الجيرى الكريتاسى والتى تعلوها طبقات غير متجانسة تنتمى إلى عصر الايوسين .

وفى غرب وشرق التكوينات الايوسينية تظهر تكوينات الاليجوسين والميوسين وهما اوسع انتشاراً فى غرب الدلتا منها فى شرقها .

وليس فى وادى النيل من تكوينات نهاية الزمن الثالث إلا القليل التى تتمثل فى الصخور الرملية التى تخف بوادى النهر بين الفشن والقاهرة . اما تكوينات البلايستوسين فتظهر فى الاقاليم الساحلية الممتدة من مرسى مطروح فى الغرب إلى العريش فى الشرق .

الدلتا

إلى الشمال من القاهرة يبدأ النهر فى تكوين دلتاه وذلك بعد أن اصبح غير قادراً على أن يسير فى مجرى واحد أو يحمل كل الرواسب العالقة به . ويحد دلتا النيل الآن فرعى رشيد ودمياط غير أن الدلتا فيما مضى كانت تتميز بوجود سبعة فروع ذكرها استرابون من الشرق رلى الغرب كما يلى:-

الفرع البيلوزى Pelusiac الذى كان يمر ببلدة بيلوز القديمة ،

الفرع التانيسى Tanitic الذى ينسب إلى بلدة تانيس فى شرقى بحيرة المنزلة ، ثم الفرع المنديزى الذى يجرى فيه الآن الجزء الادنى من البحر الصغير ، والفرع الفاتنتى Phatenetic ويطابق فرع دمياط ، ثم فى وسط الدلتا الفرع السبنيتى Sebennetic نسبة إلى بلدة سمنود الحالية ، فالفرع البلبيتى Bolbitic الذى يطابق فرع رشيد . واخيراً نحو الغرب الفرع الكانوبى الذى كان ينتهى عند مدينة كانوب على خليج ابوقير حيث تحتل الآن ترعة المحمودية جزء من المجرى القديم لهذا الفرع .

وتتميز الدلتا بوجود البحيرات التى تتاخم ساحل البحر المتوسط غير أن هذه البحيرات لا يقتصر وجودها فقط فى المناطق التى تلتقى فيها الدلتا مع البحر المتوسط بل توجد ايضاً فى شبه جزيرة سيناء حيث تظهر بحيرة مريوط . ويصل هذه البحيرات بالبحر بواغيز ضيقة لو تركت وشأنها لطمرت وانقطعت الصلة بين البحر والبحيرات ولذا تطهر هذه البواغيز باستمرار .

وتعتبر بحيرة المنزلة من اكبر البحيرات المصرية إذ تبلغ مساحتها حوالى ٤٠٠ الف فدان فى حين تصل مساحة بحيرة البرلس إلى ١٤٠ ألف فدان ومريوط إلى ٥٩ الف فدان وادكو إلى ٣٢ الف فدان .

ويفصل بحيرة المنزلة . البحر فتحة اشتوم الجميل ، وهى اقل البحيرات الساحلية عمقاً إذ تتصف الخلجان الطويلة الموجودة بسواحلها بأنها غير عميقة ذلك بالاضافة إلى أن الجزر تكثر بها .

وفيما بين فرعى دمياط ورشيد توجد بحيرة البرلس التى تتصل عن طريق بوغاز البرلس بالبحر المتوسط . وإلى الغرب من فرع رشيد وخلف خليج ابو قير توجد بحيرة ادكو ويربطها بالبحر منفذ ضيق عند المعدية ، وإلى الغرب منها كانت توجد بحيرة ابوقير التى ردمت مع اواخر القرن الماضى ودخلت ضمن الظهير الزراعى الذى يمون مدينة الاسكندرية . وإلى الجنوب من مدينة الاسكندرية توجد بحيرة مريوط

التى تختلف عن البحيرات السابقة فى انها لا تتصل بالبحر بل يفصلها عنه حاجز من صخور الحجر الجيرى البطروخى(١) ، ذلك إلى جانب أنها تقع تحت منسوب سطح البحر بنحو ٣ امتار . وقد كانت بحيرة مريوط فيما مضى اكثر ارتفاعاً مما هى عليه الآن اذ كان يمتد لسانا منها صوب الغرب غير أن جزء كبيراً من البحيرة قد جففت مع الامتداد العمرانى لمدينة الاسكندرية صوب الجنوب ، كما انكمش جزء آخر عقب أن ردم فى القرن ١٢م الفرع الكانوبى الذى كان يغذيها بالمياه .

منخفض الفيوم

يلحق منخفض الفيوم باراضى الوادى وذلك لان تربته تشبه إلى حد كبير تربة الدلتا والوادى ذلك بالاضافة إلى أن منخفض الفيوم يختلف عن غيرة من منخفضات الصحراء الغربية فى عدم اعتماده على مياه الينابيع والآبار كمورد مائى له بل يعتمد على بحر يوسف وعلى ما يجلبه من مياه النيل إليه .

وتبلغ مساحة منخفض الفيوم حوالى ١٧٠٠ ك.م٢ ويختلف عن اراضى الوادى فى أن سطحه غير مستوى إذ تنحدر ارضه انحداراً عاماً ناحية الشمال الغربى حيث توجد بحيرة قارون التى تتميز بوجود الشواطىء البحرية المرتفعة التى تشير إلى أن بحيرة قارون كانت أكثر اتساعاً ما هى عليه الآن . وتبلغ مساحة بحيرة قارون حوالى ٢٠٠ ك.م٢ .

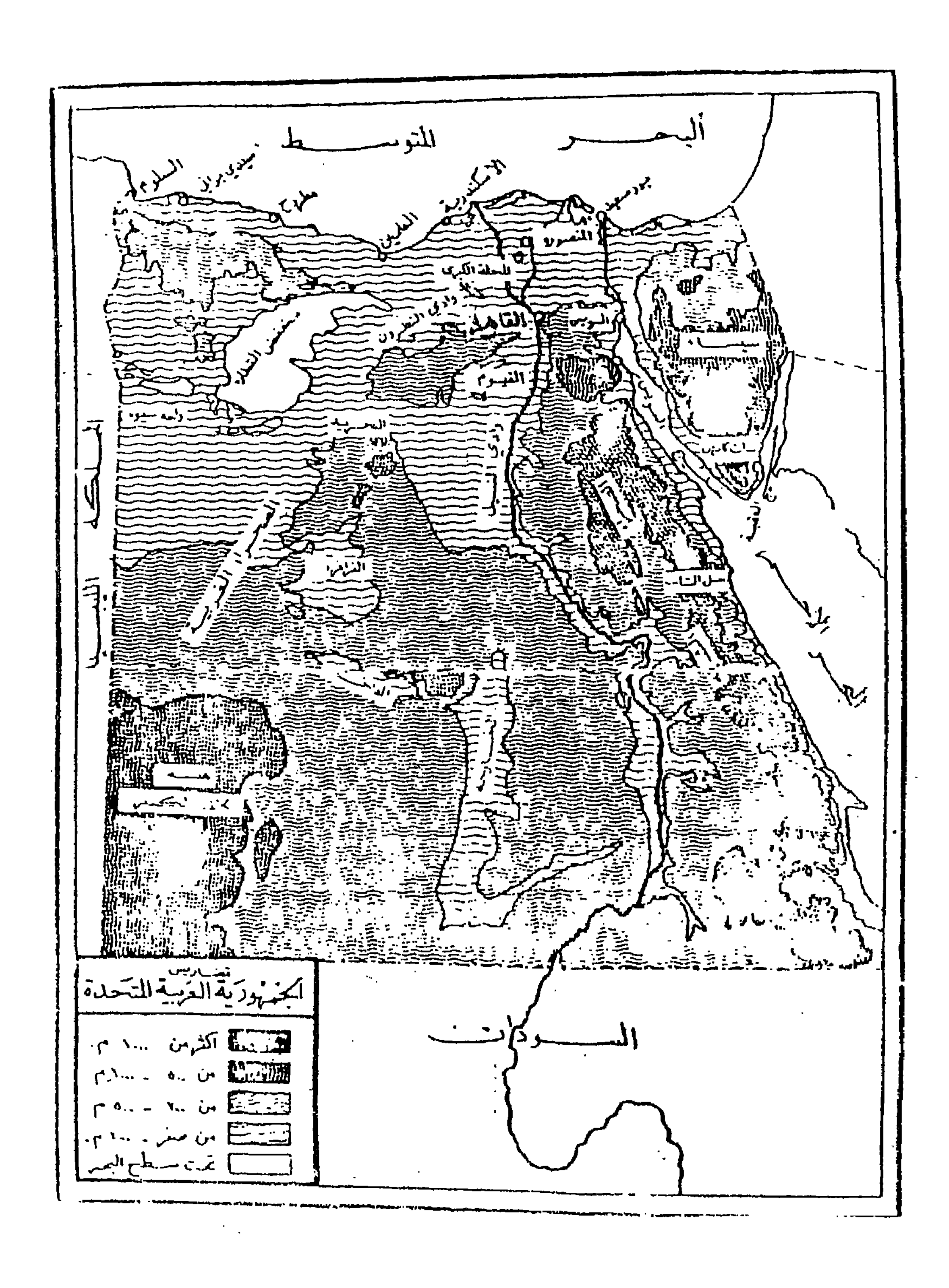
ويحف بمنخفض الفيوم نطاق صحراوى يفصله عن النيل ويختلف اتساعه من منطقة إلى اخرى فيصل عرضه ١٩ ك.م . وتأخذ هذه المنطقة الصحراوية فى الارتفاع التدريجى كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب لتصل إلى اقصى ارتفاع لها إلى الجنوب من فتحه اللاهون التى يدخل فيها بحر يوسف (٢) .

---

١ - يتكون الحجر الجيرى البطروخى من ذرات من رمال السليكا والجير .

٢ - يصل ارتفاع جبل اللاهون إلى حوالى ١٤٤ متراً فوق سطح البحر .

جمهورية مصر العربية



ويحدد منخفض الفيوم من الغرب جسر الحديد الذى يبدأ من غرب بحيرة قارون ثم يتجه صوب الجنوب فالشرق ثم الجنوب الشرقى لينتهى عند الحافة الشمالية لحوض الغرق السلطانى إلى الجنوب الغربى من منخفض الفيوم .

أما فى الجزء الغربى فيفصل منخفض الفيوم عن وادى الريان حائط صخرى يتراوح ارتفاعه ما بين ٤٠ و ٦٠ متر فوق سطح البحر ولا يزيد عرضه عن ١٥ ك.م. وتبلغ مساحة منخفض الريان حوالى ٧٠٠ ك.م٢ أما قاعة فينخفض عن سطح البحر فى اعمق اجزائه إلى ٤٢ متراً.

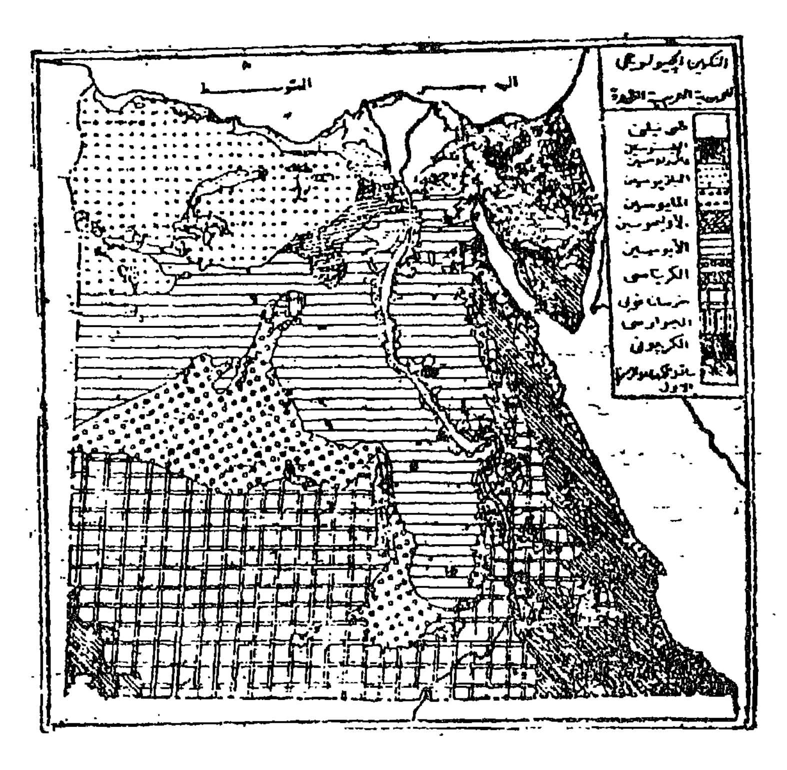
الصحراء الشرقية

تبلغ مساحة الصحراء الشرقية نحو ١/٤ مساحة جمهورية مصر العربية ، وتمتد فيما بين النيل غربا والبحر الاحمر شرقاً واراضى شمال شرق السودان جنوباً ودلتا النيل شمالا . وتتميز الصحراء الشرقية بوجود سلسلة من المرتفعات تطل على البحر الاحمر يصل ارتفاعها إلى حوالى ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر غير انها تنحدر بوجه عام من الشرق إلى الغرب ليصل ارتفاعها فى المناطق التى تتاخم وادى النيل ما بين ٢٠٠ و ٤٠٠ متر فوق سطح البحر .

وتنتمى تكوينات الصحراء الشرقية إلى عدد من الازمنه الجيولوجية فتسود الصخور الاركية التى من أهم انوعها الجرانيت فى الاجزاء التى تقع الى الجنوب من خط عرض ٢٩ْ شمالا ، كما تظهر ايضا صخور الديوريت الذى يحتوى على عروق الذهب التى استغلت فى ايام الفراعنة . ذلك إلى جانب صخور الزمن الثالث الممثلة فى الحجر الجيرى الايوسينى الذى ينتشر بين وادى قنا من ناحية ووادى النيل من ناحية اخرى ، والذى يعد اوسع انواع الصخور انتشاراً فى الصحراء الشرقية إذ يمتد صوب الشمال حتى الطريق الذى يربط القاهرة بالسويس .

أما تكوينات الميوسين التى تحتوى على كثير من المعادن من بينها الكبريت والرصاص والزنك والتى تتمثل فى تكوينات الحجر الجيرى

والطفل فتوجد على الشريط الساحلي الضيق الذى يفصل جبال البحر الاحمر عن البحر .



(شـ   التكوين الجيولوچى لمصر)

وبالنسبة لتكوينات البلايستوسين فتظهر على هيئة رواسب رملية شاطئية على طول ساحل البحر الاحمر حتى رأس بنياس وعلى الساحل الغربى لخليج السويس ، كما تتمثل أيضاً فى الشعاب المرجانية التى تمتد على طول سواحل البحر الاحمر فيما عدا المناطق التى تصب بها الوديان المنحدرة من جبال البحر الاحمر .

وتتكون جبال البحر الاحمر وهى اهم الظاهرات التضاريسية فى الصحراء الشرقية من مجموعة من الكتل الجبلية التى تفصل بينها أودية سريعة الجريان تسيل نحو البحر ومن أمثلة هذه الكتل الجبلية

جبل علبة الذى يصل ارتفاعه إلى حوالى ١٩١٢ متراً ويوجد على ساحل البحر بين وادى دعيب والساحل ، ومجموعة مجعف التى يحدها من الجنوب وادى الجمال ويصل ارتفاعها إلى ١٥٠٥ متراً .

ولا تبعد هذه السلاسل الجبلية كثيراً عن البحر إذ تشرف فى بعض الاحيان مباشرة على البحر وتتميز بأنها تنحدر بشدة وفجائية ناحية الشرق وببطىء وتدريجيا نحو الغرب . والسبب فى ذلك - كما نعلم هو أن مرتفعات البحر الاحمر ليست سوى الحافة الغربية للأخدود الإفريقى العظيم .

ولعل من اهم الظاهرات التضاريسية فى الصحراء الشرقية إلى جانب سلاسل البحر الاحمر هى وجود الاودية الجافة التى ارتبط تكوينها بالعصر المطير فى الزمن الرابع . وتنقسم هذه الاودية تبعاً لنظام تصريفها إلى مجموعتين احدهما تتصرف بمياهها إلى النيل والاخرى تسيل نحو البحر الأحمر .

أما عن المجموعة الأولى فتضم ثلاثة اودية رئيسية وهى من الجنوب إلى الشمالى وادى العلاقى ووادى خريط ووادى شعيت . ووادى العلاقى هو أهم الاودية الجافة التى تنحدر إلى النيل كما انه اطولها إذ يبلغ طول مجراه الرئيسى إلى أكثر من ٣٥٠ك.م فى حين لا يزيد طول المجرى الرئيسى لوادى خريط عن ٢٦٠ ك.م ووادى شبعيت عن ٢٠٠ ك.م ويصب وادى العلاقى فى النيل بالقرب من كورسكو بينما يصل وادى خريط إلى النيل فى شرقى سهل كوم امبو ووادى شعيت إلى الشمال من كوم امبو .

ومن الاودية التى تنحدر ايضاً صوب الغرب وادى دجلة الذى ينتهى إلى النيل فى ناحية المعادى ووادى حوف الذى ينتهى إلى النيل عند حلوان ثم وادى طرفة ووادى اسيوط ووادى الحمامات ذات الشهرة التاريخية القديمة والذى قام عن بدايته ميناء القصير الذى يدين بأهميته التجارية إلى الحركة على هذا الطريق الذى يربطها بالوادى .

ونظراً لقرب الصخور غير السامية من بطون الاودية المنحدرة نحو الغرب لذلك توجد بعض الآبار كما تنمو بعض الحشائش التى تستطيع أن تقيم أود عدداً من الرعاة ومن ثم كان نمط التوطن البشرى فى الصحراء الشرقية هو النمط المنتشر المتمركز على بطون هذه الاودية وهذا بخلاف الحال فى الصحراء الغربية التى يتكدس معظم سكانها فى الواحات .

وخط تقسيم المياه بين أودية النيل وأودية البحر الأحمر غير منتظم إذ يمر بمناطق وعرة المسالك صعبة المرور اللهم فى بعض المواضع المنخفضة المحدودة كما هو الحال عند قمة وادى لحم والقبل .

وأهم الاودية التى تنحدر إلى البحر الأحمر مرتبة من الجنوب إلى الشمال وادى الحوضين ووادى رحبة ووادى الجمال ووادى السكرى . ويبلغ طول الوادى الأول حوالى ١٠٨ ك.م ومساحة حوضه ما يقرب من ١٢ ألف ك.م٢ فى حين يصل طول وادى السكرى إلى ٤٠ ك.م ومساحته ٥٠٠ ك.م٢ ، ووادى الجمال إلى ٦٠ ك.م ، أما وادى رحبه فيصل مساحة حوضه إلى ٩٠٠ ك.م٢ .

وبالاضافة إلى هذه الاودية ومجموعة اخرى ينحدر بعضها إلى خليج السويس مثل وادى عربة ووادى ابو هاد الذى ينتهى بالقرب من جبل الغريب ووادى الملاحة الذى ينتهى بالقرب من راس مجسة . وجميع الاودية مراكز للنشاط البشرى فى الصحراء الشرقية إذ فضلا عن كونها طرق انتقال فتنمو بها نباتات تصلح كغذاء للحيوان ، كما يتيسر الحصول على المياه من باطنها .

شبه جزيرة سيناء [١]

تبدو شبه جزيرة سيناء على هيئة مثلث قاعدته فى الشمال ورأسه فى الجنوب ويحيطه البحر المتوسط من الشمال وخليجى العقبة والسويس من الشرق والغرب ، وتبلغ مساحتها حوالى ٦١ ألف ك.م٢.

---

١ ـ لدراسة هذه النقطة ارجع إلى :

Skrobucha, h Sinai, N.Y.,1966.

وتنقسم سيناء من حيث التضاريس إلى ثلاثة اقسام رئيسية وهى :

أ ـ القسم الجنوبى

ب ـ القسم الاوسط

ج ـ القسم الشمالى

أما عن القسم الأول فيتكون من كتلة قديمة من الصخور الاركية ، معقدة التركيب ، استطاعت أن تقاوم عوامل التعرية لتبقى على هيئة كتل جبلية مرتفعة اكثرها ارتفاعاً كتلة جبل سانت كاترين الذى يصل ارتفاعه إلى نحو ٢٦٤٠ متراً فوق سطح البحر وجبل أم شومر وارتفاعه ٢٢٨٠ متراً . وتبدو الكتل الجبلية على هيئة حوائط قائمة تنحدر بشدة صوب خليج العقبة ، أما الحافة الغربية فعلى النقيض من الحافة المنحدرة على خليج العقبة تتدرج فى انخفاضها نحو سهل يحاذى خليج السويس لمسافة ١٢٥ كم ويبلغ عرضه نحو ٢٥ ك.م ويعرف هذا السهل فى قسمه الشمالى الواقع إلى الشمال من بلدة الطور باسم الوادى فى حين يطلق على القسم الجنوبى اسم سهل القاع .

وقد تعرض الجزء الجنوبى من شبه جزيرة سيناء إلى اضطرابات بركانية فغطت الطفوح البازلتية بعض المناطق ، ذلك إلى جانب كان للانكسارات اثر كبير على المظهر العام لتضاريس المنطقة . وتتميز الكتل الجبلية بوجود الاخاديد الطولية التى تتجه من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى فى اتجاه خليج العقبة . وتمثل هضبة التيه القسم الاوسط من شبه جزيرة سيناء وتنحدر صوب الشمال الى البحر المتوسط تدريجيا ويمكن اعتبارها تتجه للصحراء الشرقية إذ لايفصلها عنها سوى خليج السويس . وقد لعبت عوامل التعريه دورا كبيرا فى نحت الصخور الجيرية الايوسينيه والتى يتكون منها الجزء الأكبر من هضبة التيه ولذلك فقد ظهر على السطح الطبقات الطباشيرية الكريتاسية ويقطع هضبة التيه مجموعة من الأودية التى تتجه مع الانحدار العام صوب الشمال والتى اهمها وادى العريش الذى يصب فى

ساحل البحر المتوسط بالقرب من بلدة العريش .وفى شمال هضبة التيه يوجد عدد من السلاسل الجبلية المتوازية التى تعتبر امتداداً لجبال فلسطين الساحلية و من اهمها جبل المغارة .

أما القسم الشمالى من سيناء فيضم المنطقة المحصورة بين البحر المتوسط شمالاً وهضبة التيه جنوبياً وهو عبارة عن منطقة سهلية تغطيها التكوينات البلايستوسينة الممثلة فى الكثبان الرملية التى تسير إلى جوار الساحل وتعتبر خزاناً كبيراً للمياه التى تسقطها الأمطار فى هذا الجزء . ويتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠ و ١٠٠ متر وتوجد بحيرة البردويل فى الجزء الشمالى من هذا القسم .

الصحراء الغربية

تعتبر الصحراء الغربية جزءاً من الصحراء الكبرى التى تمتد صوب الغرب حتى المحيط الاطلسى . وتشغل الصحراء الغربية مساحة اكبر من التى تشغلها الصحراء الشرقية إذ تفوقها بمساحة تقدر بحوالى ٤٥٧ك.م.وفى نفس الوقت تختلف عنها من حيث الظاهرات التضاريسية الموجودة بها.

فبينما تمثل الاودية الجافة المظهر الرئيسى فى الصحراء الشرقية نجد المنخفضات فى الصحراء الغربية تبدو وكأنها هى مراكز الاستقرار الرئيسية فى هذا النطاق الصحراوى الكبير .

وتتكون الصحراء الغربية من هضاب صخرية متوسط ارتفاعها حوالى ٥٠٠متر فوق سطح البحر. وهذه الهضاب تتمثل فى هضبة الخرسان النوبى التى يصل اقصى ارتفاعها عند جبل العوينات الذى يقع جزء منه داخل اراضى السودان . وهضبة الحجر الجيرى النوميولتى التى تنحصر بين منخفض سيوة والقطارة فى الشمال ومنخفض الولحة الخارجة والداخلة فى الجنوب ، وهضبة الحجر الجيرى الميوسينى التى تنحدر انحداراً تدريجياً صوب المتوسط . وتحصر هده الهضاب فيما بينها لحواض منخفضة هى مراكز الواحات تقع بين الهضبة الأولى

والهضبة الثانية المنخفضات الجنوبية التى تحتوى فيما بينها واحة الداخلة والخارجة و الفرافرة والبحرية ، فى حين يوجد بين الهضبة الثانية والثالثة المنخفضات الشمالية التى تختلف عن المنخفضات الجنوبية فى انها تأخذ اتجاه مستعرض كذلك تختلف عن المنخفضات الجنوبية فى أن كل المنخفضات الموجودة بها يصل ارتفاعها فى بعض اجزائها إلى ما دون مستوى سطح البحر. ويمتد هذا المنخفض الشمالى من منخفض الفيوم إلى واحة جغبوب بالجمهورية الليبية لتشمل منخفض القطارة وواحة سيوة ومنخفض وادى النطرون.

ويقع منخفض وادى النطرون على منسوب ٢١م. تحت سطح البحر وينخفض المنسوب فى سيوة إلى ١٧ متراً تحت مستوى سطح البحر وفى القطارة إلى٦٠ متراً تحت مستوى سطح البحر وإن تكن بعض اجزائه تنخفض إلى مستوى ١٤٣م. تحت سطح البحر .

وقد اختلفت اراء الباحثين حول الطريقة التى تكونت بها هذه المنخفضات فبعضهم يرجعها إلى التعرية الهوائية والبعض الاخرى يرجعها إلى التعرية المائية غير أنه حتى الآن لايوجد أى دليل قاطع يمكن أن نعتمد عليه فى ترجح رأيا الآخر .

ومن بين المظاهر الفزيوجرافية الاخرى الهامة فى الصحراء الغربية بحر الرمال الذى يمتد لمسافة ٨٠٠ك.م.تقريباً بين واحة سيوة فى الشمال والجلف الكبير فى الجنوب ويصل عرضه إلى ٣٠٠ك.م. ويبدو هذا البحر على هيئة سلاسل موازية من الكثبان الرملية والتى من اهمها سلسلة ابو محارق التى تمتد من الطرف الشمالى لواحات البحرية إلى الطرف الشمالى للواحات الخارجة ذلك فضلاً عن الكثبان الرملية المنفردة التى تنتشر بكثرة فى الصحراء الغربية وتأخذ الشكل الهلالى .

التـربـة

تنتمى التربة المصرية إلى التربات المنقولة والتربة المحلية . وتسود التربة الأولى فى معظم اجزاء مصر بينما توجد التربة الاخيرة خارج

اراضى الوادى والدلتا فى الواحات وفى شبه جزيرة سيناء. ويختلف سمك التربة المصرية من جهة إلى اخرى ولكن بصفة عامة تزداد سمكاً كلما اتجهنا صوب الدلتا إذ يصل عمقها فى شمال الدلتا إلى حوالى ٥ر١١ متراً فى حين يقل سمكها فى المنطقة بين اسوان والقاهرة إلى ٣ر٨ متراً ويمكن تميز الانواع التالية من التربات فى الجمهورية العربية المتحدة.

١ـ التربة الطينية أو التربة السوداء التى تصل نسبة الصلصال بها إلى ٥٠ بالمئة وهى تربة دقيقة الحبيبات شديدة التماسك تحتوى على كمية كبيرة من المواد الغذائية ولذا فهى لا تحتاج إلى كثير من الاسمدة الكيماوية . ولا يعطل استغلال هذه التربة إلا استواء السطح وانخفاضه فى بعض الاحيان إذ تتسرب اليها المياه من الاراضى المرتفعة المجاورة. فترتفع مستوى الماء الباطنى بها الامر الذى يحتم ضرورة وجود نظام صرف دقيق . وتنتشر التربة الطينية فى معظم اجزاء الوادى والدلتا .

٢ـ التربة الصفراء الطينية وتوجد هذه التربة فى مناطق متناثرة فى الدلتا او مناطق الانتقال بين التربة الطينية والتربة الصفراء . وتتراوح نسبة الصلصال فى هذه التربة ما بين ٣٠و٤٠ بالمئة وهى وسط فى خصائصها بين التربتين المحصورة بينهما .

٣ـ التربة الصفراء وهى تربة ملائمة لزراعة معظم الحاصلات المصرية وتتكون من خليط من الصلصال والرمال والطمى ، وتتراوح نسبة الصلصال ما بين ٢٠و٣٠ بالمئة أما نسب المواد الاخرى فمتفاوتة. وتتميز هذه التربة بأنها جيدة الصرف وتحتاج إلى تسميد. وتوجد هذه التربة بصفة خاصة فى الجزر الواقعة فى النيل أو فى فرعى دمياط ورشيد وكذلك فى المناطق التى تحف بالنيل وفروعه القديمة .

٤ـ التربة الرملية وتوجد هذه التربة على حافات الدلتا فى محافظات البحيرة والقليوبية والشرقية وكذلك تظهر فى الكثبان الرملية فى المناطق الشمالية الساحلية ، ذلك بالاضافة إلى بعض المناطق المتفرقة فى

وسط الدلتا كما هو الحال فى الجزر الرملية الاربعة المعروفة باسم ظهور السلاحف Turtle backs والتى توجد فى قويسنا . وتتصف التربة الرملية بكبر حجم ذراتها ومساميتها لذا فهذه التربة قليلة الاحتفاظ بالماء وتحتاج لتسميد دائم وخاصة التسميد بالاسمدةالعضوية وتلك لان حبيباتها سهلة التماسك .

٥ـ التربة الملحية وتنتشر هذه التربة في مناطق واسعة في شمال الدلتا في محافظة كفر الشيخ فى المنطقة التى تعرف باسم البرارى كما تتمثل ايضا فى وادى الطسيلات بشرق الدلتا وفى اراضى واسعة فى الفيوم . وارتفاع نسبة الاصلاح فى هذه التربة يعطل الاستغلال الزراعى ومن ثم فيتطلب اصلاحها غسل التربة من الاملاح بعد تنظيم عملية الصرف وزراعتها ارزا لكى يساعد على تخفيض نسبة الاملاح فى التربة قبل زراعة اى نوع أخر من النباتات التى لا تحتمل وجود الاملاح بكثرة فى التربة

مناخ مصر

يخضع مناخ مصر للمؤثرات البحرية والمؤثرات الصحراوية – فتتمتع مصر بكل مزايا المناخ الصحراوى دون أن يصيبها اضراره . فهى تجمع إلى جانب الشمس المشرقة والمناخ الجاف نهر النيل الذى يقدم لها موردا كافيا من الماء علي مدار السنة . وهى بحكم موقعها الجغرافي علي البحر المتوسط تسقط عليها الامطار فى فصل الشتاء ولا سيما فى شمال الدلتا . غير ان هذه الامطار غير منتظمة فى سقوطها كما انها قليلة الكمية إذا لا يزيد متوسط المطر السنوى فى مدينة الاسكندرية عن ٢٠٠ مم بينما ينقص عن ذلك كلما اتجهنا صوب الشرق او الجنوب إلي ان تصل إلى مناطق متوسط المطر السنوى بها لا يستحق الذكر . ولا يقتصر الامر فحسب علي تناقص كمية الامطار بل يبدو هناك تناقص ايضا فى عدد الايام الممطرة . ففى الاسكندرية يبلغ عدد الايام الممطرة فى السنة حوالى ٤١ يوما فى حين يصل عدد هذه الايام فى القاهرة حوالى

عشرة ايام فقط أما عن الحرارة فلعل اهم ما يميز مناخ مصر هو وجود المدى الحرارى الكبير سواء كان هذا المدى يومى أو فصلى وذلك فى جميع انحاء الجمهورية اللهم فى الجهات الساحلية الشمالية حيث تعمل المؤثرات البحرية والرياح الشمالية السائدة على تقريب هذا المدى ولهذا نجد مدينة الاسكندرية اكثر دفئاً من القاهرة فى فصلى الخريف والشتاء وأكثر اعتدالا منها فى الربيع والصيف . ففى فصل الشتاء يصل متوسط النهاية الصغرى لدرجة الحرارة فى مدينة الاسكندرية حوالى ٦ر١٠م فى حين ينخفض هذا المتوسط فى مدينة القاهرة ليصل إلى ١ر٧م . أما فى الصيف فتسجل مدينة الاسكندرية متوسط النهاية الصغرى لدرجة الحرارة فى شهر يوليو حوالى ٥ر٢٣ْم فى مقابل ٢١ْم لمدينة القاهرة .

أما فى الوجه القبلى أو فى صعيد مصر فنجد أن متوسط الحرارة اليومى فى شهر يناير فى مدينة كالاقصر يقل عن متوسطة فى الإسكندرية إذ يصل فى الاخيرة إلى ٧ر١٣ْم فى مقابل١٣ْم للأولى . وفى اسوان التى تقع جنوب الاسكندرية بحوالى الف كيلو متر نجد أن المتوسط اليومى لدرجة الحرارة فى شهر يناير لا يزيد سوى ٨ر١م عن متوسط درجة الحرارة اليومية فى مدينة الاسكندرية . غير أن المدى الفصلى للحرارة فى مصر ، ما بين ١٦ْ و ٢٢ْم اذ أن متوسط حرارة الشتاء يتراوح مابين ١٠ْ و١٥ْم ومتوسط حرارة الصيف ما بين ٢٧ْ و ٣٢ْم وقد ساعد جفاف الجو وعدم وجود السحب ووجود مدى حرارى كبير على أن يتمكن المصريون من الاعتماد على مياه نهر النيل وزراعة غلات البحر المتوسط فى الشتاء وغلات مناطق السافانا فى الصيف .

وبالنسبة للرياح نلاحظ أن الرياح الشمالية الجافة تلعب دوراً هاماً فى حياة مصر إذ انها هى المسئولة عن تلطيف المناخ بصفة عامة . كما انها تساعد على الملاحة النهرية .

وتتعرض الدلتا ومصر الوسطى إلى الرياح الغربية والشمالية

الغربية التى يسود معها الاعاصير المسببة لسقوط الامطار غير أن الرياح الجنوبية والجنوبية الشرقية تهب ايضا فى فصل الشتاء بعد مرور الاعاصير حيث يختلف اتجاهها تبعاً لموقع الاعاصير . ويمكن القول بصفة عامة ان الوجه البحرى يتبع الرياح الشمالية طول العام اللهم إلا فى الشتاء حيث تهب الانخفاضات الجوية فتنحرف الرياح لتهب من الجنوب الشرقى فى حاله تكوين الرياح الشمالية هى السيطرة طول العام على الوجه القبلى .

ومما هو جدير بالذكر أن الرياح الشمالية الشرقية لا تأثر كثيراً فى درجة حرارة الشتاء ، أما الرياح الغربية والشمالية الغربية فباردة نوعاً ما بينما الرياح الجنوبية الغربية والجنوبية تحمل البرودة من الصحراء فى فصل الشتاء ولكنها تزداد دفئاً فى الربيع . ونظرا لأن مصر بلد زراعى لذلك فلتغيرات الطقس اهمية عن المناخ ولا سيما أن كثيراً من الغلات التى تزرع فى وادى النيل من النباتات الحساسة للتقلبات الجو وخاصة القطن . وتتعرض البلاد لتقلبات فى الطقس فى شهرى ابريل ومايو وسبب هذه التقلبات هى الانخفاضات الجوية وخاصة الانخفاضات الخماسينية . ويتغير اتجاه الرياح المصاحبة لهذه الانخفاضات تبعاً لموقع مركزها ، وتتراوح المدة التى تهب فيها هذه الرياح ما بين يوم وثلاثة ايام ويندر أن تزيد عن خمسة أيام وتتأثر الزراعة المصرية إلى حد كبير بهذه الاعاصير الخماسينية .

على أى حال يمكن أن نقسم اراضى مصر إلى اربعة اقاليم مناخية صغرى وهى :ـ

١ – اقليم الساحل الشمالى .

٢ – اقليم الدلتا .

٣ – اقليم مصر الوسطى .

٤ – اقليم مصر العليا .

1 - Sutton , L. I., The climate of Helwan . Govt . press , Cairo 1926, PP. 57-58

ويمتاز مناخ الاقليم الاخير بانه متطرف ذات مدى حرارى كبير (حوالى ١٨ْم) ونادر الامطار وذلك على النقيض من الاقليم الأول الذى يخضع للمؤثرات البحرية التى تعدل من درجة حرارته فيقل المدى الحرارى به وفى نفس الوقت تسقط عليه كمية من الامطار تصل سنوياً إلى حوالى ٦ بوصات واغلبها يقع فى فصل الشتاء .

اما الاقليم الثانى والثالث فهما مناطق انتقال بين مناخ الاقليم المطير والاقليم الجاف ولذلك فيزداد المدى الحرارى فى الاقليم الثانى ليرتفع من ١١ْم إلى ١٥ْم ويقل المطر ليصل إلى ٢ر٥ بوصة أما الاقليم الثالث الذى يضم مصر الوسطى بما فيها منخفض الفيوم فمتوسط حرارته أقل من الاقليم الرابع واعلى من الاقليم الثانى كما أن نصيبه من التساقط السنوى ضئيل بالنسبة للقسم الذى يقع إلى الشمال منه .

موارد المياه :

يبدو من العرض السابق أن مصر لا تستقبل من الامطار ما يسمح بقيام حياة زراعية بحيث لو قدر لها أن تعتمد على المطر وحدة فى حياتها الزراعية لما استطاعت أن تصبح أكبر واحة زراعية فى شمال إفريقية. ولكن تعتمد جمهورية مصرالعربية اولا وقبل كل شىء على مياه النيل ثم يأتى بعد ذلك اعتمادها على المياه الجوفية[1] فمياه الامطار التى لا تستغل إلا فى مناطق محدودة جداً تتفق فى توزيعها مع الجهات البعيدة عن النيل والتى تستقبل قدرا من الامطار يكفى لاحتياجات الزراعة وكذلك فى الجهات التى تقترب فيها المياه الباطنية من السطح حيث تصبح عملية استخراج المياه الجوفية فى حدود الانتاج الاقتصادى المربح .وتعتبر منطقة مريوط وغرب الاسكندرية ومناطق شمال سيناء من أهم المناطق التى تعتمد فى انتاجها الزراعى المحدود على المطر إذ لا يزرع فى تلك البقاع إلا بضعة آلاف من الأفدنة يستهلك كل انتاجها جماعات البدو . ولا تساهم فى الاقتصاد الزراعى القومى بأى نصيب يذكر.

أما المياه الجوفية فتختلف فى طبيعة إستغلالها عن مياه الامطار إذ

---

1 - Hurst, H.E, The Nile , London, 1975, P.45.

كما نعلم أن الصحراء تحتل رقعة كبيرة من أراضي جمهورية مصر العربية ولذلك تقوم بعض الزراعات في واحات الصحراء الغربية معتمدة على المياه الباطنية التي ترجع بأصولها إلى الأمطار الساقطة على دارفور وكردفان وكذلك المياه المتسربة من النيل إلى طبقات الخرسان النوبي بالصحراء الغربية - وتمثل المياه الباطنية مصدراً أساسياً لكل عمليات التوسع الزراعي والاستثمار الاقتصادي في هذا الاقليم إذ أن هذه المياه كثيرة ولا يتطلب استغلالها سوى الخضوع لإشراف مائي دقيق - وهذا المورد المائي هو أساس مشروع الوادي الجديد بالواحات الخارجة والداخلة .

وقد توصل المصريون منذ القدم إلى استخدام مياه النيل في الزراعة ، كما عرفوا أيضاً النظام الذي تعتمد فيه الزراعة على فيضان النهر الطبيعي ، فعرفوا طريقة ري الحياض ، وكيفية التحكم في بقعة من الأرض يرغب في زراعتها عقب غمرها بمياه الفيضان . وقد استمر هذا النظام حتى بداية القرن التاسع عشر أو حتى البدء في «مرحلة الترع الصيفية والقناطر الخيرية»[1] . وفي ظل ري الحياض لم يكن هناك ضابط للتنظيم أو تحديد العلاقة بين النيل والترع الآخذة منه وغاية ما في الأمر كانت تقام سنوياً سدود من الحجارة حينما يتم غمر الأحواض بالمياه . فكانت تقسم الأرض التي تروى رياً حوضياً إلى مناطق لا تزيد مساحتها عن ٤٠ ألف فدان ، وكان لكل حوض قناة خاصة تحمل مياه الفيضان إليه حيث كانت تقام قناطر حاجزة عند مآخذ الترعة من النهر وفي النقط التي تعبر فيها القناة الجسور العرضية ، كما كان هناك أيضاً قناطرة أخرى تتحكم في المياه التي تخرج من الحوض لتنصرف إلى النيل أو الصحراء أو إلى حوض آخر .

وقد لاءم هذا النظام أحوال البلاد ونجحت الزراعة عليه وذلك لأنه متفق مع أحوال النهر من جهة وملائم لمناخ البلاد من جهة أخرى ؛ وقد

---

١ – إبراهيم زرقانة – الري وإمكانيات التوسع الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة ، كتاب المؤتمر العربي الأول – القاهرة : ١٩٦٥ الجزء الأول ص ٢١٢ .

شمل نظام الرى الحوضى معظم اراضى مصر فى ذلك الوقت وكانت البلاد فى موسم الفيضان تبدو وكانها بحيرة عظيمة فى وسط الصحراء .

ومع استقلال مصر وارتقاء محمد على عرش مصر وضعت سياسة مائية جديدة للبلاد كان الهدف منها تغير نظام الرى الحوضى إلى رى دائم عن طريق حفر ترعة صيفية تجرى فيها مياه الصيف لا مياه الفيضان وذلك لزراعة القطن والغلات الصيفية الأخرى . ففى العشرينات فى القرن الماضى بعد أن حفرت الترع الصيفية فى مصر السفلى اصبح رى الحياض مقصوراً على مصر العليا غير انه بعد حفر ترعة الابراهيمية وتحويل مخرج بحر يوسف من النيل إلى الشاطىء الايسر من ترعة الابراهيمية فى عام ١٨٧٣ حولت منطقة الفيوم وكذلك المناطق الواقعة شمال اسيوط لمسافة ٢٩٥ ك.م إلى رى دائم .

ونظراً للتوسع فى اصلاح الاراضى البور بالدلتا وبسبب انتشار الزراعة الصيفية ولتفادى بعض الصعوبات الخاصة بتصريف القنوات فى الوجه البحري فقد شرع فى إقامة قناطر على قمة الدلتا فى عام ١٨٣٥ غير أن المشروع تعثر بعض الشيء فلم يتم إلا فى عام ١٨٦١ وقد ارتبط بانشاء هذه القناطر حفر الرياح التوفيقى الذى يروى اراضى شرق الدلتا والرياح المنوفى الذى يوزع مياه النيل فى وسط الدلتا ثم الرياح البحرى الذى يروى اراضى غرب الدلتا . ونظراً لأن قناطر محمد على قد اثبتت عجزها على مواكبة السياسية التوسعية فى الزراعة وبسبب تصدعها فقد شيدت قناطر جديدة إلى الشمال مباشرة من القناطر فى عام ١٩٣٨ .

وقد كانت القناطر أول عمل هندسى ينشأ على النيل فى كل مجراه بقصد التحكم فى مائه لتوفيره للزراعة الصيفية . وقد ارتبط بانشائها كثير من المشروعات التى تهدف إلى نفس الغاية . وقد تمكنت القناطر الخيرية من رفع منسوب المياه امامها إلى حوالى ١٥٫٧ متراً كما

تمكنت القناطر الجديدة من رفع المياه امامها زيادة عن الأولى بحوالى ٣٫٨ متراً .

وقد تبع مرحلة الترع الصيفية انشاء سد اسوان فى عام ١٩٠٢ الذى بدأ لتخزين المياه لأول مرة فى عام ١٩٠٣ . وقد كان المشروع يهدف فى الأصل ليكون مستوى التخزين على ارتفاع ١١٤ متراً ولكن بسبب اعتراض رجال الآثار فى ذلك الوقت خفض مستوى التخزين إلى ١٠٦ متر حيث سمح بتخزين مليار واحد من الامتار المكعبة ارتفعت إلى مليارين ونصف فى التعلية الأولى فى عام ١٩١٢ ثم إلى خمسة مليارات مع التعلية الثانية فى عام ١٩٣٤ ومع ارتفاع مستواه إلى ١٢١٫٠ متراً . وقد استفاد من التعلية الثانية فى سد اسوان فى عدة نواحى منها استخدام جزء من المياه المخزونة فى تحويل اراضى الحياض إلى الرى الدائم ، وتخصيص جزءا من هذه المياه لتحسين المناوبات الصيفية ذلك إلى جانب استخدام جزءاً آخر لضمان زراعة مساحة معينة من الأرز فى شمال الدلتا . وقد ارتبط انشاء هذا السد بكثير من المشروعات من شق الترع واقامة قناطر . ففى عام ١٩٠٢ انشئت قناطر اسيوط كما بنيت ايضاً فى نفس العام قناطر زفتى على فرع دمياط حيث ارتبط بالقناطر الأخيرة حفر ترعتين احدهما تصل إلى الرياح التوفيقى لتأمين التزاماته المائية فى الجزء الشمالى من مجراه والاخرى تحمل المياه إلى بحر شبين . وفى عام ١٩٠٨ اقيمت قناطر اسنا لتحسين الرى الحوضى فى محافظة قنا ، ثم بعد ذلك قناطر نجع حمادى واسيوط وذلك لتحسين الرى فى محافظتى سوهاج واسيوط وقد ادت قناطر نجع حمادى وظيفتها إلى حد كبير فتم تحويل نحو ٤٠ الف فدان من الرى الحوضى إلى الرى الدائم فى مركز اخميم والبدارى وابنوب ، وقد ارتبط انشاء قناطر نجع حمادى بحفر ترعتين وهما الترعة الغربية «الفؤادية» والترعة الشرقية «الفاروقية» .. ومما هو جدير بالذكر أن هناك عدة ترع تستمد مياهها من النيل مباشرة ، دون أن تتأثر بمستوى المياه أمام القناطر التى اقيمت على الاجزاء المختلفة من مجرى النهر ، واهم هذه الترع

ترعة السوهاجية التى تخرج من النيل عند بلدة سوهاج لتروى المنطقة الغربية من وادى النيل بين سوهاج واسيوط رياً حوضياً لانخفاض مستوى المياه فى الصيف عند مخرجها من النيل .

وبالرغم من كل هذه المجهودات فقد تبين أن التوسع الزراعى فى مصر يتطلب المزيد من مشروعات الرى ومن ثم فقد اتجه التفكير لأنشاء خزان عند جبل الاولياء بالسودان ، وبالفعل اقيم هذا الخزان وملىء لأول مرة فى عام ١٩٣٧ . وقد تمكنت مصر عن طريق خزان اسوان وخزان جبل الاولياء من الاستفادة بما يقرب من ثمانية مليارات من الامتار المكعبة .

وقد كان يقام على فرعى رشيد ودمياط بالقرب من ادفينا وفارسكور وذلك منذ أواخر القرن ١٩ سدوداً ترابية لتمنع مياه البحر عقب انتهاء الفيضان من الطغيان على مياه النيل والتوغل بها وافسادها ولتحول دون تسرب المياه إلى البحر بمعنى انها كانت تحافظ على المياه فى مجرى النهر حتى يمكن الاستفادة منها فى اغراض الرى فى القسم الشمالى من الدلتا . وتقدر المياه التى كانت تحجز عن طريق هذه السدود بحوالى ١/٢ مليار متر٣ من المياه سنوياً . وللتخلص من هذه الطريقة البدائية اقترح المهندسون اقامة قناطر ثابتة مكان هذه السدود فاقترح فى عام ١٩٣٤ اقامة قناطر على فرع رشيد عند ادفينا لتكون جاهزة للعمل ابتداء من عام ١٩٤٦ غير أن ظروف الحرب حالت دون تحقيق ذلك المشروع الذى لم ينفذ إلا فى عام ١٩٥١ ليحقق عدة فوائد رئيسية تتلخص فى تحديد مقدار الماء الذى يسمح بصرفه إلى البحر المتوسط ومن ثم فإن الغلق المبكر لهذه القناطر يساعد خزان اسوان إلى أن يصل إلى اقصى منسوب لتخزينه لان ملىء الخزان يعتمد إلى حد كبير على المياه المتدفقة إلى فروع النهر . وبالاضافة إلى ذلك فإن قناطر ادفينا كانت سبباً فى جعل منسوب المياه ثابتاً امام القناطر ولذا فقد قللت عمليات الرفع على طلمبات العطف بمقدار يتراوح ما بين ٥ر ـ ٥ر١ متر . ومعروف لدى المهتمين بشئون الرى فى جمهورية مصر

العربية أن طلمبات العطف تقوم بتغذية ترعة المحمودية التى تحمل المياه العذبة إلى مدينة الاسكندرية وذلك لمدة ٤٥ يوماً .

وهكذا استمر التحكم فى مياه النيل المورد الرئيسى للزراعة المصرية إلى أن اصبحت فى (الارض الطيبة) شبكة من ترع الرى تسير فى جنباتها لتوفر المياه الصيفية للغلات التى اخذت تحتل مركز الصدارة فى اقتصاديات جمهورية مصر العربية . وتبين الخريطة اهم الترع الموجودة فى الوجهين البحرى والقبلى ويلاحظ أن منطقة غرب الدلتا التى تصل مساحتها ما يقرب من ٦٥٠ الف فدان تعتمد اساساً على الرياح البحيرى وترعة المحمودية فى حين تعتمد اراضى وسط الدلتا التى يقدر مساحتها بما يقرب من ٣ر١ مليون فدان على الرياح المنوفى والترع العديدة التى تأخذ منه وتنتشر فى قلب مصر الزراعى وفى نفس الوقت يتولى الرياح التوفيقى بمعاونة ترعة الاسماعيلية وترعتى الشرقاوية والباسوسية رى منطقة قناة السويس والاراضى الزراعية فى شرق الدلتا والتى تشغل مساحة مماثلة للاراضى الزراعية فى وسط الدلتا .

ومما هو جدير بالذكر انه رغم النجاح الذى حققته السياسية المائية المعتمدة على حفر الترع الصيفية وتشييد القناطر والتخزين وضبط النهر وبرامج التوسع الزراعى العاجل إلا انه قد تبين عن طريق الدراسة انه لابد من الالتجاء إلى التخزين الطويل الامد حتى يتمكن المصريون من زيادة مواردهم المائية أمام ضغط السكان على الموارد الطبيعية وحتى يمكن اضافة مساحات زراعية جديدة يمكن ان تقدم الطعام لآلاف الانفس التى ترى نور الحياة فى مصر مع فجر كل يوم جديد . وقد استقر الرأى على اقامة السد العالى[1] .

---

١ ـ يوسف ابوالحجاج ـ السد العالى والتنمية الاقتصادية ط المكتبة الثقافية ـ القاهرة ١٩٦٤ انظرا ايضاً .

Pounds & Kingsbury, an atlas of Middle Eastern affairs, Methuem, 1964. P.

وقد شيد السد العالى على بعد خمسة اميال إلى الجنوب من خزان اسوان الحالى ويبلغ طوله ٢ر٦ ميلا وارتفاعه ٣٤٦ قدماً وسمكه عند القاعدة حوالى ٣٩٠٠ قدماً وعرضه عند الجزء الاعلى منه ١٢٦ قدماً ، ومعنى ذلك أنه سوف يمثل اكبر سد مائى فى العالم . وحينما يتم ملىء السد العالى سيكون قادراً على تخزين ١٢٥ مليار متر مكعب من المياه وسيكون بحيرة ناصر التى ستصل مساحتها إلى ٢٠٠٠ ميل٢ والتى سوف تمتد لمسافة ٣١٠ ميل وعلى النقيض من خزان اسوان لن تكون هناك ابواب أو فتحات للتحكم فى المياه بل يوجد نفق كبير يسير خلف السد فى وسط الصخور الصلبة الجرانيتية . أما عن فوائد السد العالى فتتلخص فى السماح بزيادة الرقعة الزراعية بمقدار ٣ر١ مليون فدان وبتحويل ٧٠٠ ألف فدان من الرى الحوضى إلى الرى الدائم ، وبتحسين نظام المصرف الحالى الموجود فى البلاد كما يحميها من الفيضانات العالية ، ذلك إلى جانب توليد طاقة كهربائية تقدر بنحو ٦ مليارات كيلو مترات تستخدم فى التصنيع ذلك إلى جانب تحسين الملاحة النهرية إلى الجنوب من موقع السد .

وقد تضمنت سياسية البلاد تنظيم وتحسين وسائل الصرف إذ أن التوسع فى مياه الرى قد ادى إلى ارتفاع مستوى الماء الباطنى ولا سيما فى الجزء الشمالى من الدلتا الامر الذى ترتب عليه تقليل الكفاية الانتاجية للتربة بعد أن ارتفعت نسبة الاملاح بها . وقد اهتمت الجهات المسئولة بحفر عديد من المصارف وانشاء جنابيات للترع الرئيسية يتراوح عمقها ما بين مترين ومترين ونصف لتخفيض مستوى المياه الباطنى تدريجياً لكى تستطيع التربة المصرية أن تظل محتفظة بخصائصها .

ومما هو جدير بالملاحظة أن اراضى الدلتا الشمالية تأخذ فى الانحدار التدريجى صوب البحر المتوسط لذلك فمنسوب المياه فى نهاية المصارف منخفض عن منسوب سطح البحر الامر الذى يحول دون صرف مياهه إلى البحر اللهم إلا إذا استخدمت الطلمبات ولذا فيوجد فى شمال الدلتا

ما يقرب من ١٨ طلمبة للصرف تدار بواسطة ثلاث محطات لتوليد القوى الكهربائية اقيمت فى السرو فى شرق الدلتا والعطف فى غرب الدلتا وبلقاس فى قلب الدلتا .

هذا ويلاحظ ايضاً أن اراضى مصر العليا لا تحتاج لنظام صرف بالمعنى الصحيح لأن النيل يعمل كمصرف كبير للاراضى الزراعية الضيقة المحيطة به والتى ما زالت تروى رياً حوضياً . اما مناطق زراعة قصب السكر فى كوم امبو وهى المناطق التى تروى رياً دائماً فقد زودت بالمصارف لتحفظ منسوب المياه الباطنية من الارتفاع .

وبالنسبة لمصر الوسطى والفيوم فنجد أن تحويل المنطقة الأولى إلى الرى المستديم اظهر حاجة ملحة لنظام صرف ومن ثم فقد زودت بعض جهاتها بمحطات صرف آلية نظراً لصعوبة الصرف كما هو الحال فى ديروط والجيزة ومحطة صرف تشيشة فى منطقة بنى سويف . أما فى الفيوم فتتم عملية الصرف بها بسهولة نظراً لأن انحدار الارض مستمر حتى بحيرة قارون . والمنطقة الوحيدة السيئة الصرف فى منخفض الفيوم هى منطقة الغرق السلطانى فى جنوب غرب المنخفض . وقد زودت هذه المنطقة بطلمبات للصرف نظراً لتعذر صرفها بالراحة .

ثانياً : الانتاج الاقتصادى

الزراعة :

تحتل الزراعة مراكز الصدارة فى مجالات الانتاج الاقتصادى بمصر اذ تساهم بما يزيد عن ٤٥ ./. من الدخل القومى وتستوعب حوالى٦٦ ./. من مجموع الايدى العاملة فى البلاد .

وتنقسم السنة الزراعية فى مصر إلى ثلاثة مواسم زراعية وهى الموسم الشتوى والموسم الصيفى ثم الموسم النيلى . وتعتمد الزراعة فى الموسم الأول على مياه الفيضان فى حين يتم زراعة غلات الموسم الصيفى فى وقت التحاريق أو الوقت الذى تقل فيه المياه فى نهر النيل .

ولذلك كانت المساحات المزروعة فى هذا الموسم وذلك قبل التوسع فى عمليات الرى مساحات قليلة ومحددة بكميات المياه التى يمكن توفرها فى هذا الموسم ومن غلات هذا الموسم القطن وقصب السكر . اما الموسم النيلى فيبدأ عندما يأخذ النيل فى التصاعد ، وتنقسم غلات هذا الموسم إلى قسمين وهما :

أ - غلات الدميرى وهى تلك المحاصيل التى تزرع فى الاراضى المنخفضة أو الواطية .

ب - غلات الغبارى وهى تلك الغلات التى تحتاج إلى مساعدة فى الرى نظراً لانها تزرع فى المناطق المرتفعة . وهى فى ذلك تشبه الزراعات التى تبذر فى موسم الشتاء فى الاراضى التى لم تغمرها مياه النيل اثناء الفيضان وتحتاج إلى رى صناعى .

وهذه الفصول الثلاثة ذات اهمية كبرى للإنتاج الزراعى الحالى فى جمهورية مصرالعربية إذ أن غلات موسمى الصيف والنيل لاتقل بأى حال من الأحوال عن أهمية الغلات الشتوية بل أن القطن وهو المحصول النقدى لجمهورية مصرالعربية يزرع ضمن الموسم الصيفى كما سبق أن ذكرنا .

على أى حال فيوجد فى الوقت الحاضر اختلاف كبير فى نظام وطبيعة الزراعة المصرية وذلك بالمقارنة بالحالة التى كانت عليها فى بداية القرن التاسع عشر واثناء حكم محمد على ، ويكفى أن نذكر أن درجة استغلال الارض فى ذلك الوقت كانت ترتبط إلى حد كبير بأستقرار الامور فى البلاد واستتباب الامن إذ أن عدد الملاك الزراعين كان قليلاً جداً لأن الدولة كانت محتكرة مرافق الإنتاج ، كما كانت الارض مثقلة بالضرائب وزاد الامر سوءاً لهذه الضرائب التى وقعت على كاهل صغار الملاك ، ذلك إلى جانب أن الغلات الزراعية حينئذ كانت قاصرة على زراعة المحاصيل الغذائية ولم يكن القطن قد احتل بعد المرتبة التى يتبوؤها الآن فى اقتصاد البلاد .

وقد تغير هذا الوضع فى الوقت الحاضر ، وجاء هذا التغير نتيجة للتطورات التى طرأت على الملكية الزراعية ، واحلال الرى الدائم بدلاً من الرى الحياض ، وتعديل نظام الدورة الزراعية ، واتباع سياسة زراعية موجهة تعتمد على تحديد المساحات المنزرعة من مختلف المحاصيل كما تعتمد على انتماء الحركة التعاونية بين الفلاحين واحلال الزراعة الآلية محل الزراعة البدائية التقليدية فأما عن نظام الملكية الزراعية فى مصر فمن المعروف لدى المهتمين بدراسة الإنتاج الزراعى أن الاراضى الزراعية كانت فى عهد المماليك موزعة عليهم وعلى الملتزمين الذى احتكروا الفلاح وارضه غير أنه بتولى محمد على الحكم فى مصر الغى نظام الالتزام فى عام ١٨٠٨ واحتفظ لنفسه بحق ملكية الارض الزراعية والسيطرة على جزء كبير منها ، ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلاً فما لبث محمد على أن ساعد على تكوين طبقة من الاعيان والملاك الاجانب المقربين إليه والذين منحهم بعض الاراضى الزراعية الخصبة التى عرفت باسم الابعاديات[١] وقدر مساحتها حينئذ بحوالى ٧٥ر مليون فدان ذلك فضلاً عن ٥ر مليون فدان اخرى عرفت باسم الجفالك ووزعت على افراد اسرته واقاربه . وفى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر صدرت اللائحة السعيدية فى عام ١٨٥٨ وبمقتضاها أعطى للفلاح المصرى ماسلب منه فسمح له بحق ملكية الارض غير أن الوقت كان متأخراً لأن جزءاً كبيراً من الارض اصبح فى ايدى ورثة اصحاب الجفالك والابعاديات ولم يتبقى للشعب إلا القدر الضئيل من الاراضى الصالحة للإنتاج[٢] .

ومع الثورة العرابية ، ورغبة في تهدأة الشعور القومي واسترضاء الشعب اصدر الخديوى مرسوما فى عام ١٨٩١ يعترف فيه بملكية لارض

---

١ ـ سميت هذه الاراضى بهذا الاسم لانها كانت مستعدة من نظام الضرائب الذى وضعت على الاراضى المصرية .

٢ ـ لدراسة تطور نظام الملكية الزراعية فى مصر فى خلال القرن ١٩ أرجع إلى :
Baer, G., A history of landownership in Modern Egypt 1800 - 1950 London 1962

المطلقة للفلاح وبحقه فى التصرف فيها كيفما يشاء. وقد كان الفلاح المصرى ظمأن لتراب ارضه الطيبة التى حرم منها زهاء قرن من الزمن أو اكثر ، غير أن المساحة التى قدمت له كانت ضئيلة إذ قامت السلطات البريطانية قبل صدور مرسوم عام ١٨٩١ ببيع اراضى الدائرة السينية إلى كبار الملاك ولذلك لم تزد نسبة الذين اصبحوا ملاكاً فى منتصف القرن ٢٠ على ١٤٪ من مجموع عدد السكان . وزاد من حدة المشكلة أن الملكيات لم تكن موزعة توزيعاً عادلاً بل كانت هناك قلة تملك معظم الاراض وكثرة لاتملك إلا القليل أو لاتملك شيئاً كما هو مبين فى الجدول الآتى :

شكل ملكية الارض قبل صدور قانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٥٢

ومن هذا الجدول يتبين أن حوالى ٩٤٪ من الفلاحين الحائزين على اراضى زراعية من صغار الملاك لايمتلكون أكثر من خمسة أفدنة فى مساحة كلية تقدر بحوالى ٣٥٫٤٪ من جملة مساحة الاراضى الزراعية

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	النسبة المئوية	المساحة الف فدان	النسبة المئوية
أقل من ٥ أفدنة	٢٦٤٢	٩٤٫٣	٢١٢٢	٣٥٫٤
من ٥ ـ ١٠	٧٩	٢٫٨	٥٢٦	٨٫٨
من ١٠ ـ ٢٠	٤٨	١٫٧	٦٣٨	١٠٫٧
من ٢٠ ـ ٥٠	٢٢	٫٨	٦٥٤	١٠٫٩
من ٥٠ ـ ١٠٠	٦	٫٢	٤٣٠	٧٫٢
من ١٠٠ ـ ٢٢٠	٣	٫١٢	٤٣٧	٧٫٣
اكثر من ٢٠٠	٢	٫٠٨	١١٧٧	١٩٫٧

فى حين يمتلك ٢٧٪ من جملة المساحة حوالى ٢ر٪ من عدد الملاك وهم الذين تزيد مساحة اراضيهم عن ١٠٠ فدان . وبصفة عامة نجد أن أصحاب الملكيات الكبيرة (إكثر من ٥٠ فدان) كانت نسبتهم ٤٪ بينما الباقى وقدره ٣ر٥٪ من مجموع الملاك فهم اصحاب الملكيات المتوسطة التى تترواح مابين ٥ر٥٠ فداناً . أما صغار الملاك فكان معظمهم من اصحاب الملكيات القزمية(١) التى تقل عن فدان واحد كما يظهر فى الجدول الآتى :

توزيع اصحاب الملكيات القزمية قبل صدور قانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٥٢

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	النسبة المئوية	المساحة الف فدان	النسبة المئوية
اقل من ١/٢ فدان	١٤٥٩	٥٥ر٣	٤١٣	١٩ر٥
من ١/٢ ـ فدان واحد	٥٥٢	٢٠ر٩	٣٥٧	١٦ر٨
من ١ ـ ٢	٣٢٨	١٢ر٤	٤٥٠	٢١ر١
من ٢ ـ ٣	١٥٣	٥ر٨	٣٥٤	١٦ر٨
من ٣ ـ ٥	١٥٠	٥ر٧	٥٤٨	٢٥ر٨

١ ـ لدراسة فكرة عن أحوال صغار الفلاحين قبل الثورة وكما يصورها بعض النواب البرلمانيين ارجع إلى :

Ayrout. H.B., The Egyptian Peasant, Boston, 1963 . PP. 12 - 34

وهكذا يبدو بجلاء أن توزيع الاراضى غير مناسب على الاطلاق مع فئات الملاك إذ أن أصحاب الملكيات القزمية كانوا يمثلون ٩٤ بالمئة من عدد الملاك فى مصر ويمتلكون ٢١٢٢ فداناً بينما يمتلك اقل من بالمئة من ١/٢ عدد الملاك نحو ٣٤٪ من مساح الاراضى الزراعية ومن أجل هذا سار الاصلاح الزراعى فى خطوات رئيسية نجملها فيما يلى :

١ - صدر قانون الاصاح الزراعى الأول فى عام ١٩٥٢ الذى حدد الملكية بمائتى فدان ثم صدر القانون الثانى سنة ١٩٦١ الذى حددها بمائة فدان فقط للفرد الواحد . ثم خفض هذا الحد فى الميثاق الوطنى إلى مائة فدان للاسرة وذلك ابتداء من عام ١٩٧٠ .

٢ - التزمت الدولة بدفع تعويضات للملاك الذين استولت على اراضيهم وفى نفس الوقت الزمت الدولة الملاك الجدد بدفع ثمن الاراضى التى آلت اليهم . ونتجت لتطبيق قانون الاصلاح الزراعى تغيرات لحجام الملكيات الزراعية تغيراً كلياً والجدول الاتى بين الملكيات الزراعية بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى بتحديد الملكية بـ ١٠٠ فدان على الاكثر من عام ١٩٦١ .

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	النسبة المئوية	المساحة الف فدان	النسبة المئوية
أقل من ٥ أفدنة	٢٩١٩	٩٤ر١	٣١٧٢	٥٢ر١
اكثرمن خمسة افدانه	٨٠	٢ر٦	٥٢٦	٨ر٦
اكثرمن ١٠ فدان	٦٥	٢ر١	٦٣٨	١٠ر٧
اكثرمن ٢٠ فدان	٢٦	٨ر	٨١٨	١٣ر٤
اكثرمن ٥٠ فدان	٦	٢ر	٤٣٠	٧
اكثرمن ١٠٠ فدان	٥	٢ر	٥٠٠	٨ر٢
المجموع	٣١٠١	١٠٠	٦٠٨٤	١٠٠

لعل ابرز الحقائق التى يبينها الجدول أن مجموعة كبار الملاك وهم من تزيد مساحة ممتلكاتهم عن ٥٠ فداناً والذين يكونون حوالى ٤ر بالمئة من جملة الملاك اصبحوا يمتلكون فقط حوالى ١٥ بالمئة من مساحة الاراضى الزراعية فى حين وضعت فئات الملكيات القزمية يدها على أكثر من نصف مساحة الاراضى الزراعية .

أما عن الدورة الزراعية فقد ظهرت كما سبق أن ذكرنا غلات جديدة كالقطن وقصب السكر منذ اوائل القرن التاسع عشر مما أدى إلى تنفيذ سياسة مائية جديدة ترمى لضبط ماء النيل وادخال نظام الرى الدائم ليحل محل نظام رى الحياض الذى عرفته مصر منذ أن عرفت الزراعة ومع ظهور المحصولات الجديدة انتشرت الدورة الزراعية الثنائية فى الدلتا والوادى وكان اساسها زراعة القطن مرة واحدة فى الارض كل عامين ، غير أن من أبرز عيوب الدور الثنائية قصر فترة الشراقى ولذا فلا تعطى التربة فرصة لتجديد خصوبتها . ولهذا فقد اتجهت السياسة الزراعية والمائية الحديثة إلى أتباع دورة زراعية ثلاثية يزرع القطن فيها مرة كل ٣ سنوات وذلك لكى تحتفظ التربة بخصوبتها ولخلق نوع من التوازن بين نظامى الرى والصرف ، وتسير الدورة الزراعية الثلاثية على النحو الآتى :

السنة الأولى يزرع البرسيم من نوفمبر إلى مارس والقطن من مارس إلى أكتوبر بينما تزرع الارض الخضروات فى السنة الثانية فى الفترة من نوفمبر إلى يونية فى حين تترك شراقى أى بدون زراعة فى الفترة مابين يوليو وسبتمبر ، أما فى السنة الثالثة فتزرع الارض بالحبوب الشتوية من أكتوبر إلى مايو ثم تترك شراقى لمدة شهرين بعد ذلك على أن تبدأ زراعة الذرة وهو آخر محاصيل الدورة الثلاثية من يونيو إلى أكتوبر .

وأهم مميزات الدورة الثلاثية أن اطالة فترة الشراقى بها تساعد على تخفيض مستوى الماء الباطنى وسهولة الصرف ، كما أن مساحة

الحاصلات البقولية نحو ٢/١ المساحة الاجمالية بينما تبلغ الربع أو أقل فى الدورة الثنائية ، ومن المعروف للمهتمين بالزراعة أن للحاصلات البقولية أثراً كبيراً فى زيادة الازوت فى التربة(١) ، ومن حسنات الدورة الثلاثية أيضاً أن الارض تبقى خالية من الزراعة فى شهر مايو ونظراً لشدة الحرارة فى هذا الوقت يحدث بالتربة شقوق تفيد كثيراً فى تهوية التربة ـ ذلك بالاضافة إلى أن زراعة القطن والارز تحتاج إلى تكرار الرى فى شهور الصيف الحارة ، ومن ثم فزيادة مساحته فى الدورة الثنائية تؤثر على كمية المياه اللازمة للزراعات الصيفية الاخرى ولاسيما الواقعة عند نهايات الترع .

ومما هو جدير بالذكر أن فى صعيد مصر حيث يحتل قصب السكر مركز القطن فى الوجه البحرى نجد نظاماً آخر للدورة الزراعية ، فالقصب من النباتات التى تبقى فى الارض فترة زمنية طويلة وهو من النباتات المجهدة للتربة ولاسيما فيما يخص بالمواد الازوتية والبوتاس ولهذا فتتبع فى اراضى زراعته دورة سداسية من شأنها أن يزرع قصب الغرس فى السنة الأولى ، وفى السنة الثانية يقطع القصب ويستفاد منه لأول الموسم وتترك البذور فى الارض ثم يقطع القصب ويستفاد منه لأول الموسم وتترك البذور فى الارض ثم يقطع القصب فى السنة الثانية ويسمى الحلقة الاولى ثم يقطع بعد ذلك مرة أخرى فى السنة الرابعة ويسمى بالحلقة الثانية التى تمثل آخر محصول لأن الارض تترك بعد ذلك بوراً من فصل الشتاء حتى اغسطس وتزرع بعد ذلك ذرة رفيعة تمكث فى الارض حوالى ثلاثة شهور ثم يتلوها زراعة القمح التى تمتد من نوفمبر حتى شهر مايو فى السنة الخامسة ، وتترك الارض بوراً بعد ذلك حتى شهر اكتوبر ليزرع الفول والحلبة التى تظل فى الارض حتى شهر مارس فى السنة الاخيرة من الدورة السداسية ثم تترك الارض بوراً إلى أن تبدأ دورة زراعية جديدة .

---

١ ـ محمد ابراهيم حسن الدورة الزراعية فى الجمهورية المتحدة
كتاب المؤتمر الجغرافى العربى ـ الجزء الأول ـ ص ٢٨٠ .

ولعل من التغيرات التى طرأت على الزراعة المصرية فى الوقت الحاضر هو الاشراف الدقيق على مواعيد زراعة المحاصيل المختلفة ومواعيد حصادها وكذلك تحديد المساحة المنزرعة من بعض الغلات ولاسيما القطن وذلك حتى يمكن اعطاء الفرصة لبعض الغلات الاخرى كالقمح لكى يزيد إنتاجها تبعاً لازدياد الطلب المحلى إليها . ذلك بالاضافة إلى إدخال الميكنة الزراعية رغبة فى زيادة الإنتاج الزراعى وتلبية لحاجة الجماهير التى تتزايد زيادة مضطردة مع إرتفاع مستوى المعيشة ونتيجة لخطة التنمية المضاعفة للدخل القومى ولاعتماد الصناعة فى جزء منها على خامات زراعية .

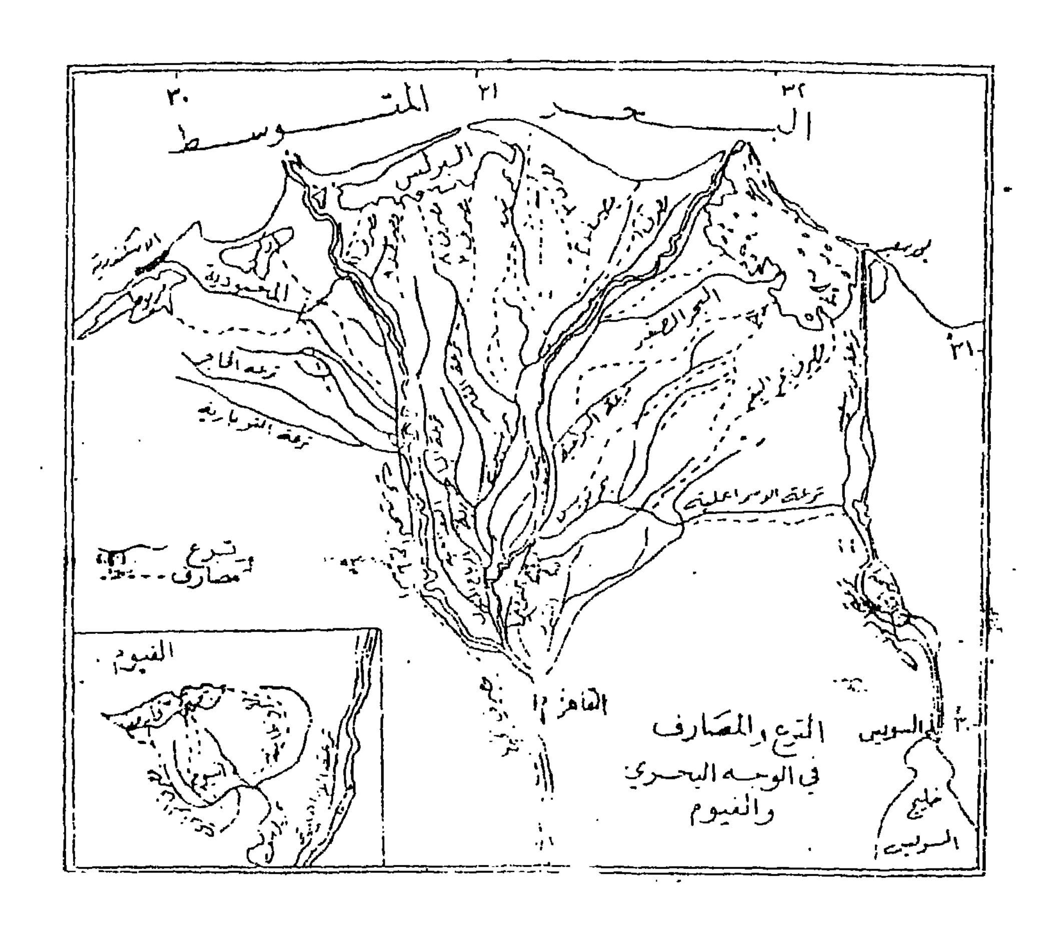
ويقصد بالميكنة الزراعية تأدية مختلف العمليات الزراعية بالآلات الحديثة التى تدار بقوى ميكانيكية والتى توفر الجهد وتخفض تكاليف الإنتاج . غير أنه بسبب انخفاض أجر العامل الزراعى وإرتفاع كثافة السكان وتغيب المساحات الزراعية الكبيرة كانت من الاسباب التى جعلت التوسع فى الميكنة الزراعية محدود وذلك إلى فترة قريبة حتى أنه فى الخطة الخمسية الأولى فى جمهورية مصر العربية لم تشمل الميكنة إلا أربع عمليات الحرث والرى والدراس والمقاومة على أساس أن يكون التوسع فى الميكنة بقدر ما تمتصه الصناعة من الايدى العاملة حتى لايترتب على تنفيذها بطالة ظاهرة .

ولاشك أن لإستخدام الآلة فى الحرث عديد من المزايا الاقتصادية التى تؤدى إلى تخفيض تكاليف إنتاج الفدان[1] وإلى تحرير الحيوان الزراعى ليستغل فى الغرض الاساسي من تربيته وهو إنتاج اللبن واللحم ومالهذا من أثر على زيادة الإنتاج الحيوانى . وقد دلت الدراسة التى جريت بمعرفة الهيئات العلمية بمصر أن هناك زيادة كبيرة فى الإنتاج عند إستخدام المحاريث الميكانيكية بلغت ٢٧٫٩ بالمئة بإستخدام المحراث الدوراني عن إستعمال المحراث البلدى .

---

١ _ الميكنة الزراعية واثرها على الإنتاج الزراعى _ مجلة الاحصاء والتعبئة _ القاهرة ١٩٦٢ _ ص ٤٦٣ .

الترع والمصارف



ومما هو جدير بالذكر أنه تبعاً للتعداد الزراعى الذى أجرى فى عام ١٩٦٠ يتركز ٧٠ر٩ بالمئة من جملة الجرارات بجمهورية مصرالعربية والبالغ عددها ١٢٦٢٧٢ فى الوجه البحرى ولاسيما فى محافظة الدقهلية التى بلغ نصيبها من الجرارات ١٨ر٣ بالمئة من جملة مجموعها فى البلاد وقامت بخدمة ١٠ر٧ بالمئة من إجمالى المساحة المنزرعة فى مصر ، ثم يليها بعد ذلك محافظة الشرقية التى وصل نصيبها إلى ١٤ بالمئة من جملة الجرارات وتخدم مساحة زراعية تبلغ حوالى ١٤ بالمئة من جملة المساحة .

أما عن الوجه القبلى فنجد أن نصيبه من آلات الحرث تبعاً لنفس التعداد حوالى ٢٩ر١ بالمئة التى قامت بخدمة مساحة بلغت نسبتها ٣٨ر٩ بالمئة من جملة المساحة ، وتتركز إستخدام معظم الجرارات فى محافظة المنيا ثم اسيوط فالفيوم فبنى سويف وسوهاج ، وبالنسبة للرى فأن استخدام الالات فى رى الاراضى المرتفعة أثر على الإنتاج الزراعى الحالى فى مصر إذ خفض تكاليف الرية الواحدة من ١٠٨ قرش فى حالة إستخدام الوسائل الأولية فى الرى مثل السواقى والطنبور إلى ٣٠ قرش بإستخدام الرفع الآلى . وبصفة عامة خفض تكاليف الرية الواحدة ساعد على خفض تكاليف زراعة الفدان ، وبالتالى خفض تكاليف الإنتاج الزراعى بنحو ٣٧ر٥ مليون جنيه من جملة الإنتاج[1] . ومن ناحية التوزيع الجغرافى لآلات الرفع فى مصر نجد أن أغلبها يتركز فى الوجه القبلى حيث يوجد هناك مايقرب من ٦٠ بالمئة من جملة الآت الرى وذلك لطبيعة رى الحياض هناك فى حين تصل هذه النسبة فى الوجه البحرى إلى حوالى ٤٠ بالمئة .

وعلى الرغم من أن الفلاح المصرى مازال يعتمد فى بعض مناطق مصر على الطرق البدائية فى الدراس وذلك بإستخدام النورج الذى تجره الماشية إلا أن إستخدام الالات الميكانيكية فى هذا الصدد مازال

---

١ ـ المرجع السابق ص ٤٦٨ .

يمارس على نطاق كبير فى المناطق التى تدخل فى نطاق مشروعات الدولة الزراعية .

اما بالنسبةلاستخدام الات الرش والمقاومة فمسائلة حديثة اهتمت بها الدولة اهتماماً كبيراً وذلك لتفادى الخسائر التى يتحملها المزارع فى مصر نتيجة لاصابة المحاصيل المختلفة ـ ولا سيما ـ القطن ببعض الأفات والامراض ويكفى لتدليل على اهمية استخدام هذه الالآت أن العجز فى محصول القطن يصل إلى ٢٥ بالمئة من جملة المحصول بسبب اصابته بالافات فى بعض السنوات ولذا فبمقاومة الافات بواسطة الالآت الرش تجنب الانتاج الزراعى مثل هذه الكوارث والخلاصة أن ادخال ألالة فى ميدان الانتاج الزراعى مظهر من المظاهر الحديثة التى طرات على هذا الميدان واثرت إلى حد ما فى الانتاج الحيوانى والانتاج النباتى إذ يقدر أن كمية اللحوم التى يمكن الحصول عليها عن طريق تحرير الحيوان من العمل فى الحقل بنحو ٣٢ الف طن سنوياً ويقدر ثمنها بنحو ١٣ مليون جنيه ذلك بالاضافة إلى أن انتشار الالات الزراعية سوف يؤدى إلى زيادة فى كمية الالبان بمقدار ثلث الانتاج الحالى ، كذلك امكن خفض الفاقد الناتج من الدراس بالالآت البدائية بنحو ١٠ بالمئة عند استخدام ألات الدراس .

ومن التغيرات الاخرى التى طرات على الزراعة فى مصر أبان القرن العشرين تطور الحركة التعاونية الزراعية ، ففى بداية هذا القرن كان صغار ملاك الأراضى الزراعية الذين يمثلون ٩٤ بالمئة من جملة عدد الملاك فى مصر حينئذ وكذلك كان المستأجرون نهباً للمرابين من التجار الذين يبيعونهم البذور والأسمدة وغيرها من الاشياء اللازمة للزراعة باثمان مرتفعة ويقرضونهم المال بفوائد باهظة مما ادى إلى تراكم الديون عليهم ولذا فقد لجئوا فى كثير من الاحيان لبيع محصولهم بثمن بخس قبل اتمام نضجة .

ونتيجة لذلك فقد قامت فى عام ١٩٠٨ بمعونة بعض افراد الشعب

فكرة انشاء بعض الجمعيات التعاونية التى انشئت بالفعل وكانت تسمى فى ذلك الوقت باسم النقابات الزراعية . وفى عام ١٩١٣ اصدرت الحكومة قانون الخمسة افدنة الذى يحول دون نزع ملكية الاراضى التى تقل عن هذه المساحة ولذا اغلق باب الاقتراض فى وجه صغار الزراع الذين امتنع التجار عن اقراضهم لعدم ضمان تسديد ديونهم . ولذا كان من الضرورى اصدار قانون للتعاون يسهل طريقة حصول هذه الطبقة عن طريق التعاون لجميع مستلزماتها الزراعية . ولهذا فقد صدر أول قانون لانشاء الجمعيات التعاونية فى مصر فى عام ١٩٢٣ ثم عدل فى عام ١٩٢٧ بعد أن تعهدت الحكومة بتمويل الجمعيات التعاونية وانشأت بنك التسليف الزراعى المصرى فى عام ١٩٣١ .

وبعد صدور قانون الاصلاح الزراعى فى عام ١٩٥٢ ولتلافى تدهور الانتاج الزراعى نتيجة لتوزيع الاراضى فى مساحات صغيرة على المعدمين وصغار الفلاحين ، ولامكان الاستفادة من مزايا الانتاج الكبير فقد نص قانون الاصلاح الزراعى على تكوين جمعيات تعاونية زراعية لمن آلت اليهم ملكية الارض المستولى عليها فى كل قرية ، ثم صدر بعد ذلك قانون عام ١٩٥٦ و ١٩٥٧ وبمقتضاها نظمت الجمعيات التعاونية واعفيت من الرسوم الجمركية وبعض الضرائب والرسوم الاخرى ، ومنحت تخفيضاً قدره ٢٥ بالمئة من اجور نقل الجرارات والآلات بالسكك الحديدية وتخفيضاً قدره ٥ بالمئة على الأقل من قيمة الأسمدة والبذور وغير ذلك من السلع التى تشتريها الجمعيات من المصالح الحكومية أو من بنك التسليف الزراعى .

أهم المحاصيل الزراعية

ما زال القطن يمثل مركز الصدارة بالنسبة للمحاصيل الزراعية فى جمهورية مصر العربية التى مازالت تعتبر من اهم الدول المنتجة للقطن[1] على الرغم من أن المساحة المنزرعة به قد خفضت فى السنوات الأخيرة للاشراف الحكومى وذلك حفاظاً على التربة واعطاء فرصة لزراعة محاصيل اخرى البلاد فى حاجة اليها وفى نفس الوقت

---

1 - Parker, G., The Geography of economics : A world survey, Longmans, London, 1965 , P.30.

تقليل خطورة الاعتماد على القطن كمحصول نقدى . ولذا انخفضت المساحة المنزرعة قطناً من ١٫٩٦٧٫٠٠٠ فدان فى عام ١٩٥٢ إلى ١٫٦١١٫٠٠٠ فدان فى عام ١٩٦٤ . وارتفع جملة انتاج المحصول من ٨٫٢٢٣٫٠٠٠ قنطار مترى فى عام ١٩٥٢ إلى ٨٫٩٥٤٫٠٠٠ قنطار مترى فى عام ١٩٦٤ . وقد صاحب ذلك زيادة المتوسط العام لمحصول الفدان من القطن الزاهر فارتفع فى نفس المدة من ٤٫١٩ قنطاراً إلى ٥٫٥٦ وبلغ فى عام ١٩٩٠ حوالى ٦ قنطاراً

ويزرع القطن فى جهات كثيرة من الدلتا ومصر الوسطى وبعض الجهات التى تصلح لزراعته فى الصعيد وذلك فى السنوات التى لا تفرض فيها سياسة تحديد المساحة . وتتركز زراعته فى الدلتا على وجه الخصوص إلى الجنوب من نطاق الارز فى محافظات البحيرة والغربية والشرقية والدقهلية حيث تزرع هناك الاقطان الطويلة التيلة فى حين تنتشر زراعة الاقطان المتوسطة التيلة فى محافظات المنيا وبنى سويف والفيوم أى فى مصر الوسطى ، وقد بلغ انتاج مصر من الاقطان الطويلة التيلة فى عام ١٩٩٢ حوالى ٤٫١١٣٫٠٠٠ قنطار ، ومن القطن طويل متوسط التيلة حوالى ٢٫٢٠٣٫٠٠٠ قنطار ، ومن القطن متوسط التيلة حوالى ٢٫٦٣٨٫٠٠٠ قنطار ، ولا تقتصر اهمية نبات القطن فى الحصول على قطن الزهر أو قطن الشعر منه بل يعطى ايضاً بذرة القطن التى بلغ انتاجها فى عام ١٩٩٢ حوالى ٧٫٦٦٧٫٠٠٠ اردب مترى فى مقابل ٧٫٠١٥٫٠٠٠ أردب مترى فى عام ١٩٥٢ .

ويحتل الارز المرتبة الثانية من حيث المساحة الزراعية بالنسبة للمحاصيل الصيفية إذ ارتفعت مساحته الارز الصيفى من ٣٦٤٫٠٠٠ فدان فى عام ١٩٥٢ إلى ٩٥٢ الف فدان فى عام ١٩٦٤[1] كما أن من الاهداف الرئيسية للحكومة وهو زيادة المساحة المنزرعة ارزاً بمعدل ٧٠٠٫٠٠٠ فدان ولا سيما اتمام السد العالى وذلك لزيادة الطلب عليه محلياً ولتصديره إلى الخارج إذ يلى الارز القطن فى قائمة صادرات مصر

---

١ ـ نقصت مساحة الارز النيلى فى نفس الفترة من ١٢ الف فدان إلى ١٠ الف فدان .

ومما هو جدير بالذكر أن مساحة الارز تخضع لتوفر كميات المياه أو قلتها ولكن فى مصر بفضل سياسية التخزين المائى فإن المساحة المنزرعة فى ازدياد دائم كما أن الانتاج فى تصاعد مستمر اذ وصل الانتاج فى عام ١٩٥٢ إلى ٥١٧ الف طن مترى وارتفع إلى ٠٠٠ر٠٣٦ر٢ طن مترى فى عام ١٩٩٢ . ويزرع الارز على وجه الخصوص فى الاراضى التى ترتفع بها نسبة الاملاح لذلك فتتركز زراعته فى شمال الدلتا ومنخفض الفيوم وهو بصفة عامة يشبه البصل والقصب من حيث تركز زراعته واستيطانها فى مناطق محدودة .

أما القمح فهو من المحاصيل الشتوية الرئيسية وتجود زراعته فى الاراضى الجيدة الصرف الخالية من الاملاح ذات التربات الصلصالية الخصبة وتتركز زراعة القمح على وجه الخصوص فى محافظة المنوفية حيث تسجل الكثافة السكانية هناك ارتفاعاً ملحوظاً بالنسبة للكثافات السكانية المتاخمة لها فى المحافظات الأخرى . كما تتركز زراعته ايضاً فى محافظتى البحيرة والشرقية رغم ان زراعته تنتشر فى معظم اجزاء مصر الصالحة للزراعة . وقد بلغت جملة المساحة المزروعة قمح فى عام ١٩٩٢ حوالى ٢ مليون . ولعل السبب فى ذلك إلى أن بعض المناطق المجاورة للمدن الكبرى مثل القاهرة تفضل التخصص فى زراعة الخضروات والفواكه عن زراعة القمح وذلك لأن المنتجات الأولى تجد سوقا رائجة لها فى مراكز الثقل السكانى .

أما عن الذرة فهو من المحاصيل التى تزرع ضمن موسمى المحاصيل الصيفية والمحاصيل النيلية ، فالذرة الشامية تزرع على وجه الخصوص فى موسم النيل إذ بلغت المساحة التى شغلتها فى هذا الموسم فى عام ١٩٩٢ حوالى ٥ر١ مليون فدام فى مقابل ٥١ الف فدان للذرة الرفيعة التى يفضل زراعتها فى الموسم الصيفى ولذا فقد وصلت مساحتها فى هذا الموسم فى عام ١٩٩٢ حوالى ٥٠٠ الف فدامن فى مقابل ٤٠٠ الف فدان للذرة الشامية .

ويعد الذرة من أهم المحاصيل الزراعية سواء من حيث مقدار الإنتاج أو المساحة المنزرعة ذلك بالإضافة إلى أنه يكون المادة الأساسية لصناعة الخبز فى ريف مصر الذى يضم أغلبية شعب جمهورية مصرالعربية ويبلغ الإنتاج السنوى من الذرة حوالى ٢٩٫٠٩٩٫٠٠٠ أردب من بينها ١٣٫٨١٤٫٠٠٠ أردب ذرة شامية والباقى ذرة رفيعة ، وجميع أجزاء مصر تصلح لزراعة الذرة غير أن مساحة الذرة تقل فى شمال الدلتا حيث يوجد نطاق الارز وماتلبث أن ترتفع كلما اتجهنا فى جنوب الدلتا إلى أن تصل إلى محافظة الجيزة فتأخذ المساحة فى القلة كلما اتجهنا صوب الجنوب فى الوادى ، ومع هذا التوزيع نجد أن حوالى ٨٠ بالمئة من مساحة الذرة الشامية الموجودة فى البلاد تتركز زراعتها فى الوجه البحرى فى حين تتركز زراعة الذرة الرفيعة فى الوجه القبلى .

ويعد البرسيم من ابرز غلات الموسم الشتوى وذلك من حيث المساحة المنزرعة إذ يحتل حوالى ٢٫٤٨٠٫٠٠٠ فدان من جملة المساحة المنزرعة فى ذلك الموسم والبالغة حسب احصائيات عام ١٩٩٤ حوالى ٥ مليون فدان . ومن المعروف أن لزراعة البرسيم أهمية كبرى فى جمهورية مصرالعربية إذ يمثل هذا المحصول العلف الرئيسى للماشية كما أنه يساعد التربة على تجديد موادها العضوية والاحتفاظ بخصوبتها ولاسيما بعد زراعة القطن ولذلك فتعم زراعة البرسيم فى جميع أنحاء البلاد وإن كانت تزداد مساحته فى شمال الدلتا لتوفر الظروف الملائمة لإنتاجه فى حين يقل فى جنوب مصر بسبب قلة الرطوبة فى الجو . هذا ويبلغ إنتاج البرسيم السنوى من التقاوى وذلك حسب أرقام عام ١٩٩٤ حوالى ٤٠٠ الف أردب .

وإذا كان القطن يمثل أساس الدورة الزراعية الثلاثية فى الوجه البحرى فإن الدورة السداسية فى الوجه القبلى تعتمد أساساً على زراعة قصب السكر الذى تتوفر الظروف لنموه والمتمثلة فى مناخ حار رطب تتخلله فترات تمتاز بجفاف الجو - فى صعيد مصر ولاسيما إلى المحافظات التى تقع فى الجنوب من أسيوط . والقصب من المحاصيل

الصيفية إلا أنه لايشغل مساحة زراعية كبيرة من جملة المساحة المنزرعة بالمحاصيل الصيفية والسبب فى ذلك أن مناطق زراعته محددة بظروف مناخية خاصة ، ففى عام ١٩٩٢ بلغت المساحة المنزرعة بالقصب حوالى ٢٥٠ ألف فدان من جملة المساحة المنزرعة بمحاصيل صيفية والبالغة حوالى ٤ مليون فدان أى مايقرب من ١ بالمئة من جملة المساحة المنزرعة .

وتنخفض نسبة المساحة المزروعة قصب فى الدلتا وذلك لأن نسبة السكر فى عصير القصب الذى يزرع فى الوجه البحرى ومصر الوسطى منخفض الامر الذى يحول دون إستخدام هذا النبات كمادة خام لصناعة السكر التى تتركز أساساً فى الوجه القبلى حيث يزرع هناك أنواعاً من القصب تتفق مع الظروف المناخية وتتميز بإرتفاع نسبة السكر فى عصيرها . ولايقتصر ارتباط زراعة القصب بصناعة السكر فحسب بل هناك أيضاً منتجات متعددة منه مثل المولاس والكحول ، وقد ارتفع إنتاج مصر من القصب من ٧٢٫٥٦١٫٠٠٠ قنطار فى عام ١٩٥١ إلى ٣٠٠ مليون قنطار فى عام ١٩٩٤ .

أما عن البصل فهو من المحاصيل الشتوية التى يتركز زراعتها فى الوجه القبلى على وجه الخصوص والتى تحتل مركزاً مرموقاً إلى جانب القطن فى صادرات مصر إذ يحتل المركز الثالث بعد الارز والقطن فى الصادرات ، وقد بلغت المساحة المزروعة بصلاً فى عام ١٩٩٢ حوالى ١٠٠ زلف فدان فى مقابل ٢٦ ألف فدان فى عام ١٩٥٢ ، وأهم مناطق إنتاجه محافظة المنيا وسوهاج واسيوط ، أما الوجه البحرى فلا يزرع بها إلا مساحة بسيطة من البصل الصيفى الذى يستهلك محلياً وتتركز زراعته فى محافظتى الشرقية والقليبوبية ويصل إنتاجه السنوى إلى حوالى ١٥ ألف فدان .

ومن الغلات الاخرى التى تنتجها (الارض الطيبة) الفول الذى تتركز زراعته بوجه خاص فى مصر العليا ومصر الوسطى فى حين مساحته فى الوجهع البحرى محدودة ، والفول يزرع من ضمن

محاصيل فترة الشتاء ولاتزيد مساحته المزروعة عن ٤٠٨ الف فدان وينتج سنوياً حوالى ٩٫٩٩٢٫٠٠٠ أردب ، أما الحلبة والعدس والترمس والحمص فهى ايضاً من النباتات التى توجد فى أرض الوادى ويدخل زراعتها ضمن الموسم الشتوى إلا انها لاتمثل مساحة كبيرة فى الإنتاج الزراعى ، ففى عام ١٩٩٢ بلغت جملة المساحة المزروعة بهذ الحبوب حوالى ٣٠٠ الف فدان فقط .

وبالنسبة للخضروات فتنتشر زراعتها فى جميع أنحاء جمهورية مصرالعربية ولاسيما بالقرب من مراكز العمران الكثيفة السكان حيث يوجد مراكز الاستهلاك الرئيسية ، وتزرع الخضروات على مدار السنة ولاترتبط بموسم واحد ، وتذبذب المساحة المزروعة خضروات فى المواسم المختلفة ففى فصل الشتاء عام ١٩٩٢ شغلت الخضروات مساحة مايقرب من نصف مليون فدان ثم أرتفعت المساحة إلى مليون فدان فى موسم الصيف وتشمل الخضروات الطماطم والجزر والسبانخ والبسلة واصناف اخرى متعددة كالارنبيط والقلقاس .. الخ .

أما فيما يختص بإنتاج ومساحة حدائق الفاكهة فيزرع بجمهورية مصرالعربية الموالح والعنب والتين والجوافة كما تزرع أيضاً المانجو والمشمش والموز والزيتون ويعد البرتقال من اهم انواع الموالح التى تزرع فى مصر .

الارض الجديدة بمياه السد العالى

يعتمد التوسع الزراعى الطويل الاجل فى جمهورية مصرالعربية على مياه السد العالى التى أمكن عن طريقها خلق اراضى زراعية جديدة تزيد مساحتها عن ١٫٣ مليون فدان فى الصحراء وفى الاراضى البور[1]

أما عن توزيع هذه الارضى الجديدة فتوضحهاحيث تبين أن هناك مايقرب من ٤٥٠ الف فدان فى منطقة جنوب بحيرة المنزلة والمنطقة

1 - Stevens, G.G., Egypt : yesterday and today, contemporary civilization Seris , N.Y., 1963, PP. 143 - 149 .

الممتدة على غرب قناة السويس فيما بين بورسعيد وبحيرة التمساح بعرض يبلغ متوسطه نحو ٣٠ ك.م. وفى منطقة الصالحية ، كما أن هناك حوالى ٢٦٥ ألف فدان فى منطقة البرارى بشمال الدلتا و٥٥ ألف فدان فى منطقة امتداد ترعتى النوبارية والحاجر و٦٠ ألف فدان فى القطاع الجنوبى لمديرية التحرير و١٥٠ ألف فدان فى منطقة مريوط و٢٠ ألف فدان فى منطقة بحيرة أدكو و٦٥ ألف فدان حول مصب فرع دمياط فى منطقة السنانية وشمال بحيرة المنزلة ، وذلك إلى جانب ١٧٢ ألف فدان أخرى متفرقة فى صعيد مصر .

ومما هو جدير بالذكر أن أراضى التوسع تشمل على قسمين أحدهما ترفع اليه المياه حتى مستوى عشرة أمتار والاخر ترفع المياه إليه إلى مستوى مابين ١٠ و ٢٠ متراً ، ويشمل القسم الاول صحراء الصالحية وبرارى شمال الدلتا ومديرية التحرير والاراضى الرملية فى الوجه القبلى وأراضى شرق قناة السويس من الفردان حتى ساحل البحر المتوسط ، أما المناطق التى ترفع إليها المياه إلى مستوى أكثر من عشرة أمتار فتشمل مساحة تقدر بحوالى ٨٠٠ ألف فدان وتوجد فى المناطق المرتفعة التى تقع ضمن المواقع التى ذكرت فى القسم الاول .

والخلاصة ان يمكن عن طريق التحكم فى مياه النيل وبواسطة مشروعات المياه االخرى من الممكن اضافة ٩ر١ مليون فدان إلى جملة الاراضى المزروعة حالياً والتى تصل ٢ر٦ مليون فدان ومن ثم تصبح مجموع الاراضى التى تروى بمياه النيل مايقرل من ٢ر٨ مليون فدان .

الإنتاج الحيوانى والثروة السمكية

يبلغ المتوسط السنوى لإستهلاك الفرد فى مصر من اللحوم حوالى ١٠ كيلو جرام فى السنة فى مقابل ٧٤ كيلو جرام متوسط الفرد فى الولايات المتحدة و ٤١ كيلو جرام للفرد فى انجلترا[١] . ومعنى ذلك أن

---

١ ـ محمد ابراهيم حسن ، الثروة الحيوانية ومشكلاتها فى الجمهورية العربية المتحدة ،، كتاب المؤتمر الجغرافى العربى الأول ، الجزء الأول ص ٤٠١ .

الثروة الحيوانية فى مصر لاتلعب الدور الذى يجب أن تكون عليه فى بلد تعتبر الزراعة ومايتصل بها من أعمال هى الحرفة الرئيسية ، والسبب فى ذلك عدم خبرة الفلاح بطرق تربية الحيوانات إذ لايهتم بالحيوان إلا ليساعده فى فلاحة الارض ويندر أن يخصص بعض حيواناته ليستفاد من لحمها ولتدر لبناً ، ذلك بالاضافة إلى عدم الاهتمام باصل السلالة فالفلاحون لايعرفون مبلغ إنتاج حيواناتهم فضلاً على إنتشار الامراض بين الحيوانات والتى تقدر خسائرها فى بعض الاحيان بحوالى ٢٠ بالمئة من قيمة الثروة الحيوانية .

وتشمل الثروة الحيوانية فى مصر حوالى ١ر٥٨٧ر٠٠٠ راس من الماشية و ١ر٧٧٠ر٠٠٠ راس من الأغنام وحوالى ٧٨٤ ألف راس ماعز و ١ر١١٥ر٠٠٠ رأس من الحمير و ٥٤ ألف راس من الخيول و١١ ألف راس من البغال ذلك إلى جانب حوالى ١٧٥ ألف راس من الجمال[1] التى تنتشر تربيتها فى أنحاء ريف مصر وايضاً فى المناطق الصحراوية .

أما عن الثروة السمكية فتتمع مصر بسواحلها طويلة تطل بها على البحر المتوسط والبحر الاحمر كما أن النيل يجرى فى وسطها وتوجد عديد من البحيرات فى شمال الدلتا ، ومعنى ذلك أن مصادر الثروة السمكية فى مصر تنحصر فى ثلاث مناطق وهى :

١ ـ البحار ويساهم إنتاجها السنوى بحوالى نصف إنتاج الاسماك فى مصر .

وتصطاد الأسماك من الرصيف القارى الذى يمتد أمام السواحل الشمالية لمصر والذى يبلغ متوسط عرضه حوالى ٥٠ ك . م.

٢ ـ البحيرات المصرية وتساهم بما يزيد عن ثلث الثروة السمكية .

٣ ـ نهر النيل ويساهم بحوالى ١٢ر٧ بالمئة من الإنتاج السمكى فى مصر ومن أهم انواع الاسماك المصيدة من المياه العذبة البورى والبلطى والبياض والقرميط بينما يستخرج من البحر المتوسط اسماك المياس

---

٢ ـ المرجع السابق ص ٤١٢

والسردين والجمبرى والمرجان ذلك الى جانب اسماك الشعاب المرجانية التى تصطاد من البحر الاحمر مثل الحريد والكشر والشعور[١] .

ومماهو جدير بالذكر أن معظم المراكب المستخدمة فى صيد الاسماك فى المياه المصرية من المراكب الشراعية إذ لاتكون السفن التى تسير بالموتورات «صغيرة الحجم فى معظم الاحوال» إلا حوالى ٦٩١ مركباً من جملة مراكب الصيد التى بلغ عددهاا فى عام ١٩٦٤ حوالى ١٥٢٠٧ مركباً، غير أن هذا الوضع قد تغير الان واصبح لدي مصر اسطولاً كبيراً لصيد الاسماك من السفن الميكانكية المجهزة لهذا الغرض.

الثـروة المعدنيـة :

لاتزال صناعة التعدين فى مصر فى طفولتها إذ لاتزيد قيمة المعادن المستخرجة سنوياً عن ٨ مليون جنيه ، ولاتزيد قيمة صادراتها عن ٥ر٢ مليون جنيه سنوياً ، ولعل من أسباب تأخر صناعة التعدين فى مصر هو وجود ثروتها المعدنية فى مناطق صحراوية بعيدة عن العمران ووسائل المواصلات ومراكز التسويق ومصادر المياه ذلك بالإضافة إلى زيادة تكاليف العمالية وبعثرة المناجم فى مناطق متفرقة الامر الذى يحول دون إيجاد تعاون بيها على نطاق كبير وعدم مهارة عمال التعدين وقلتهم[٢] ، وتحتوى مصر على عدد كبير من المعادن ولكن اهمها من ناحية الكمية المستخرجة ومن ناحية قيمة مساحته فى الاقتصاد المصرى الفوسفات والحديد والمنجنيز ، ذلك إلى جانب الملح والطلق والاسبتوس والنطرون ، ويوجد الفوسفات فى مصر فى طبقات عظيمة المساحة والسمك ويوجد فى مناطق عديدة فى المنطقة الممتدة بين سفاجة والقصير وفى السباعية والمحاميد فى المنطقة الممتدة من ادفو إلى أسنا وقد بلغ إنتاج الفوسفات فى عام ١٩٦٥ حوالى ٥٩٣٦٩٩ طن[٣]

---

١ - انور عبدالعليم ،، الثروة المائية ووسائل تنميتها فى الجمهورية العربية المتحدة ،، كتاب المؤتمر الجغرافى العربى الاول - الجزء الأول - ص ٢٧٣ .

٢ - فؤاد محمد الصقار ،، اقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة «الإنتاج الصناعى والمعدنى» - الإسكندرية ١٩٦٨ - من ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

٣ - اتحاد الصناعات بالجمهورية العربية المتحدة - الكتاب السنوى سنة ١٩٦٦ - ص١٩ .

استخراج معظمه من منطقتين رئيسيتين وهما :

أ ـ منطقة سفاجة والقصير ويوجد فوسفات الكالسيوم فى المنطقة الاولى بسمك حوالى ٤٠ متراً فى حين يختلف سمك الطبقة الحاملة للفوسفات فى المنطقة الثانية من مكان لآخر فتصل فى بعض الاحيان إلى ٤٠ سم ويقدر الاحتياطى الصالح للاستغلال فى هذه المنطقة بحوالى ١٢ مليون طن وتبلغ درجة تركيز ثلاثى الكالسيوم إلى ٦٣ بالمئة .

ب ـ مناطق الفوسفات فى وادى النيل فى منطقة السباعية والمحاميد ويقدر الاحتياطى بحوالى ٧٠ مليون طن وتبلغ نسبة ثالث كالسيت الفوسفات بها حوالى ٤٠ بالمئة فى المتوسط ، ويستهلك إنتاج فوسفات السباعية محلياً فى منطقتى كفر الزيات وابوزعبل ، أما الفوسفات الناتج من مانجم سفاجة والقصير فيصدر إلى الخارج ، وقد بلغت كمية ماصدر من فوسفات عام ١٩٦٥ حوالى ٣٧٣ الف طن .

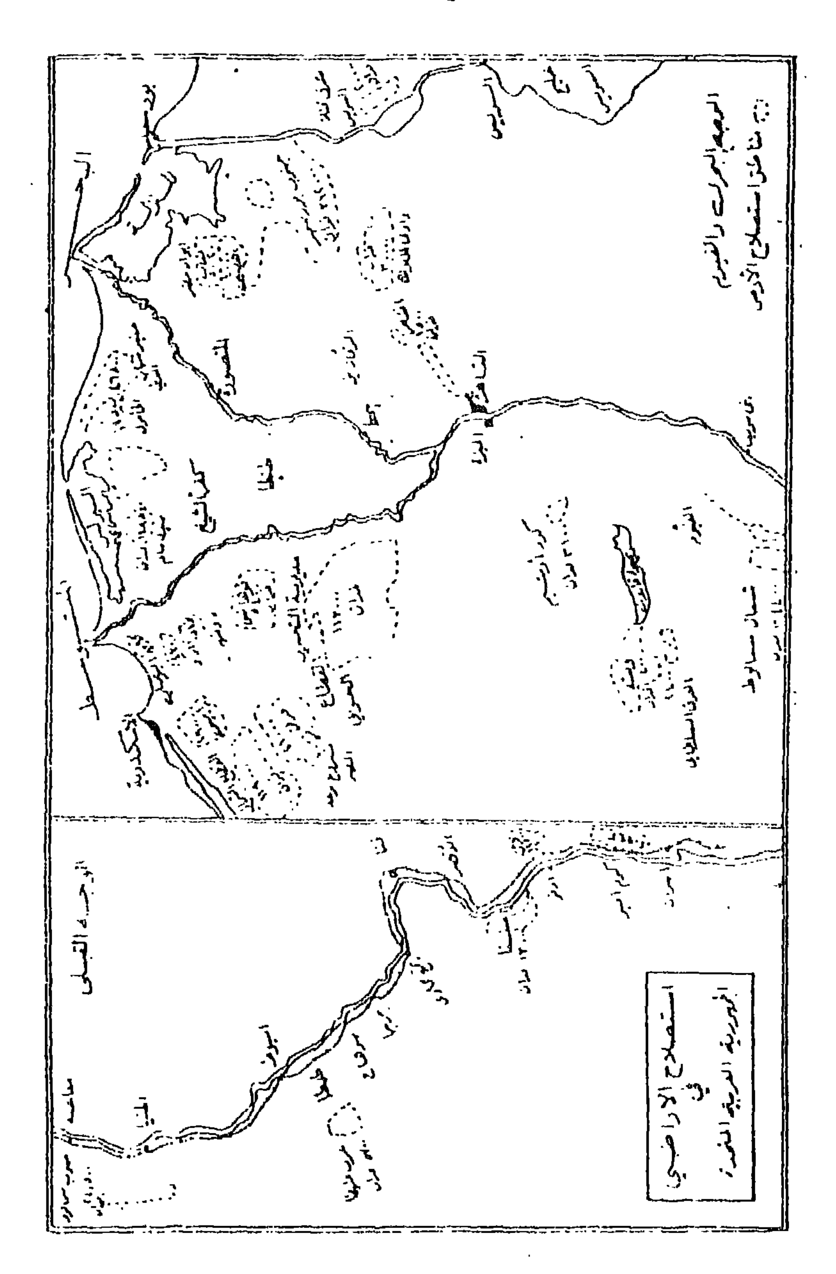
والى جانب منطقتى ساحل البحر الاحمر ووادى النيل يوجد الفوسفات كذلك بالصحراء الغربية فى الواحات الخارجة والداخلة ، ويبلغ سمك طبقة الفوسفات فى الواحة الداخلة مابين مترين وثلاثة أمتار ونسبة فوسفات الكالسيوم تتروارح مابين ٢٧ بالمئة و ٦١ بالمئة[1] .

ويوجد خام الحديد فى شرق اسوان والواحات البحرية وفى جنوب غرب القصير ، ويقدر الاحتياطى فيالمنطقة الاولى بما يقرب من ١٥٠ مليون طن بينما تصل كمية الاحتياطى فى المنطقة الثانية إلى حوالى ١٠٠ مليون طن وإلى ٤٠ مليون طن فى منطقة القصير ، ويوجد خامالحديد فى هذه الاماكن على صورة اكاسيد حديد مختلفة باكاسيد السلكا ولذا تختلف نسبة العنصرين من مكان لآخر فتتروارح درجة تركيز الحديد فى شرق اسوان مابين ٤٠ و ٤٥ بالمئة وترتفع النسبة فى الواحات البحريةلتصل إلى ٥٥ بالمئة فى حين يصل متوسطها فى منطقة القصير إلى ٤٣ بالمئة ، والكميات المستخرجة من الحديد آخذة فى الازدياد التدريجى ففى عام ١٩٥٧ بلغت الكمية المنتجة من الحديد حوالى ٢٤٥١٠٠٠ طن وارتفعت إلى ٥٠٧٠١٠ طن فى عام ١٩٦٠ .

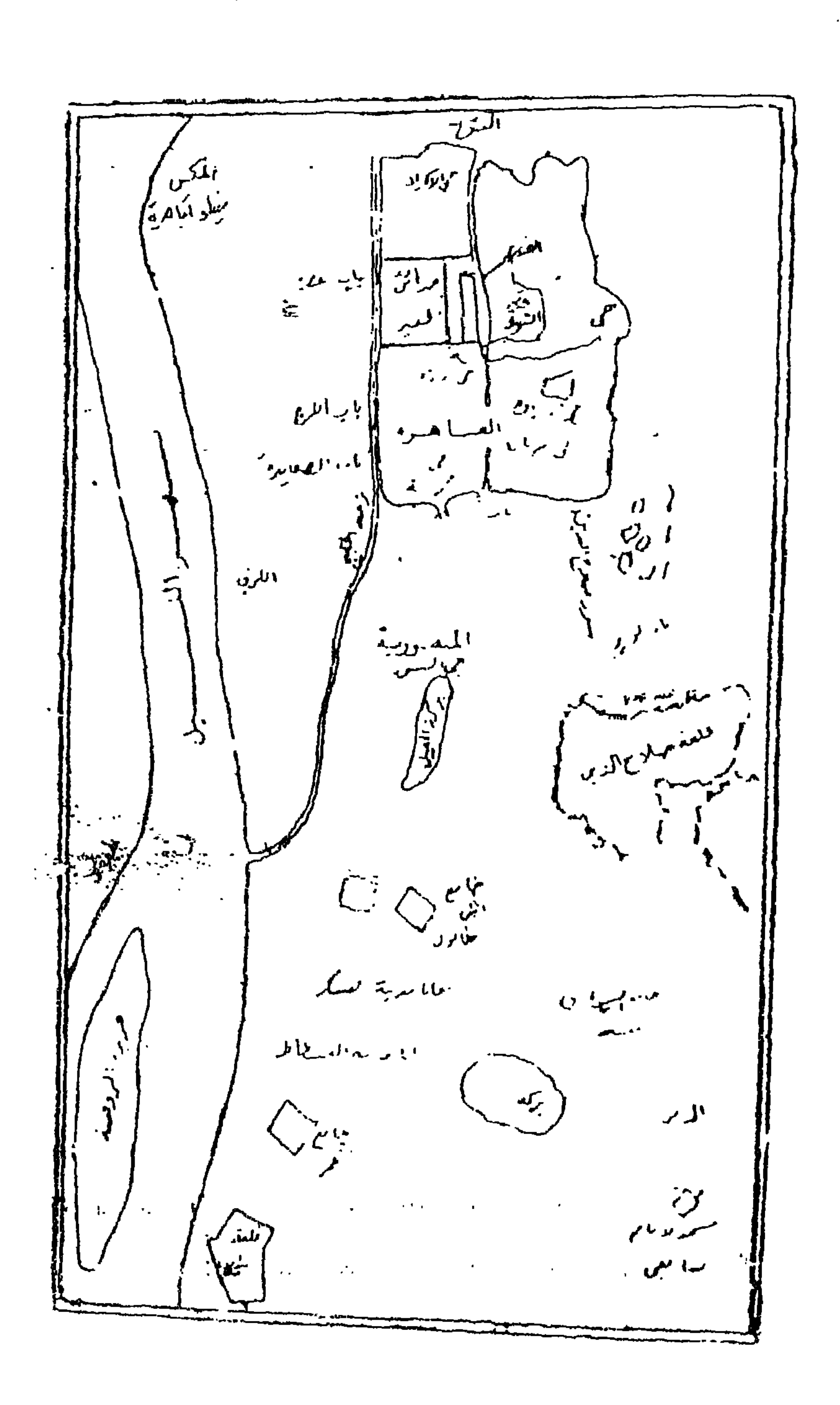
---

١ ـ محمد صبرى يوسف ـ خام الفوسفات فى الوطن العربى ـ كتاب المؤتمر الجغرافى العربى الاول ـ الجزء الثانى ص ٥٦٠ .

استصلاح الاراضى



الثروة المعدنية والحجرية



ويوجد الحديد ايضاً فى وسط شبه جزيرة سيناء مختلطاً مع المنجنيز فى الصخور الكربونية غير أن نسبة تركيزه منخفضة فتصل إلى ٢٣ بالمئة من الحديد وهى نسبة شديدة الانخفاض لاتجعله صالحاً للاستغلال .

أما المنجنيز فيستخرج من منطقتين وهما منطقة علبة وتقوم بإستغلاله شركة القصير للفوسفات وفى شرم الشيخ وام بجه بشبه جزيرة سيناء حيث تقوم شركة سيناء للمنجنيز بإستخراجه ، وقد بلغت كمية ما إنتج من المنجنيز فى عام ١٩٦٥ حوالى ١٨٢١٤٥ طناً ، وقد اثبتت الابحاث وجود حوالى ٥ مليون طن من خام المنجنيز ، ويبلغ متوسط تركيزه حوالى ٢١ بالمئة ويصدر جزءاً من المنجنيز كل عام إلى الخارج وقد بلغت الكمية المصدرة فى عام ١٩٦٥ حوالى ١٦٣ الف طن .

وتوجد خامات الرصاص والزنك فى الاجزاء الوسطى والجنوبية من الصحراء وفى جبل الرصاص وام غيج ، وتعتبر المنطقة الاخيرة اهم مناطق إنتاج هذه الخامات وتمتد على هيئة مجموعة من المناجم ابتداء من جنوب شرق القصير على بعد ١٥ ك . م. إلى جبل الرصاص وذلك لمسافة مايزيد على ٨٠ كم يستخرج الرصاص والزنك فى الوقت الحاضر على نطاق ضيق ، فقد بلغ ما إنتج فى عام ١٩٦٢ حوالى ٢٥٢٨ طناً غير انه يتوقع وجود حوالى ٢ مليون طن .

أما الطلق فيوجد بكميات كبيرة بالصحراء الشرقية وقد بلغ ما نتج من هذا الخام فى عام ١٩٦٥ حوالى ٢٩٦٢٨ طناً وبذلك سجل الإنتاج زيادة كبيرة عن عام ١٩٦٢ حيث بلغت الكمية المنتجة فى العام الاخير حوالى ٦١٢٦ طناً فقط .

ويعتبر الكبريت عنصراً هاماً فى صناعة الاسمدة الفوسفاتية لانه يستخدم فى تحضير مادة الكبريت الضرورية لهذه الصناعة ، وهو من اوسع المعادن انتشاراً فى الصحراء الشرقية ولكنه لايوجد فى منطقة الواحة بكميات تبرر استغلاله اقتصادياً اللهم إلا فى جمسه وجبل الزيت

أما الاستبوس فيستخرج من منطقة حفافيت بالصحراء الشرقية فى

حين يستخرج النطرون أو كربونات الصودا من وادى النطرون وفى مناطق متفرقة من محافظة البحيرة ويستخدم فى إنتاج الصودا الكاوية وفى صناعة الصابون والكيماويات والزجاج .

موارد القوى :

تتمثل هذه الموارد فى الفحم والبترول والطاقة الكهربائية ، أما فيما يختص بالفحم فقد اثمرت الدراسات الجيولوجية عن العثور على طبقات حاملة للفحم فى مناطق محدودة وتتمثل مناجمه فى منطقة جبل مغارة بشمال سيناء وفى عيون موسى غير انه حتى الآن لم ينتج الفحم بكميات تجارية ، ويوجد الفحم فى عين موسى على عمق ٣٥٠٠ قدم ، والفحم المكتشف فى شبه جزيرة سيناء من نوع الليجنيت ويصلح للوقود .

ويمثل البترول اهم مصادر القوى فى مصر فى الوقت الحاضر إذ يساهم بحوالى ٧٨ بالمئة من جملة الوقود المستخدم فى البلاد . وقد بلغ إنتاج البترول فى عام ١٩٨٨ حوالى ٣٠ مليون طن وتتركز الحقول المنتجة للبترول فى جمهورية مصر العربية فى شبه جزيرة سيناء على طول ساحل خليج السويس وفى الصحراء الشرقية على طول ساحل البحر الاحمر وخليج السويس ذلك إلى جانب الحقول المكتشفة جديدة فى العلمين [1] بالصحراء الغربية وفى ابو ماضى بشمال الدلتا ، واهم حقول البترول فى مصر حقل بلاعيم الذى يزيد انتاجه على مليونى طن ثم حقل راس غارب الذى اكتشف فى عام ١٩٢٨ ويقرب انتاجه من ٣/٤ مليون طن .

ويوجد فى مصر ثلاث شركات رئيسية تتولى استخراج البترول من مختلف آبار البترول بالجمهورية وهذه الشركات شركة النصر لآبار الزيوت التى تتولى استغلال آبار الغردقة وراس غارب وراس سدر وعسل

1 - L'économie et les Finances des pays arabes, L'économiste arabe, arbe, 10 e'me anne'e, Janvir 1967,No. 109, p.38.

وراس مطارمة وقد بلغ مجموع ما انتجته من هذ الآبار فى عام ١٩٦٣ حوالى ٩٨٩ الف متر٣ ، والشركة الشرقية للبترول التى تدير آبار فيران وبلاعيم وبلاعيم بحرى وابورديس وسدر وعسل وراس مطارمة وقد بلغ جملة إنتاج هذه الابار فى عام ١٩٦٣ حوالى ١٢١٩ الف متر٣ ، ثم الشركة العامة للبترول وتستغل حقلى بكر وكريم اللذان بلغ انتاجهما فى عام ١٩٦٣ حوالى ٥٧٩ الف متر٣ .

ويوجد فى مصر فى الوقت الحاضر معامل لتكرير البترول اثنان منهما فى السويس بطاقة إنتاجية قدرها ٨ر٤ مليون طن سنوياً وواحد فى الإسكندرية وطاقته الإنتاجية حوالى ٢٥ر١ مليون طن ، ثم معمل تكرير المازوت الذى انشأ فى عام ١٩٥٩ عند مسطرد بشمال القاهرة وتبلغ قدرته الإنتاجية حوالى ٢ مليون طن .

وينقل البترول من السويس إلى القاهرة بواسطة خطين لانابيب البترول احدهما لنقل المنتجات السوداء والآخر لنقل المنتجات البيضاء ، ويبلغ قطر انابيب الخط الأول حوالى ١٢ بوصة بينما يصل قطر أنابيبالخط الثانى إلى ٦ بوصات وقدرة الخط الأول حوالى ٣ر٣ مليون طن سنوياً بينما تصل قدرة الثانى إلى ٥٤٠ الف طن سنوياً ، وإلى جانب

هذه الخطوط يوجد خطان اخران احدهما يمتد من مسطرد إلى حلون لنقل المنتجات السوداء إلى مصانع الحديد والصلب بحلوان وتبلغ كفاءته نحو مليون طن سنوياً وخط آخر لنقل المازوت من القاهرة للأسكندرية وذلك لتمويل الصناعات المتركزة فى الاسكندرية وبعض مدن الدلتا الواقعة على خط الانابيب .

أما عن الطاقة الكهربائية فيلاحظ انه لايوجد بجمهورية مصر العربية اى مساقط مائية طبيعية يمكن أن تستغل فى توليد الطاقة الكهربائية ولذلك فمشروعات استغلال القوى المائية بمصر يرتبط بمشروعات الرى والسدود التى اقيمت على نهر النيل لضبط مياهه .

واهم مصدر للطاقة الكهربائية فى مصر فى الوقت الحاضر الكهرباء

المستغلة من خزان اسوان والتى تنتج سنوياً حوالى ١٨٨٠ مليون كيلو وات ساعة يستغل منها ١٣٥٠ مليون كيلو وات ساعة لادارة مصنع السماد باسوان ويستهلك الباقى لاغراض رى المناطق المرتفعة عن النيل .

هذا وقد ترتب على تركيب ١٢ تربين لتوليد الطاقة الكهربائية من مياه السد العالى اعطاء البلاد سنوياً ١٠ مليار كيلو وات ساعة وذلك بعد إتمام المشروع عام ١٩٦٨ وترتب على ذلك أن زاد متوسط نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء إلى حوالى ٤٠٠ كيلو وات ساعة أو مايعادل اكثر من ضعف نصيب الفرد فى عام ١٩٦٥ ، وتوزع الطاقة المستغلة من السد العالى على المصانع والانارة والرى فى جميع انحاء الجمهورية [١] .

وهناك مشروع أخر لتوليد الكهرباء وهو مشروع منخفض القطارة وهو أحد منخفضات الصحراء الغربية وهو لايبعد كثيراً عن ساحل البحر المتوسط اكثر من ٦٠ ك .م ومتوسط منسوبه ٦٠ متراً تحت سطح البحر رغم أن اقصى إنخفاض له يصل إلى مستوى ١٤٣ متراً تحت سطح البحر وذلك فى نهايته الغربية ، ويقوم المشروع على اساس حفر قناة تحمل مياهالبحر المتوسط إلى المنخفض لتوليد الكهرباء عن طريق سقوطها ، وتقدر الطاقة الناتجة عن المشروع لو نفذ بما يزيد على احتياجات الوجه البحرى بأكمله .

الصناعة

لقد شهدت مصر فى غضون ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ نهضة صناعية شاملة كان هدفها استغلال رؤوس الاموال القومية [٢] والتوسع فى اقامة الصناعات الاساسية ومنها صناعة الحديد والصلب وصناعة الاسمدةوتكرير البترول وإنتاج الطاقة الكهربائية وكذلك تنظيم واستغلال الصناعات التحويلية حتى يمكن النهوض بها وذلك لحل مشكلة التخلف الاقتصادى ومشكلة تزايد السكان ، وقد تم انشاء أول وزارة للصناعة فى

---

١ - فؤاد الصقار ص ٢٢١ .

٢ - Miller, E W., Ageography of Manufacturing , london 1962, P. 269

عام ١٩٥٦ ثم عقب ذلك وضع مشروع السنوات الخمس الصناعية فى عام ١٩٥٧ والذى كان هدفه رفع مستوى المعيشة كجزء من خطة مضاعفة نصيب الفرد من الدخل القومى فى فترة عشرين عاماً ، وقد اعطيت الأولية فى مشروعات الخطة الأولى للصناعات التى تحقق غرض الخطة والتى يمثل العمل فيها اكبر نسبة من تكاليف الإنتاج نظراً لإنخفاض اجور العمال فى مصر .

وفى عام ١٩٦٠ بدأ تنفيذ الخطة الخمسية العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٦٠ ـ ١٩٦٥) وذلك بعد أن ادمج بها المشروعات التى لم تنفذ فى البرنامج الصناعى الأول ، وقد كان هدف الخطة الثانية هو زيادة الدخل القومى فى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٥ بمقدار ٤٠ بالمئة أو مايعادل٥١٣ مليون جنيه تساهم الصناعة الكهرباء منها بحوالى ٢٦٧ مليون جنيه والزراعة بمبلغ قدره ١١٢ مليوناً من الجنيهات والباقى تساهم به القطاعات الاخرى ، وقد وجه الاهتمام فى هذا البرنامج إلى صناعة التعدين والصناعات الكيماوية والمعدنية وصناعة الآلات ، ذلك إلى جانب أنه قد روعى فى التوسع الخاص بالصنعات الاستهلاكية أن يكون متمشياً مع امكانيات الطلب المحلى ، وقد بلغ عدد المشروعات التى وردت فى الخطة حوالى ٤٤٥ مشروعاً صناعياً منها ٥٩ لصناعة تعدين البترول ومنتجاته ٠ر٤٥ للصناعات المعدنية ، و٧٠ للصناعات الكيماوية والادوية ، و٧٧ لصناعة الغزل والنسيج و ٧٠ للصناعات الغذائية و ٥٨ للصناعات الهندسية ، و ٦٦ للصناعات الاخرى التى تضم مواد البناء والصناعات الريفية والتدريب المهنى .

وعلى ضوء تقييم نتائج الخطة الصناعية المنتهية فى عام ١٩٦٥ ومعرفة العقبات والظروف التى صادفتها وفى ضوء الظروف السياسية والاقتصادية التى مرت بها مصر رسمت سياسة الاستثمار فى خلال المقبلة حتى عام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ على التركيز على انجاز المشروعات التى بدئ فيها والتركيز على مشروعات السد العالى ومشروعات استصلاح الاراضى على مياه السد العالى ومساندة مشروعات قناة السويس

والبترول مساندة كاملة (١) .

على أى حال فقد تطورت الصناعة فى غضون السنوات الخمس عشر الماضية (٢) واهم الصناعات الموجودة فى مصر الصناعات الآتية :

١ - صناعة الغزل والنسيج وتحتل هذه الصناعة مكان الصدارة فى الميدان الصناعى فى مصر سواء من حيث رأس المال أو من حيث عدد العمال المشتغلين بها إذ يستثمر بها نحو ٣/١ جملة رأس المال المستثمر فى الصناعات التمويلية ويعمل بها حوالى نصف عدد العمال الذين يعملون فى المصانع التى يزيد عدد عمال كل منها عن عشرة عمال ، وترجع اهمية هذه الصناعة أيضاً لكونها اهم بحوالى ٥/٢ اجمالى صادرات القطاع الصناعى.

ويدخل تحت هذه الصناعة مصانع غزل ونسيج القطن التى تتركز على وجه الخصوص فى مدينة المحلة الكبرى «العاصمة الصناعية لمصر» ومدينة كفر الدوار ومدينة الإسكندرية ذلك إلى جانب بعض المصانع الاخرى الموجودة فى شبرا الخيمة وقليوب وطنطا وبعض عواصم المحافظات .

وبالنسبة للصناعات الصوفية فقد تدخلت الدولة منذ عام ١٩٥٤ فى هذه الصناعة لحمايتها فمنعت الواردات منها ورفعت الرسوم الجمركية عليها. واهم مصانع نسيج الصوف شركة ستيا بالإسكندرية وبليتكس بشبرا الخيمة واسكو بالقاهرة وفرعها باسيوط ومصانع المحلة الكبرى ، وهذه المصانع تعتمد على استيراد الصوف الخام من الخارج بنحو ٨٠ بالمئة من احتياجات الصناعة المحلية .

وبالنسبة لصناعة الخيوط الحريرية والالياف الصناعية فتتركز فى دمياط والمحلة الكبرى وفى حلوان ، وقد بلغ ماانتج من غزل حرير

١- المرجع السابق ص ١٠٥ .

٢ - للدراسة التحالية لتطور الصناعة فى هذه الفترة ارجع إلى :

Issawi, C., Egypt in Revolution : an economic analysis, london 1967, PP. 169 - 198

صناعى وألياف صناعية فى عام ١٩٩٢ حوالى ٤٠ الف طن ، ومن منسوجات الحرير الصناعى حوالى ٨ ألف طن ، وإلى جانب صناعة المنسوجات الحريرية توجد صناعة الكتان ، وهذه الصناعة تحتاج لايدى عاملة ومدربة وماهرة ولذا فإن تكاليف إنتاجه أعلى من القطن وأهم مصانع المنسوجات الكتانية توجد بالإسكندرية .

٢ - **الصناعات الغذائية** : وتشمل صناعة السكر وصناعة الأغذية المحفوظة والاعجنة الغذائية وحفظ الاسماك وصناعة التخمير والتقطير وصناعة الالبان والنشا والجلوكوز وتعبئة ملح الطعام .

وتعتبر صناعة السكر من دعائم الاقتصاد القومى لأنها تمثل سلعة تموينية من الدرجة الأولى ، ويوجد بالوجه القبلى أربعة مصانع لتكرير السكر وتقطيره فى ابى قرقاص وارمنت ونجع حمادى وكوم امبو وتقوم هذه المصانع مجتمعة بعصر ٢٠٠ الف طن من قصب السكر فى اليوم . وهناك مصنع أخر للسكر فى قوص وبدأ إنتاجه فى النصف الثانى من عام ١٩٦٨ وتقدر طاقته الإنتاجية بحوالى ١٥٠ ألف طن من السكر وحوالى ٦٧ ألف طن من المولاس ، وقد بلغ مجموع ما أنتج من السكر الخام فى عام ١٩٦٤ حوالى ٣٧٨ الف طن ومن العسل الاسود حوالى ٣١ ألف طن ، ومن المولاس ١٩٢ ألف طن والكحول حوالى ٢٠٠٦٢ الف لتر .

وصناعة الاغذية المحفوظة من الصناعات التى أزدهرت بسرعة فى السنوات الاخيرة فقد كان جملة الفواكه والخضر المحفوظة فى عام ١٩٥٢ حوالى ٦٠٠ طن فقط ارتفع إنتاجها فى عام ١٩٩٢ إلى اكثر ١٠ ألف طن . وتتركز هذه الصناعة فى ادفينا وشمال القاهرة وفى الإسكندرية ومديرية التحرير ، كما يوجد مصنع لتجفيف البصل فى سوهاج وتقدر طاقته الانتاجية بحوالى ١٢٠٠ طن من البصل المجفف سنوياً .

وتقتصر صناعة حفظ الاسماك فى مصر على سبعة مصانع احدهما لحفظ السردين والجمبرى بعزبة البرج بالقرب من دمياط وتصل قدرته إلى ٣٢١٠ ألف علبة سردين و ٩٦٠٠ علبة جمبرى كل ٨ ساعات ،

والمصانع الباقية لتجميد الجمبرى وموزعة بين الإسكندرية وبورسعيد ، اما بقية مصالنع الصناعات الغذائية فتتجمع على وجه الخصوص شأنها فى ذلك شأن بقية المصانع فى مدينتى القاهرة والإسكندرية [١] مع ملاحظة أن جمهورية مصر العربية تنتج سنوياً

كميات كبيرة من الملح الذى يستخرج من ملاحات رشيد وبورسعيد والإسكندرية ، ويبلغ الإنتاج السنوى حوالى نصف مليون طن ويصدر جزء منه للخارج .

وينتمى إلى الصناعات الغذائية أيضاً صناعة طحن الحبوب وضرب الارز فيوجد فى أنحاء جمهورية مصر العربية نحو ٣٠٠ مطحن منها ١٩٧ مطحناً يتبع القطاع العام والباقى مطاحن صغيرة وتتبع المؤسسة المصرية للمطاحن وتطحن هذه المصانع حوالى ١٠ مليون أردب قمح سنوياً ، أما مضارب الارز فيتبع المؤسسة المصرية للمطاحن ويبلغ عددها حوالى ٧٨ مطحناً وقدرتها ٨٤٠ الف طن ارز أبيض وتتوزع هذه المضارب فى رشيد ودمياط والإسكندرية ودمنهور والفيوم حيث توجد زراعة الارز فى هذه المناطق .

٣ ـ **الصناعات المعدنية والبترولية** : وتشمل صناعة الحديد والصلب وصناعة تكرير البترول وصناعة المعادن غير الحديدية ، وتتركز صناعة الحديد والصلب فى منطقة حلوان فى التبين على بعد ١٢ كم جنوب حلوان وفي منطقة الدخيلة بالاسكندرية ، ومصنع الحديد والصلب بحلوان مصنع مختلط يجمع بين الافران العالية وافران الصلب ومصانع الدرفلة ، وقد بدأ تشغيل أول فرن عالى فى عام ١٩٥٨ مما ادى إلى زيادة إنتاج مصر من الصلب فى ذلك العام إلى ١٨٠ الف طن إنتج منها حوالى النصف مصنع الحديد والصلب بحلوان . أما عن صناعات

---

١ ـ فيما يختص بتوطن الصناعات فى الجمهورية العربية المتحدة يحسن الرجوع إلى مقالة نصر السيد نصر ـ التخصص الإنتاجى كأساس من أسس التخطيط الاقليمى فى ميدان الصناعة ـ كتاب المؤتمر الجغرافى العربى الأول ـ الجزء الثانى ص ٧٤٩ ـ ٧٧١ .

المعادن غير الحديدية فقد بلغ إنتاج مصر من مصنوعات الرصاص فى عام ١٩٦٤ حوالى ٤ الف طن وأهم مصانعه مصنع شركة سبك المعادن بالقاهرة التى تقوم أيضاً بإنتاج المصنوعات النحاسية إلى جانب مصانع النحاس بالإسكندرية .

وبالنسبة لصناعة البترول فكما ذكرنا سابقاً يوجد اربع معامل لتكرير البترول احدهما فى الإسكندرية والاخر فى مسطرد والباقية فى السويس وتلجأ مصر لأستيراد البترول وذلك لتتمكن من سد حاجتها المحلية .

٤ - الصناعات الكيماوية : ويدخل تحت هذه الصناعة صناعة الاسمدة الازوتية والفوسفاتية وصناعة الورق والادوية والعقاقير الطبية وصناعة دبغ الجلود وصناعة الصابون والزيوت وصناعة الزجاج . ولعل من أهم هذه الصناعات صناعة الاسمدة الازوتية التى تنتج من مصنع كيما باسوان الذى بدأ الإنتاج فى عام ١٩٦٠ بطاقة إنتاجية قدرها ٤٩٠ الف طن سنوياً ومن مصنع السويس الذى افتتح عام ١٩٥١ بطاقة إنتاجية قدرها ٢٥٠ ألف طن ، كما تشمل أيضاً صناعة الاسمدة الفوسفاتية التى أهم مصانعها مصنع كفر الزيات الذى تبلغ طاقته الإنتاجية السنوية ٤٩٠ الف طن وتعامل فيه المادة الخام بحامض الكبريت ، ويستعمل الإنتاج فى تسميد تربة الدلتا الامر الذى يفسر لنا سبب اقامة المصنع فى كفر الزيات وكذلك مصنع ابو زعبل الذى تصل طاقته الإنتاجية السنوية إلى ٦٠ الف طن ، وتبلغ جملة ما انتج من اسمدة فى عام ١٩٦٤ حوالى ٩٦٤ الف طن وهى كمية اقل استهلاكنا الذى يزيد على مليون طن .

وتشجع الدولة الإنتاج المحلى للادوية وتحد من استيرادها ، واهم شركات الادوية فى مصر شركة ممفيس وسيد وعين شمس وشركة النيل وكلها تتركز بالقاهرة والإسكندرية ولاتعمل مصانع الادوية فى الوقت الحاضر إلا بحوالى ٥٠ بالمئة من طاقتها الإنتاجية فحسب وذلك لتعذر استيراد المواد الاولية من الخارج .

٥ - **الصناعات الهندسية والكهربائية والنباتية** : وتضم معدات النقل وصناعة الكبلات الكهربائية والبطاريات ولمبات الفلورسنت وأجهزة الراديو والتليفزيون والتبريد كما تضم أيضاً صناعة الاسمنت والخزف الصينى والحراريات ، ولعل صناعة الاسمنت هى أهم الصناعات السابقة من حيث أهميتها بالنسبة للسد العالى ونظراً لامكانيات التوسع الكبير بها فى المستقبل ، ويستفاد من خبث الافران العالية فى صناعته فى حين تقوم شركة اسمنت حلوان بإستخدام خامات محلية لإنتاج الاسمنت الابيض وتصل طاقته الإنتاجية إلى ٤٠ الف طن وتكفى حاجة البلاد ، أما اسمنت بورتلاند فيستخدم لاعمال المسلح الخرسانى خاصة تصدر كميات كبيرة لجودته .

وسائل النقل :

تبلغ نسبة السكك الحديدية فى مصر ١٤ ك . م لكل ١٠٠ م٢ من الاراضى العامرة بالسكان وهى فى هذه النسبة تقترب من مستوى دول غرب أوربا غير أنها فى نفس الوقت ترتقى عن غيرها من الدول النامية فى الشرق الاوسط [١] . وكذلك الحال بالنسبة لشبكة الطرق البرية التى تنتشر فى الوجه البحرى لتصل بين مراكز العمران المختلفة حيث تصل هذه النسبة إلى ٢٥ ك .م. إلى كل ١٠٠ ك .م٢ من الاراضى الزراعية وهى نسبة مرتفعة عن مثيلتها فى دول الشرق الأوسط[٢] .

وقد كان لامتداد شبكة السكك الحديدية الموجودة فى جمهورية مصر العربية وتطورها أثر كبير فى أزدهار ونمو بعض المحلات العمرانية فى الدلتا مثل مدينة كفر الزيات التى ارتبط تطورها عبر الخط الحديدى من الإسكندرية إلى القاهرة فى عام ١٨٥٦ ، وكذلك مدينة الزقازيق التى كانت فى الاصل معسكر لعمال التراحيل الذى كانوا يعملون فى حفر

---

١ - تبلغ النسبة فى ايران إلى ٣ر٠ والعراق إلى ٥ر٠ ، وسوريا إلى ٩ر٠ ، ولبنان إلى ٥ر٠ ، وتركيا إلى ١ ، والسودان رلى ٢ر٠ انظر :
Issawi, C., Egypt at Mid Century, London,1945, P.181

٢ - يبلغ امتوسط في سوريا ٨كم لكل ١٠٠كم مربع من الأراضى الزراعية وفى [illegible] ٣ والعراق ٣٦ ولبنان إلي ٤٣ كم والأخيرة نسبتها اكثر من مصر .

الترع الصيفية فى شرق الدلتا ، غير أنه بعد مد خط السكك الحديد المتجه إلى الإسماعيلية أصبحت مدينة الزقازيق مركز لعدد من خطوط المواصلات ونمت المدينة وازدهرت .

أما عن الطرق البرية فتعتبر شرايين المواصلات الرئيسية لكثير من المحلات العمرانية ولاسيما الريفية منها ، وقد بلغت جملة أطوال الطرق البرية في مصر عام ١٩٦٤ حوالى ٢٢١٤٢ك. م. فى مقابل ١٧٠١٤ ك.م. فى عام ١٩٥٢ ، وأغلب هذه الطرق طرق زراعية بعضها معبد والاخر طرق ترابية . يبلغ مجموع أطوال هذه الطرق حوالى ١٧٠٥٨ ك م . منها ٩٦٩٣ ك .م . فى الوجه البحرى و ٧٣٦٥ ك.م. فى الوجه القبلى . أما مجموع اطوال الطرق الصحرواية فتصل إلى أكثر من ٦ الاف ك م وأهم الطرق الصحراوية فى جمهورية مصر العربية والقاهرة وبورسعيد والقاهرة والمنياوين القاهرة والاسكندرية الطريق الصحراوى بين القاهرة والفيوم ، وطرق الواحات .

أما النقل النهرى فلايساهم إلا بنصيب ضئيل فى عملية النقل وذلك بسبب منافسة كل من النقل البرى والسكك الحديدية له هذا على الرغم من الجهود التى تبذلها الهيئة العامة لشئون النقل المائى التى أنشئت فى عام ١٩٥٨ للعنايةبشئون الملاحة الداخلية .

ولعل قناة السويس أهم مجرى مائي – من وجهة نظر النقل – فقد كان لاهميتها أن ازدهرت مجموعة من المدن الكبرى على طول القناة ابتداء من بورسعيد في الشمال إلي السويس في الجنوب [١] . ولابراز اهمية قناة السويس كوسيلة نقل تذكر ا ن جملة عدد السفن التى عبرت القناة فى عام ١٩٥٢ كانت حوا لى ١٤٦٦٦ سفينة وارتفعت فى عام ١٩٦٤ إلى ١٩٥٣٩ سفينة فى نفس ا لوقت الذى قفز فيه جملة ا لبضائع من ٨٣٤٨٨ الف طن فى عام ١٩٥٢ إلى ٢٠١٥٧٥ الف طن فى عام ١٩٦٤ . وقد حقق ذ لك ارتفاع فى جملة الايرادات فى نفس الفترة من

٢ ـ فهمي هلالى ـ النقل الداخلى في الجمهورية مصر العربية ، كتاب المؤتمر الجغرافى العربى الأول ـ الجزء الثانى ـ صفحة ٧٨٥ .

١٢مليون جنيه إلى ٧٤ مليون جنيه ٠

أما عن ارقام التسعينات فقد قفزت إلى ارقام عالية تبعاً لتعميق غاطس القناه والسماح للسفن العملاقة ان تمر بها . النقل الجوى فى جمهورية مصر العربية ٠ فيوجد بها عدد من المطارات المدنية والحربية اهمها مطار القاهرة الدولى ومطار الاسكندرية كما يخدمها شبكة من الخطوط الجوية العالمية التى تربطها بانحاء العالم ٠٠ وللتدليل على اهمية هذه الوسيلة نلاحظ أن جملة عدد الطائرات التى دخلت ضمن الحركة الجوية فى جمهورية مصرالعربية فى عام ١٩٥٢ كانت حوالى ٢٤٣٨٥طائرة ارتفعت فى عام ١٩٦٣ إلى ٢٨٧٥١ طائرة فى نفس الوقت الذى قفز فيه عدد الركاب «وصول ورحيل» من ٣١٦ الف راكب إلى ١٠٠٥الف راكباً فى نفس المدة المذكورة ٠ وتقوم شركة الطيران المصرية بالاشراف على عمليات النقل الجوى الخاصة بجمهورية مصر العربية ذلك إلى جانب عدد أخر من الشركات العربية والاجنبية ٠

سكان جمهورية مصر العربية

تعتبر مصر من البلاد القليلة فى العالم التى أصبحت مشكلة السكان فيها من الأمور المعضلة إذ اصبحت تمس حياة الأنسان الاقتصادية والاجتماعية وتؤثر فيها تاثيراً كبيراً ٠ فلقد تضاعف عدد السكان فى مصر منذ أوائل القرن الحالى فقفز من عشرة ملايين إلى ما يزيد على سبعة وعشرين مليون فى نصف قرن ٠ وليس من شك فى أن هذه الزيادة الكبيرة المطردة تسبب كثيراً من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ولاسيما انه يضاعف من خطورة المسألة أن مساحة الأراضى الزراعية فى جمهورية مصر العربية لاتجارى مطلقا عدد السكان فى الزيادة المطردة كما أن الانتاج الصناعى حتى الآن لم يلحق نمو السكان على الرغم من النهضة الصناعية التى تعيش فيها جمهورية مصر العربية فى الوقت الحاضر٠

ولكى نفهم هذه المشكلة ومظاهرها المختلفة والطرق التى يمكن أن

نعالجها بها يجدر بنا أن تحلل النمو التاريخي للسكان في مصر والنتائج الحاضرة والمنتظرة لهذه المشكلة ٠

تطور السكان:

من المعروف أن أول تعداد لسكان مصر قد أجرى فى عام ١٨٨٢ أما قبل ذلك التاريخ فكل ما لدينا من عدد سكان مصر انما هو من قبيل الفرض أو التقدير المبنى على عدد جنود الجيش أو عدد القرى المصرية أو على الضرائب المفروضة على السكان ٠ واقدم تقدير ديودور الصقلى الذى قدر عدد السكان مصر بحوالى سبعة ملايين نسمة فى عام ٦٠ و ٧٥ ق٠م٠[١] .

بينما أول تقدير حديث لسكان مصر هو تقدير جومار احد علماء الحملة الفرنسية الذى أجرى فى عام ١٨٠٠ وقد بلغ عدد سكان مصر فى ذلك التقدير حوالى ٩٥٠و ٤٨٨و ٢ نسمة ، ولكى نقيم هذا التقدير لابد من ذكر أن جومار اختار منطقة المنيا لتكون اساساً لتقديره لانها فى نظره تمثل منطقة وسط بين الاقاليم المصرية فى درجة تزاحمها بالسكان .

وقد بنى تقديره على أساس احصاء شيوخ القرى لعدد المنازل ولعدد النساء الموجودة بها أو على افتراض أن كل ثلاثة رجال يقابلون ٤ نساء وقد اعتبر أن متوسط عدد سكان القرية ٥٨٤ نسمة وقام بتقسيم المحلات العمرانية المصرية إلى أربعة أقسام :

أولاً - مدن يزيد عدد سكانها عن ٣٠٠٠ نسمة ٠

ثانياً - بلدان صغيرة يتراوح عدد سكانها مابين ٣٠٠٠ - ١٠٠٠نسمة٠

ثالثا - قرى ما بين ١٠٠٠ - ٣٠٠نسمة.

رابعا - قرى صغيرة أو عزب وهى التى تحتوى على أقل من ٣٠٠ نسمة

---

١ - محمد السيد غلاب واخرون - السكان - القاهرة - ١٩٦٣ - ص ٤٠٧ .

وقد استخلص من هذا التقسيم أن هناك ٢٥٥٤ قرية مصرية و١٨ مدينة يزيد عدد سكانها كل منها عن ٢٠٠٠ نسمة بالاضافة إلى عدد سكان القاهرة الذى يبلغ ٠٠٠و٢٦٠ نسمة .

والتقدير الثانى لسكان مصر فى خلال القرن التاسع عشر فى عهد محمد على فى عام ١٨٢١ حيث بلغ عدد ١٨٤٦ إلى ٠٠و٥٠٠و٤ بنسمة ثم إلى ٦٢٧و٥١٧و٥ نسمة فى عام ١٨٧٧ .

ويبدو أن عدد السكان فى التقدير الاول الذى اجرى فى عهد حكم محمد على لا يختلف فى نتيجته كثيراً عن النتيجة التى وصل اليها علماء الحملة الفرنسية لانه أعتمد أيضا على احصاء المنازل وليس على السكان ولذلك فعدد السكان لم يزيد كثيراً فى بادية القرن التاسع عشر إ ذ أن هذه القرى ظهرت بعد بدأ الثورة الزراعية الأولى فى عام ١٨٣٣ وذلك عقب بناء القناطر الخيرية (الثورة الزراعية الثانية مرتبطة ببناء السد العالى) وزراعة القطن وقصب السكر إلى جانب القمح والبقول بعد أن تحولت اراضى الدلتا إ لى رى دائم . على أى حال لا يجب أن نأخذ تقدير عام ١٨٤٦ على أنه صحيح إذ ليس من المعقول أن سكان مصر قد تضاعفوا فى خلال خمسة وعشرين عاما فقط . فهذا ليس ممكن اطلاقا ، والتفسير المعقول هو أن تقدير عام ١٨٢١ حدث فى أثناء قوة محمد على حينما كان يحشد شباب مصر فى جيشه ومن ثم فقد عمد الكثيرون للهروب من التعداد بينما التقديرالثانى قدحدث فى أخر سنين حكمه وفى اثناء ضعفه ، ومن ثم فلا أهميه لاختفاء الشبان والتستر على عددهم .

وقد اعقب حكم محمد على فترة امتازت بالركود الأقتصادى بسبب اغلاق الكثير من المصانع التى كانت تخضع لاحتكاره ورغم أن التوسع الزراعى كان يعترض تقدمه قلة الايدي العاملة إلا أن التوسع فى الرقعة الزراعية قد استوعبت معظم الجنود المسرحين . وقدزادت الازمة سوءا حين سحب عددكبير من الفلاحين للعمل فى قناة السويس فى الفترة ما

بين عامى ١٨٥٦ و ١٨٦٣. .

وعلى اي حال تمكنت مصر بعد أن بدأت فى تنمية ثروتها الزراعية عن طريق اقامة مشاريع الري الكبرى ، وبعد أن أخذت تسير قدما نحو المدينة الغربية نتيجة للاحتكاك بالحضارة الاوربية وما ترتب على ذلك من تحسن الاحوال الصحية وزيادة نسبة التعليم أن تزيد من عدد سكانها الذين بدأوا يزدادون بنسبة عالية كما يبدو من الجدول الآتى :

نمو سكان مصر بين سنة ١٨٨٢ - ١٩٦٠

السنة	١٨٨٢	١٨٩٧	١٩٠٧
عددالسكان	٦و٨٠٤و٠٠٠	٧١٥و٠٠٠	١١و٢٨٧و٠٠٠
نسبةالزيادة	٠٠٠	٢٤بالمئة	٢و١٦بالمئة
السنة	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧
عددالسكان	١٢و٧٠٥و٠٠٠	١٤و٢١٨و٠٠٠	١٥و٩٣٣و٠٠٠
نسبةالزيادة	١٣ بالمئة	٥و١١ بالمئة	٢و١٢ بالمئة
السنة	١٩٤٧	١٩٦٠	١٩٨٦
عددالسكان	١٩و٠٤٠و٠٠٠	٢٦و٠٦٩و٠٠٠	٤٩و٢٨٠و٠٠٠
نسبةالزيادة	٨و١٩ بالمئة	٦و١٣ بالمئة	٠٠٠

ويتضح من الجدول أن عددالسكان قدزاد فى الفترة ما بين ١٨٨٢-١٩٠٧ أى فى خمسةوعشرين عاما بنسبة٥١بالمئة وبنسبة٤١ بالمئة فى الفترة ما بين ١٩٠٧-١٩٣٧وبنسبة ٦٤بالمئة فى الفترة ما بين١٩٣٧-١٩٦٠. وهكذا ضاعف سكان عام١٨٨٢عددهم تقريبا ، واخيرا فى عام١٩٦٠ضاعفوا عددهم ثلاث مرات تقريبا ، وقد كان من جراء هذا الارتفاع الكبيرفى عدد السكان أن اصبحت البلادلاتشكونقصافى الايدي العاملة كماكانت تشكوا فى أواخرالقرن الماضى وفى مطلع هذا القرن ويبدوذلك من الجدول الآتي الذي يبين العلاقةبين زيادةالسكان وزيادة الأرض الزراعية والمساحة المحصولية في الفترة ما بين١٩٠٧-١٩٦٠. أما

فى عام١٩٨٦ فقد بلغت جملة الزيادة فى ربع قرن مايقرب من٢٢ مليون نسمة.

السنة	١٩٠٧	١٩١٧	١٩٢٧	١٩٣٧	١٩٤٧	١٩٦٠
عددالسكان	٣و١١	٨و١٢	٢و١٤	٩و١٥	٠٢و١٩	٠٦٩٠و٢٦
المساحةالمزروعة	٤و٥	٣و٥	٥و٥	٣و٥	٧٤و٥	٨٤٤و٥
المساحةالمحصولية	٦٦٢و٧	٦٨٦و٧	٦٦١و٧	٣٠٧و٨	١٦٦و١٠	٣٦٧و١٠

ويبدو من الجدول السابق انه بينما قفزعددالسكان من٣و١١ مليون نسمةفى عام١٩٦٠ظلت مساحة الأراضى الزراعيةحوالى٥و٥مليون فدان ولم يكن هناكَ زيادة مضطردة فيها باستمرار إذ سجلت بعض الفترات نقصا فى هذه المساحة الأمرالذى ترتب عليه ان نقصت المساحة المنزرعةالتى تخص الفرد من ٤٨و٠ فدان فى عام١٩٣٧ثم إلى٢٣و٠فدان فى عام ١٩٦٠.ومع زيادةالسكان وقلة الاراضى الزراعية ، ونقص نصيب الفرد من مساحتها ، قلت أيضا المساحة المحصوليةالتى تخص الفرد فانخفضت من ٦٨و٠ فدان عام ١٩٠٧ إلى٥٢و٠فدان فى عام ١٩٣٧، إلى عام ١٩٦٠ ، وهكذا يظهربوضوح انه ليس هناك ثمةتكافؤبين الانتاج الزراعى وعدد السكان ، الأمرالذى يجعلنا نتساءل عن سرزيادةالسكان ، الأمر الذى يجعلنا نتسأل عن الامكانيات الاقتصادية الاخرى التى يمكن أن تقف إلى جانب الزراعة لكى تعمل على رفع مستوى الشعب إلى مستوى معيشى لائق.

أسباب زيادة السكان

فمن المعروف أن مصرقطر عريق فى القدم ، لابلد حديث العهد بالاستقرارالبشري كاستراليا أو العالم الجديد حيث هناك مجالات مفتوحة لهجرة شعوب الأقطار المكتظة بالسكان ، فمصر ليست بلدا بكراتجذب اليها المغامرين والطامعين فى الثراء ، ومن ثم فليس

للزيادةغير الطبيعة هناك مجالا يذكر فى عددالسكان ، اذ أن معدلات المواليد فى مصر مرتفعة جدا وهى تتراوح فى العادة بين ٤٠ ـ ٤٥ فى الألف إلا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية حيث بلغت متوسط نسبةالمواليد فى مصر فى الفترة مابين ١٩٤٢ ـ ١٩٤٤ حوالى ٧و٣٨ بالألف كما أخذت فى الهبوط فى الفترة الأخيرة نتيجة لزيادة الرعاية الطبية وارتفاع مستوى المعيشة كما يبدو عن الجدول الآتى الذى يبين نسبةالمواليد فى مصر فى خلال العشر سنوات المحصورة بين عامى ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥.

السنة	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠
نسبةالمواليدفى الألف	٣و٤٠	٧و٤٠	٠و٣٨	١و٤١	٨و٤٢	١و٤٣
السنة	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	
نسبة المواليد فيالألف	٩و٤٣	٣و٤١	٨و٤٢	–	٦و٤١	

ومعدلات المواليد فى مصر لا يمكن مقارنتها بأى دولة من الدول الأوربية ، بل لا يمكن مقارنتها بمثيلتها من الدول النامية كالهند مثلا إذ أن معدل المواليد فى الهند حوالى ٢٣ فى الألف بينما يبلغ هذا المعدل ٤و١٣فى الألف فى بلجيكا ، ٦و١٤ فى الألف فى المانيا ، ٢و٢٢فى الألف فى انجلترا ، ٤و٢٣فى ايطاليا ، ٩و١٧ فى الألف فى الولايات المتحدة ١٨ فى الألف فى استراليا . ويبدو أن الدول الوحيدة التى يمكن مقارنة معدلات مواليدها بمصر هى دول امريكا اللاتينية كالبرازيل مثلا التى يبلغ بها نسبة المواليد حوالى ٣٩ فى الألف وترجع الزيادة الكبيرة فى عددالمواليد فى مصر إلى أسباب اقتصادية واجتماعية فمعروف أن الفلاحين يكونون نسبة كبيرة من المجتمع المصرى (حوالى٨٠بالمئة)وهم يعتبرون انجاب الأطفال عونا لهم فى الحقل نظرا لقلة استخدام الآلات وعدم انتشارها انتشارا كافيا ، ذلك بالاضافة إلى أن انتشار الجهل والقدرية والتواكل بينهم جعلهم يتركون مسألة الحياة ، والتوليد إلى الطبيعة وجعلهم يرون أن لابد من انجاب عدد كبير من الاطفال حتى

يعوض ما يفقده الموت منهم ولاسيما أن الفلاح يعتقد أن حياته قصيرة لذلك فهو يرغب فى ذرية يسعد بها فى حياته وقبل مماته . ثم أن الزوجة الريفية تبغي أيضا الكثير من الأطفال لا رغبة فى الأمومة فى حد ذاتها بل لتثبت مركزها فى بيت زوجها ولتشعر بالسعادة بأن زوجها قد ارتبط بها ولا يفكر فى الزواج بغيرها . فالمسألة هنا توثيق رابطة وضمان لحياة زوجية دون أدنى تفكير فى مستقبل الاطفال . وليس هذا فحسب بل إن المجتمع ـ لا اقول الريفى فحسب ـ بل المدنى أيضا ينظر إلى الرجل والمرأة اللذان لا ينجبان نظرة فيها شيء من التسائل عن السبب ولهذا فليس بعجيب اذن أن يتفاخر الازواج بذريتهم .

واذا ما اضفنا إلى ذلك الدين وأثره فى الدعوة إلى الزواج وانجاب الاطفال لادركنا كيف يقدس المجتمع المصري الزواج الذي يعتبره ركنا ركينا فى الحياة الصالحة المثمرة . فالمصريين يفضلون الحياة الزوجية ولذلك نلاحظ ارتفاع نسبة الزيجات بينهم حيث تبلغ ما يزيد عن ٧٠ بالمئة من جملة السكان وهى نسبة عالية إذا ما قورنت بمجتمعات غرب أوربا مثلا .

وارتفاع نسبة المواليد فى مصر يرجع ايضا إلى ارتفاع نسبة الطلاق واعادة الزواج مرة اخرى. وتبلغ نسبة الطلاق فى مصر حوالي ٣٣ بالمئة من مجموع الزيجات .

ومعدل المواليد يتأثر بسن الزواج بدرجة كبيرة ـ ففى مصر نجد أن الاحصاءات الرسمية تثبت اننا نقبل على الزواج فى سن مبكر للغاية ويكفى أن نشير إلى أن حوالى نصف الزيجات المصرية تكون سن الزوجة فيها اقل من عشرين عاما بينما النسبة فى انجلترا لا تزيد على ١٠ بالمئة وبطبيعة الحال الزواج المبكر يكون مخصبا للغاية ولعل السبب فى الزواج المبكر لدى الفلاحين يرجع إلى أن الفلاح لا يأخذ الزواج على انه شركة اجتماعية وروحية فحسب بل ايضا شركة اقتصادية اذ من الملاحظ أن للمرأة فى المجتمع الريفى دورا اقتصاديا هاما فهى تشارك زوجها فى عمله وتساعده فيه مساعدة صادقة .

ولا يتأثر نمو السكان فى مصر بالمواليد فقط بل تلعب معدلات الوفيات دورا هاما فى تطور السكان اذ أن الزيادة الطبيعية ما هى الا الفرق الناتج بين المواليد والوفيات . فالزيادة الطبيعية قد تكون ناتجة عن قلة الوفيات أو عن كثرة المواليد . فكلي العاملين له نفس الأهمية . ومعدل الوفيات فى مصر يعتبر أعلى معدلات العالم اجمع إذ يبلغ حوالى ٢٨ فى الألف بينما يبلغ في الولايات المتحدة ١٠ فى الألف والهند ٤و٢٠ فى الألف واليابان ٦و١٧ فى الألف وايطاليا ٤و١٧ فى الألف والمانيا ٧و١٢ فى الألف وفرنسا ٤و١٣ فى الألف وتدل الحصاءات على أن نسبة الوفيات العامة فى مصر قد سارت نحو الهبوط منذ عام ١٩٥٠ فهبطت إلى ١٩ فى الألف ثم ١٦ فى الألف ، كما هبطت معدلات وفيات الاطفال الرضع أقل من سنة واحدة من ٢٥٠ فى الألف فى عام ١٩٣٥ إلى ١٤٠ فى الألف عام ١٩٤٧ثم حاليا إلى حوالي ١١٠ في الألف .

ورغم هذا التقدم الملحوظ في ميدان الصحة العامة إلا أن وفيات الاطفال الرضع وكذلك الأطفال دون الخامسة ما زالت نسبتهم عالية اذا ما قورنت بدول غرب أوروبا مثلا التي تصل نسبة وفيات الاطفال أقل من سنة فى بعض دولها كالسويد مثلا إلى حوالي ٢٥ في الألف .

ولكي نعطي صورة واضحة عن نسبة الوفيات نورد الجدول الآتى ليبين نسبة الوفيات فى فئات السن المختلفة في مصر في عامي ١٩٥٩-١٩٦٠.

فئات السن [١]	١٩٥٩	١٩٦٠
أقل من	١٠٩,٣	١١٠,٠
١ - ٤	٤٠,٣	٤٦,٦
٥ - ٩	٢,٥	٢,٦
١٠ - ١٤	١,٨	١,٩
١٥ - ١٩	١,٧	١,٧
٢٠ - ٢٩	٢,٥	٢,٣
٣٠ - ٣٩	٣,٧	٣,٦
٤٠ - ٤٩	٥,٤	٥,٣
٥٠ - ٥٩	١١,٥	١١,٦
٦٠ - ٦٩	٢٦,٢	٢٦,٩
٧٠ - ٧٩	٦٨,٤	٦٧,٨
٨٠ فأكثر	٢٢٦,٩	٢١٥,١
الجملة	١٦,٢	١٦,٨

ويبدومن الجدول أن معظم الوفيات تحدث فى الاربع سنوات الأولى من العمر وفى أصحاب فئات السن الكبير، ذلك بالاضافة إلى أن هناك اتجاه نحو الارتفاع التدريجي لنسبة الوفيات ابتداءمن سن الثلاثين الامر الذي يشير إلى أن امل الحياة للمصريين صغير فأمل الحياة للذكور في مصر ٣٥سنة وللاناث ٤١سنة وذلك تبعا للدراسات التي قام بها كليلاند عام ١٩٤٣ . هذا مع ملاحظة أن امل الحياة للمصريين قد ارتفع في الوقت الحاضر غير انه ليس لدينا أدلة احصائية تدحض هذه الحقيقة .

---

(١) اخذ الجدول من محمد السيد غلاب ـ السكان ـ صفحة ٤١٨ .

والخلاصة هو ان هناك اسرافا في المواليد وهذا أمر قد بليت به مصر وترتب عنه زيادة في عدد الوفيات رغم أن نسبة هذه الزيادة قد قلت في السنوات الأخيرة كثيرا عن ذي قبل الأمر الذي يساعد بدوره على تضخم السكان بمعنى أنه ان يكون هناك ثمة تعادل بين المواليد والوفيات، والموارد الاقتصادية . ولكي نعطي صورة واضحة عن مشكلة السكان في مصر لا بد وأن نتعرض إلى تركيب السكان . من حيث الجنس أو النوع أو السن إذ أن في مجتمعنا المصري ما زال هناك فرقا جوهريا بين طبيعة عمل المراة والرجل والمجال الاقتصادي والاجتماعي الذي يساهم في كل من الجنسيين ، ذلك بالاضافة إلى أن معرفة فئات السن المختلفة لافراد الشعب المصري تعطينا فكرة عن الطاقات البشرية التي يمكن استخدامها في مجالات الانتاج المختلفة فعن طريق الهرم السكاني يمكن التعرف عما إذا كان المجتمع المصري ما زال في دور الطفولة او في أي دور أخر .

كما عن طريق توزيع فئات السن ممكن أن نعرف عدد النساء اللاتي في سن الاخصاب ومقدار ما تقدمه كل امراة من أطفال إلى المجتمع في المستقبل ، بل اكثر من ذلك ممكن أن نعرف مقدار الفتيات اقل من ١٤ سنة pre-reproductive group الذين يمثلون أمهات المستقبل .

ويبدو من تحليل التعداد الموجودة أن سيادة الاناث على نسبة الذكور تظهر فى حوالى اربع تعداد منها إذ ان أمل حياة المرأة اطول من امل حياة الرجل إذ أنها اقل تعرضا للاخطار كما أن نسبة وفيات الأطفال من الذكور خلال السنة الاولى أكثر من نسبة الوفيات الاناث ذلك إلى جانب أن تعرض الرجال فى الريف للأمراض المتوطنة اكثر من النساء .

فئات السن : قبل أن نبدأ فى تحليل احصاءات فئات السن فى مصر يجدر بنا أن نشير إلى حقيقة هامة وهى أن هناك اتجاه بين النساء نحو التقليل من السن كما انه فى ريف مصر يوجد الكثير من الفلاحين الذين لا يعرفون تاريخ ميلادهم بالضبط وكثيرا ما يعطون أعمارا تقريبية لهم . غيرانه رغم ذلك فنتائج الاحصاءات لا تختلف كثيرا عن

الواقع اذ اننا فى طريقة الدراسة نحصل على النسب المئوية للفئات المختلفة ونوقعها على رسم بيانى يعرف باسم الهرم السكانى ونقوم بتحليله – وفيما يلى جدول يبين يبين فئات السن الرئيسية فى مصر فى الفترة ما بين ١٩٢٧– ١٩٦٠.

(الفئات مبينة تبعا لنسبتها المئوية)

التعداد	اقل من ١٥ سنه	١٥ – ٥٠ سنه	اكثر من سنه
١٩٢٧	٣٩	٤٩	١٢
١٩٣٧	٣٩	٤٨	١٣
١٩٤٧	٣٩	٤٩	١٢
١٩٦٠	٤٢	٤٨	١٠

ونلاحظ من هذا الجدول أن نسبة صغار السن في الهرم السكاني لمصر كبيرة اذ أن الأطفال « اقل من ١٥ سنة » يكونون حوالي ٢/٥ جملة السكان يتركزون ، وهذا هو سن الانجاب للنساء بصفة خاصة بينما كبار السن يكونون حوالي ١٠٪ من السكان . هذا ويجب أن نلفت النظر اننا إذا كنا نعتبر المرحلة بين ١٥–٥٠ سنة هي مرحلة الانتاج بصفة عامة إلا أنه بالنسبة للمجتمع المصري يعمل فيه الفرد الأقل من ٢٠سنة ولا سيما في المدن كما أن اقصى سن يمكن أن يعمل فيه الفرد هو ٦٠ عاما بمعنى اننا لو قسمنا فئات السن في مصر الي ثلاثة اقسام من ١ – ٢٠ ، ٢٠ – ٦٠ ، واكثر من ٦٠ يمكن أن نعطى صورة صادقة من تكوين فئات السن فى مصر . فمثلا في عام ١٩٦٠ بلغت نسبة فئات السن الثلاثة السابقة كما يأتي . أقل من ٢٠ سنة حوالي ٣و٥٠٪ من ٢٠– ٦٠ حوالي ٨و٢٩٪ ، وأكثر من ٦٠سنة حوالي ٩و٦٪ وهذا يعني أن حوالي ٢/٥ السكان فقط يقع عليهم عبء اعالة بقية السكان ، وليس هذا فحسب بل أن في سن الانتاج نلاحظ أن هناك عددا كبيرا من النساء لا يقمن بالعمل الأمر الذي يضاعف العبء على الطبقة المنتجة .

أما فيما يختص بالزيادة الطبيعية نلاحظ ان نصف سكان مصر تقريبا يقع في سن الانجاب ، وإذا اضفنا إلي ذلك انخفاض معدلات وفيات الأطفال في هذا السن لاتضح لنا أن شعب مصر من اكثر شعوب العالم انجابا في العالم اذ ان معدل التعويض العام لكل امرأة في مصر هي ثلاث بنات في المتوسط تعيش منهن بنتان تحملان رسالة الأسم وهي نسبة تعويض مرتفعة . وهكذا فعدد السكان في تزايد مستمر ، كما أن معدل الزيادة في صعود دائم ايضا وذلك بسبب التحسن المطرد في الخدمات الصحية وانتشار الوعي الصحي الذي ادي إلي نقص نسبة الوفيات العامة ، وفي نفس الوقت لا يزال الناس علي عاداتهم القديمة في الاقبال على الانجاب ، مما جعل الفرق كبيرا بين نسب الوفيات التي تستمر في الانخفاض (١٦ في الألف) ونسب المواليد الثابتة في الارتفاع (٤٠ في الألف) .

زيادة نسبة سكان الحضر ومشاكلهم

شهدت مصر في تاريخها الحديث زيادة كبيرة في عدد السكان بمدنها وكان مرجع ذلك إلي الثورة الزراعية التي حدثت في القرن الماضي وما تمخض عنها من زيادة النشاط التجاري وتقدم المواصلات ومن ثم بدأ التقدم الصناعي. ففي مطلع القرن التاسع عشر ذكر جومار بأن المدينة الوحيدة الكبيرة التي يزيد عدد سكانها عن ربع مليون نسمة هي القاهرة وأن هناك ١٣ مدينة أخري يتراوح عدد سكانها ما بين ٣٠٠٠ نسمة ، ٠٠٠و٢٠ نسمة وهذه المدن هي حسب ترتيب سكانها دمياط (٠٠٠و٢٠) ، المحلة الكبري (٥٠٠و١٧) ، الأسكندرية (٠٠٠و١٥) وأسيوط (٠٠٠و١٢) والمنصورة (٥٠٠و٧) وملوى (٠٠٠و٧) وجرجا (٠٠٠و٧) ومنوف (٠٠٠و٥) والفيوم (٠٠٠و٥) وبني سويف (٠٠٠و٥) وقنا (٠٠٠و٥) والمنيا (٧٥٠و٤) وقليوب (٥٠٠و٤) وادفو (٠٠٠و٤) وبلبيس (٠٠٠و٣) والجيزة (٠٠٠و٣).

وبطبيعة الحال لا يخفي علينا اهمية كل من دمياط والمحلة الكبري

في أثناء الحملة الفرنسية فقد كانت دمياط هي ميناء مصر الأول كما كانت المحلة الكبري في ذلك الوقت عاصمة محافظة الغربية حيث كانت سوقا تجارية وصناعية هامة .

هذا الوضع قد تغير خلال الفترة ما بين ١٩٨٠٠- ١٩٦٠ اذ زاد عدد سكان المدن زيادة كبيرة كما كثر عددها ويكفى للدلالة على ذلك ان نلقي نظرة علي الجدول التالي الذي يبين تطور حجم وعدد المدن الصغيرة (أقل من ٣٠ الف نسمة) الموجودة في الدلتا في الفترة ما بين ١٩٠٨ - ١٩٤٧.

السنة	حجم المدن بالآتى		
	١٠ - ١٥	١٥ - ٢٠	٢٠ - ٣٠
١٩٠٧	٨	٧	٨
١٩١٧	٣	٨	٤
١٩٢٧	٥	١٠	٧
١٩٣٧	٤	١٠	٧
١٩٤٧	٤	٨	١٠

ومما هو جدير بالذكر أنه حتي اوائل العشرينات كانت كل زيادة في السكان تجد ما يستوعبها في مجالات العمل لالاف الخريجيين من الجامعات الذين يمثلون في الواقع مظهر من المشاكل المترتبة علي زيادة السكان وضيق المجالات الاقتصادية المهنية لعمل الاعداد المتزايدة من السكان ولاسيما وان مجال الهجرة امام المصريين ضيق ومحدود ذلك إلي جانب ان المصري لا يرغب بطبيعته أن يترك وطنه ـ كالبناني مثلا ـ ليهاجر إلي منطقة جديدة . ولهذه الاسباب تلجأ مصر لمحاولة علاج هذه المشكلة عن طريق التصنيع وعن تشجيع عملية ضبط النسل والحث علي تأخير سن الزواج وتعليم المرأة حتي تستطيع أن تعرف حقوقها في الحياة وتعيش عيشة مستقرة قائمة علي فهم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بحياتها .

علي أي حال يجب الا ننظر نظرة تشاؤم إلي مسألة ازدياد السكان ، فصحيح أن مصر من أكثر بلاد العالم ازدحاما بالسكان ولا يمكن مقارنتها باي دولة من الدول الزراعية في الشرق الاقصي سوى الهند والصين إلا أن الامكانيات التعدينية والصناعية في مصر ما زالت في بداية استغلالة ، والأمل معقود فيما يبذله شعبها في الوقت الحاضر ، من وضع خطط الانتاج القومي المستقبل علي اسس علمية صحيحة . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هناك اتجاه عام نحو انخفاض متوسط حجم الأسرة في مصر. فقد كان متوسط حجم الأسر في عام ١٩٠٧حوالى عام ١٩٠٧ حوالي ٨و٥ فأصبح ٩و٤ سنة ١٩٥٧ ويرجع ذلك إلي انخفاض خصوبة المرأة انخفاضا يسيرا في الوقت الحاضر والذي يحتمل أن تظهر أثارة في مستقبل الايام . ذلك بالاضافة الي ارتفاع نسبة التعليم ولاسيما تعليم البنات ، ونسبة ارتفاع سكان الحضر الأمر الذي سيؤدي إلى تغير ملحوظ في تكوين ونسبة زيادة السكان في مصر.

وكما يبدو من الجدول ان هناك اتجاه واضح ومستمر نحو تناقص عددالمدن الصغيرة جدا (١٠ - ١٥ الف) وازدياد عدد المدن في القسمين الآخرين . ويبدو أن المدن المصرية قد مرت في نموها خلال القرنين الاخيرين بثلاثة مراحل متميزة هي مرحلة النشأة ، ومرحلة التكوين ، ومرحلة التفجير - ولكل منها خصائصها المعينة - وتعتبر المرحلة الأخيرة هي اهم المراحل علي الأطلاق حيث نشاهد فيها ازدياد عدد سكان المدن زيادة كبيرة - وحيث تقابلنا المشاكل المتعددة المرتبطة بهذه الزيادة . وأما عن المرحلة الأولي فقد استغرقت معظم القرن الماضي وامتازت بنمو سكان المدن والريف نسبيا فنمت القرى إلى جانب المدن الصغرى وان شئت سميها المدن القزمية إذ أنها لا تعدو أن تكون قرى كبيرة الحجم ارتبط نموها بالثورة الزراعية واحلال نظام الري الدائم محل الرى الحوضى وفى اثناء هذه المرحلة التى تعتبر اطول المراحل الثلاثة قد بلغت نسبة الزيادة السنويةفى المجلات الريفية فى الفترة ما بين ١٨٩٧ -

١٩٠٧ حوالى ١,٧ ٪ بينما بلغت بالنسبة للمدن فى نفس الفترة حوالى ١,١ ٪ سنويا

أما المرحلة الثانية فقد كانت مرحلة انتقالية بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين وامتيازات بزيادة نسبة سكان المدن عن سكان الريف [1] . ففى الفترة مابين ١٩٠٧ - ١٩١٧ بلغت نسبة الزيادة فى المدن ٢,١٥ ٪ وفى الريف ١,٢٣ ٪ أما مرحلة التفجير (المدنى) فقد صاحبت التصنيع وازدياد الرقعة المدنية والحياه المتصلة بها ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية - فعلى الرغم من قصر هذة الفترة الا ان عدد سكان المدن زاد زيادة كبيرة كما يظهر من الجدول التالى الذى بين تطور سكان المدن المصرية فى الفترة ما بين ١٨٩٧ - ١٩٦٠.

---

(1) Hamdan G., Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1959, P.12

السنة	العدد الكلى للسكان	عدد سكان المدن	نسبة سكان المدن الى مجموع السكان
١٨٩٧	٩,٦٣٤,٧٥٤	١,٣٩٦,٤٢٤	١٤,٤٤
١٩٠٧	١١,١٨٩,٩٧٨	١,٥٥٠,٨٩٦	١٣,٨٤
١٩١٧	١٢,٧٥٠,٩١٨	١,٨٨٤,٤٢٠	١٤,٧٦
١٩٢٧	١٤,١٧٧,٨٦٤	٢,٤٤,١٨١	١٧,٢١
١٩٣٧	١٥,٣٢,٦٩٤	٢,٩٤٣,٥٣١	١٨,٤٧
١٩٤٧	١٩,.٤٠,٤٤٨	٤,٢٣٧,٣٦٣	٢٢,٢١
١٩٦٠	٢٦.٦٩,٠٠٠	٩,٦٣٠,٠٠٠	٣٧,٤٠

غير ان زيادة نسبة السكان المدن فى مصر بصفة عامة ليس مشكلة وانما المشكلة هو تركز معظم سكان المدن فى الدلتا وعلى وجه التحديد فى القاهرة والاسكندرية وعواصم المحافظات اذا نلاحظ انه من بين ٩,٦٣٠,٠٠٠ سكان المدن فى مصر فى عام ١٩٦٠ حوالى ٥,٨٥٠,٠٠٠ يعشون فى ١٢ عاصمة محافظة ومدينة المحلة الكبرى الصناعية . ومن بين ٥,٨٥٠,٠٠٠ نسمة اللذين يقطنون مدن الدلتا يتركز حوالى ٧٦٪ منهم اى حوالى ٤,٤٥١,٠٠٠ فى القاهرة والاسكندرية وهذا الامر يشير الى مشكلة ازدياد السكان فى المدن تتركز بصورة واضحة فى القاهرة والاسكندرية بصفة خاصة والدلتا بصفة عامة.

ولكى نكون صورة واضحة عن الاضطراد السريع فى عددسكان مدينتى القاهرة والاسكندرية ومدن الدلتا بصفة عامة نسيق الجدول الآتى ليبين تطور سكان المدن الكبرى بالدلتا فى الفترة ما بين ١٩٠٧-١٩٨٦.

النسبة	عدد سكان الدلتا		عدد عواصم المحافظات بالاضافة لمدينة المحلة الكبرى	عدد سكان عواصم المحافظات المحلة الكبرى		عدد سكان مدينتى القاهرة والاسكندرية	
١٩٠٧	عدد	٪	١٢	عدد	٪	عدد	٪
١٩١٧	٥,٠٠,٩٠	–	١٢	١,٢٨١,٨٢٥	٢٣,٨	١,٠٢٤,٢٤٠	٧٢
١٩٢٧	٧,٠٨٣,٥٤٢	١٨,٢	١٣	١,٦٨٢,٢٢١	٢٥,٢	١,٢٠,٥٥٦	٧٣,١
١٩٣٧	٨,٢٧٣,٤٧٩	١١,١	١٣	٢,٢٠٩,٩٨٢	٢٦,٣	١,٦٣٧,٦٣٠	٧٤,١
١٩٤٧	٩,٣٦٠,٢٥١	١٠,٦	١٣	٢,٦٥٩,٩٧٢	٢٨,٣	١,٩٩٧,٨٣٢	٧٥,٦
١٩٦٠	١١,١٠٦,٦٦٨	٢٣,٩	١٣	٤,٠١٧,٨١٥	٢٣٤,٦	٠٠٢,٠٠٩,٦٧٨	٧٤,٩
١٩٦٦	١٦,٥١٦,٠٠٠	٣٣,٦	١٣	٥,٨٥٠,٠٠٠	٤٠	٤,٤٥١,٠	٧٦

ويبين الجدول ان السكان ضاعفوا اعدادهم في الفترة ما بين ١٩٢٧ـ ١٩٦٠ ووصلوا إلى ثلاثة اضعاف فى عام ١٩٦٠ بلغ إعدادهم حوالى ٦ مليون اى نصف سكان الدلتا ـ ومعنى هذا ان معظم الزيادة فى سكان الدالتا تتجه الى القاهرة والاسكندرية والمحلة الكبرى وبقية عواصم المحافظات وذلك نتيجة لتركيز الصناعات فى هذه المدن ولا سيما فى الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية.

ويظهر من الجدول ايضاً ان حوالى ٣/٤مجموع سكان مدن الدلتا يتركزون فى القاهرة والاسكندرية وحدهما . ففى عام ١٩٤٧ كان يتركز فى هاتين المدينتين حوالى ١/٤سكان الدلتا كلها كما احتوت المدينتان السابقتان فى عام ١٩٦٠ على حوالى سكان الدلتا الأمر الذى يشير بل يؤكد أن اغلبية سكان المدن فى الوجه البحرى يقطنون القاهرة والاسكندرية.

هذا ويجب الاتغفل عواصم المراكز او البلدان الموجودة فى مصر والتى يتراوح عدد سكانها فى العادة بين ٢٠ـ ٣٠ الف نسمة ككفر الزيات التى يبلغ تعدادها تبعاً لاحصاء عام ١٩٦٠ حوالى ٣٠,٢٩٠ نسمة وسمنود ٢٧,٣١٧ ، وزفتى ٣١, ٤٢١ ، وبسيون ١٩,٤٥٠ وحوش عيسى ٢٥,٢٧٦ ، وفاقوس ٢٠,١٦٣ ، وغيرها من المدن الصغيرة التى سبق

الاشارة إلى عددها فى الفترة ١٩٠٧ - ١٩٦٠. فكل هذه المحلات العمرانية قد شاهدت زيادة فى سكانها وإن كانت بدرجة اقل من التى شاهدتها عواصم المحافظات وتلك تبعاً لمراكزها القتصادى ووظيفتها المدنية أو الاجتماعية بالنسبة للريف المحيط.

ولكى نقرب مشكلة ازدياد السكان بالمدن إلى الاذهان وعلى وجه الخصوص فى الوجه البحرى الذى يحتوى على اكثر من ٦٠٪ من مجموع سكان المدن بمصر لا بد من تحليل نسبة نمو السكان فى المدن المختلفة بالوجه البحرى - فقد سبق ان ذكرنا ان عدد سكان الدلتا قد ارتفع من ٥,٨٠٠,٩٠ نسمة فيعام ١٩٠٧ إلي ١٥,١٦٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٠ أى بزيادة قدرها ١٤٨,٥٪ خلال مدة زمنية تقدر بثلاثة وخمسون عاماً. ولما كان نسبة نمو المدن مغايرة لهذه النسبة فسنحاول تبعاً لنسبة النمو أن نقسمها الى أربع مجموعات رئيسية وهى :ـ [1]

أولاً : مجموعة تتميز بالنمو البطئ فى سكانها وهى تلك المدن التى تقل فيها نسبة زيادة السكان عن ١٥٠٪ وهى المعدل العام لنمو سكان الوجه البحرى فى الفترة ما بين عامى ١٩٠٧ -١٩٦٠.

ثانياً : مجموعة تتميز بالنموالسريع للسكان وتشمل تلك المدن التى تراوحت فيها نسبة الزيادة فى سكانها بين١٥٠ - ٢٥٠ ٪.

ثالثاً : مجموعة تتميز بالنمو السريع للسكان وتتراوح فيها الزيادة بين ٢٥٠ -٣٥٠ ٪ .

رابعاً : مجموعة أخيرة وتشمل المدن التى تزيد فيها النسبةعن٣٥٠٪ وهى المدن التى تمتاز بالزيادة غير العادية فى سكانها.

هذه المجموعات تظهر فى الجدول الآتى الذى يبين نسبة الزيادة فى الفترة ما بين ١٩٠٧ -١٩٦٠.

---

(1) EL GOWHARY. OP. P.81

المجموعة الاولى	المجموعة الثانية	المجموعة الثالثة	المجموعة الرابعة
١٥٠٪	١٥٠٪ – ٢٥٠٪	٢٥٠٪ – ٣٥٠٪	ما يزيد عن ٣٥٠٪
زفتى ٨٧	شبين الكوم ١٦٢	بور سعيد ٣٤٥	القاهرة ٢٦٢
سمنود ٨٠	دمياط ١٦٢	الاسكندرية ٣٠٠	السويس ٧٥٤
	طنطا ٢٢٢	المنصورة ٢٥٨	الاسماعلية
	الزقازيق ٢٢٥	دمنهور ٢٧٠	١٣٧٥
	بنها ١٩٤		المحلة الكبرى ٤٣٤
	كفر الزيات ١٦٦		

ويلاحظ على هذا الجدول انه لا يقع اى مدينة كبرى فى المجموعة الاولى بينما تظهر طنطا فى المجموعة الثانية ويبدو أن نمو مدينة طنطا قد تأثرت بإنشاء السكك الحديدية فقفز عددسكانها من ٣٣٧٥٠ نسمة فى عام ١٨٨٢ إلى ٥٧,٧٩٠ نسمة فى عام ١٨٩٧ ثم ارتفع الرقم الى ١٨٤٠٠٠ نسمة فى عام ١٩٦٠. اما فى المدن الأخرى المنطوية تحت هذه المجموعة فقد تأثرت بوظيفتها الادارية كعواصم محلية للاقاليم التى توجد بها. أما المجموعة الثالثة فتشمل بور سعيد والاسكندرية والمنصورة ودمنهور. ومعروف بطبيعة الحال أن بور سعيد مدينة حديثة ارتبطت نشأتها بحفر قناة السويس، بينما الاسكندرية مدينة يونانية عريقة فى قدمها يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة وكاد أن تكون من حيث نسبة زيادة سكانها مع القاهرة من المجموعة الرابعة غير أنه مع كبر حجم الاعداد نلاحظ أنه من الصعب على نسب مرتفعة.

اما مدن المجموعة الرابعة فيجد فيها قسمين منها يشمل مدينتى السويس والاسماعلية وقد تأثرا فى نموها الاستراتيجى موقعها على قناة السويس واهميتها كمراكز لمعسكرات جنود الاحتلال اثناء الحرب العالمية الثانية والسنوات القليلة التى فى اعقابها.

أما عن القاهرة فبحكم وظيفتها كعاصمة فهى المغناطيس الدائم لمعظم سكان مصر وهى المكان المفضل لمعظم السكان المتطلعين لحياة [illegible] المدينة.

اما مدينة المحلة الكبرى فهى العاصمة الصناعية لمصر التى لا تضاهيها فى سرعة نمو سكانها سوى مدن القنال. وهنا لا بد وأن نتساءل هل الزيادة الطبيعية هى المسئولة عن زيادة سكان المدن أو ان للهجرة دوراً فعالاً فى هذا الصدد. والواقع أن كل من الهجرة والزيادة الطبيعية تساهم بنصيب فى زيادة عدد سكان المدن ومعروف أن الهجرة تتحكم فيها ثلاثة عوامل نسبية هى :

١- الامكانات الاقتصادية فى مكان محدد.

٢- طبيعة عوامل الطرد من البيئة القديمة.

٣- ثم المسافة بين المكانين القديم والجديد.

ويلاحظ أن الاحصاءات المصرية قد اهملت دراسة الهجرة بين المدن المصرية بعضها والبعض الآخر اذ اقتصرت فقط على بيان التيار الى مدن القاهرة والاسكندرية ودمياط ومدن القنال ثم الاشارة بعد ذلك إلى جملة السكان المهاجرين إلى المحافظات الاخرى. ومن دراسة هذه الارقام يتبين أن الهجرة الداخلية فى مصر قد وجهت من الريف إلى المدن كنتيجة لعوامل الطرد المختلفة كضغط السكان محدودة من الارض الزراعية كما هو الحال فى محافظة المنوفية.

ويبدو ايضاً أن معظم المهاجرين يتجهون من وسط الدلتا إلى القاهرة والاسكندرية ودمياط ومدن القنال والسبب فى ذلك ان كثافة السكان فى وسط الدلتا عالية وذلك بالاضافة إلى أن التربة الزراعية قد اجهدت فى بعض المناطق ولا سيما فى محافظة المنوفية ، حيث تصل الكثافة فى هذه المنطقة حوالى ٧٣٤ نسمة فى ك.م. وهنا نلاحظ أن المسافة بين مراكز النشاط المختلفة وقوة جاذبيتها الاقتصادية توجه عدد المهاجرين. فعلى سبيل المثال تقبلت القاهرة فى عام ١٩٤٧ حوالى ٨٣,٢٪ من جملة المهاجرين القادمين من محافظة المنوفية وحوالى ٦٩٪ من الغربية بينما لم يهاجر من محافظة المنوفية إلى الاسكندرية إلا حوالى ١٥,٧٪ مقابل ٢٦,١٪ من الغربية ويظهر الدور الذى تلعبه المسافة فى الهجرة للمدن مرة ثانية فى الهجرة من محافظة البحيرة إلى الاسكندرية ففى نفس

العام استقبلت الاسكندرية من محافظة البحيرة حوالى ٦٦٪ من جملة المهاجرين من المحافظة فى مقابل قبل ٠,٠٣٠ توجهوا إلى القاهرةو٧٦٪ إلى السويس و١٪ إلى دمياط.

أما اغلب المهاجرين من شرق الدلتا فيتجهون ايضاً إلى القاهرة حيث تبلغ نسبة الوافدين اليها من شرق الدلتا حوالى ٧٩,٢٪ من جملة المهاجرين من هذه المنطقة.

نتائج زيادة سكان المدن :

وقد كان من جراء زيادة سكان المدن المصرية، ان بدأت تزداد الرقعة المدينة وصاحب هذا الامتداد العمرانى تغير فى التركيب الوظيفى للمدينة وظهور عديد من المشاكل السكانية والاجتماعية ويهمنا من هذه المشاكل ثلاثة مشاكل رئيسية :ـ

المشكلة الأولى :

وهى أن إزديادالسكان أدى إلى اتساع رقعة المدينة وبالتالى كان هذا التوسع على حساب الاراضى الزراعية التى نحاول بكل ما أوتينا من قوة اقتصادية – أن نزيد من رقعتها. ولكى تكون المشكلة ماثلة أمامنا لابد أن نلجأ إلى الارقام والاحصاءات حتى تظهر لنا بوضوح مقدار ما يتآكل من الارض الزراعية عن طريق التعرية المدنية. فعلى سبيل المثال اتضح من الدراسة الديموغرافيةلمدينة المحلة الكبرى وأن هناك زيادة مطردة فى عدد السكان وكثافتهم ومساحة الرقعة التى تشغلها منازلهم وملحقاتها الاجتماعية والادارية. فقد زاد عدد سكان مدينة المحلة الكبرى من ٢٧,٨٥١ نسمة فى ١٨٨٢ إلى ١٨٧,٩٣٢ نسمة فى ١٩٦٠ كما قدر أن عدد السكان فى عام ٢٠٠٠ ربما سيصل إلى حوالى ٥٧٧,٠٠٠ نسمة [1] ، وسكان طنطا ايضاً قفز عددهم من ١٠,٥٠٠ نسمة فى عام ١٨٠٠ إلى ١٩٩,٢٩٨ نسمة فى عام ١٩٦٠ وقدر انهم سوف يصلون فى عام ٢٠٠٠ إلى حوالى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة وبطبيعة الحال هذه الزيادة المضطردة فى عدد السكان هى مقياس تغير نمط استغلال الارض بمعنى انه تبعاً

(1) Ibid Vol. II., P. 349

لتقدير هيئة التخطيط الموجودة فى مدينة المحلة الكبرى أن المساحة اللازمة للاراضى التى سوف تشغلها المدينة المختلفة من منازل ومدارس وابنية حكومية ونوادى وغير ذلك، هذا فى مقابل ١٥٠٠ فدان تشغلها المدينة فى الوقت الحاضر - كذلك المساحة المطلوبة لمدينة طنطا فى عام ٢٠٠٠ هى ٤٨٠٠ فدان فى مقابل ٢٠١٢ فداناً تشغلها حالياً - أى أننا نحتاج لحوالى ٩٥٠٠ فدان من الاراضى الزراعية لتدخل ضمن نطاق امتداد العمران لهاتين المدينتين الامر الذى يتنافى مع سياسة الحكومة الهادفة إلى زيادة الرقعة الزراعية. فالمشكلة التى امامنا هنا كيف نحافظ على نمو المدينة لمقابلة زيادة السكان دون أن نتعرض لتعرية الاراضى الزراعية. وفى رأى أن خير حل لهذه المشكلة هو بناء ضواحى حقلية رأسية. تشبه إلى حد كبير الحدائق التى نادى بها لاكروبيز ولتحل محل هذا النمو غير المنظم المنتشر فوق الاراضى الهامشية للمدن.

المشكلة الثانية :

وهى الحاجة الملحة لبناء لتقابل زيادة السكان فى المدينة وهناك عاملان رئيسيان من وجهة نظر الدراسة السكانية يجب أن ينظر اليهما بعين الاعتبار عند تقدير حاجة المدينة من المنازل أولهما

ان الزيادة المضطردة فى عدد السكان لا تعنى مطلقاً زيادة عدد الاسر [١] . بمعنى أن نمو السكان فى الفترة زمنية معينة ربما يرجع إلى زيادة المواليد على الوفيات الذى قد يودى إلى زيادة حجم الاسرة. ويبدو هذا بوضوح فى كل عواصم المحافظات حيث أرجع زيادة سكانها فى الفترة ما بين ١٩٤٧ - ١٩٦٠ إلى الزيادة الطبيعية فالهجرة لم تساهم الا بنصيب ضئيل جداً فى هذا الصدد. أما العامل الثانى وهو أن طلبات المساكن الحقيقية لا تتأتى من عدد الأسر بل من عدد السكان الفعليين الذين يرغبون فى المعيشة فى منزل خاص بهم أو العدد الفعلى الذى يعيش فى المدينة. وهناك يجب أن نوجه النظر إلى حقيقة هامة وهى أن الرباط الاسرى فى المدينة اقل ظهورا منه فى القرى. هذا من جهة ومن

(1) Ammar, A., A demographic study of an Egyptian province (Sharqiya). London, 1941. P. 32.

جهة أخرى نلاحظ أن احصائياتنا المصرية تفتقر إلى كثير من المعلومات عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية للاسرة كوحدة قائمة بذاتها ولهذا فإن بعض الباحثين ينادى بأنه يجب أن نعتمد فى تقديرنا لحاجة المجتمع من المساكن على عدد الافراد المتزوجين على اعتبار أن كل زوجين يحتاجان لمسكن خاص بهم. على أى حال يجب الا نتطرف فى تقدير المساكن على أساس عدد المتزوجين اذ يجب أن نضع إلى جانب ذلك العامل اهمية أزمة المساكن والتى تبدو بوضوح من زيادة درجة التزاحم أو عدد الأفراد الذين يعيشس فى حجرة واحدة.

ومما هو جدير بالذكر انه قد جرى العرف بين الباحثين المهتمين بدراسة السكن والسكان على أن يطلقوا مصطلح أزمة المساكن اذا كان هناك اكثر من فردين يعيشان فى حجرة واحدة أو أكثر من شخصين يشغلان حجرة نوم واحدة [١] .

وبطبيعة الحال عند تطبيق ذلك على المدن المصرية سنجد إلى اى حد تواجه مشكلة اسكان ويكفى للتدليل على ذلك ان نشير الى درجة التزاحم فى كثير من المدن قد تصل كما هو الحال فى مدينة المحلة الكبرى إلى ما يقرب من ٣ أشخاص لكل حجرة فى المدينة.

المشكلة الثالثة :

تزاحم السكان وازديادهم فى المدن يصحبه الضغط على موارد تموين المدينة ومشكلة المواصلات والمطالبة بزيادة الخدمات الاجتماعية.

وهنا نود أن نلفت النظر إلى أن التطرق إلى المشاكل المترتبة على زيادة السكان فى المدن لا يعنى مطلقاً أن ازدياد نسبة سكان الحضر اتجاه يجب أن نقف فى صدده لانه يمثل خطراً على اقتصادياتنا بل بالعكس ان ارتفاع نسبة سكان المدن سوف تؤدى بطريق غير مباشر لرفع المستوى المادى وزيادة نسبة التعليم التى سوف تؤدى حتماً إلى أن يقبل الافراد على الاخذ بمبدأ الاسرة الصغيرة وتجديد النسل . غاية ما فى الأمر اننا

---

(1) Pearson S. V., The growth and the distribution of population, London, 1935, P. 369

نسوق مشكلات المجتمع الحالى فى المدن المصرية. إذ ان زيادة سكان المدن لم ترتبط بزيادة الخدمات الاجتماعية [1] كما ان مشاكل المواصلات تزداد سوءا يوماً بعد يوم لأن الامكانيات الاقتصادية المنصرفة على هذا المرفق لا توازى ايضا نسبة زيادتنا فى السكان وبالتالى سرعة الامتداد العمرانى الذى يجعل لزام على الفرد أن يستخدم وسيلة للمواصلات للذهاب إلى عمله داخل المدينة او خارجها.

ثم أن مشاكل تموين المدينة بدات تظهر نتيجة لازدياد السكان فبعد ان كان اقليم المدينة او ظهير المدينة الزراعى يكفيها اصبح الآن لا يفى بحاجات سكانها من الانتاج الحيوانى والزراعى واصبح لزام عليها ان توضع نطاق نفوذها إلى الاقاليم المجاورة لتستمد منها ما لديها من فائض. وبطبيعة الحال انتقال هذا الفائض يتطلب وسائل نقل وهى بدورها الاهتمام بانشاء الطرق التى تقام فى اغلب الاحيان على اراضى زراعية نحن فى حاجة اليها.

وهكذا يتضح أن كل مشكلة مرتبطة بالاخرى وأن المشاكل ينتهى بها المطاف جميعاً إلى تناقص الاراضى الزراعية فهل سبيل لعلاج هذه المشكلة، ولو من وسيلة للتخفيف من حدة مشكلة السكان الماثلة امامنا بجميع عناصرها المادية فى الريف والمدن ؟

ان الخطوة الاولى فى العلاج السريع لمشكلة فى مصر هى تنظيم الاسرة وذلك عن طريق نشر التعليم ورفع المستوى الاجتماعى ونشر الافكار الخاصة بتنظيم النسل بين افراد المجتمع. ونحن اليوم فى مصر فى أشد الحاجة لتنظيم اسرنا عن طريق تحديد النسل اذ يجب ان نقف بعدد السكان إلى المستوى الحالى حتى نستطيع أن ننهض بالاعباء الثقيلة التى أمامنا. لان كل زيادة فى عدد السكان معناها زيادة فى الايدى العاملة وخلق فم يطلب المزيد من المأكل والمشرب والمزيد من العناية الطبية والمزيد من الثقافة وكل هذا يقتضى منا المزيد من رؤوس الاموال والمزيد من الانفاق على السلع الغذائية الاستهلاكية وليس هذا بيسر الآن

(1) Pitt rivers, G., Reglonal planning in relation to population movement, Population Journal, 1936, vol. 2, P. 30.

. فضلاً عما فى هذا الاجراء من خطورة لا يستهان بها. اذ أن مصادر الثروة فى مصر كما سبق أن ذكرنا غير قادرة بل وعاجزة تماماً عن ملاحقة السكان فى نموهم.

ومن وجهة أخرى عدم وجود الدخل الكافى فى الاسرة للانفاق على طفل جديد فيه ضرر كبير على باق الاطفال، فالفقر يسير جنباً إلى جنب مع كثرة الأطفال فى مصر. حقيقة أن فكرة تكاليف الاطفال اتجاه يخالف العادات الاجتماعية القديمة التى لا تزال سائدة فى بعض الطبقات والتى تقول بأن الاطفال بركة وسعادة وأن قياس تكاليفهم بالدرهم والدينار شيء مادى نحن ابعد الناس عنه. ولكن يجب أن نعطى للناحية المادية اهميتها فى تطرفاتنا الانسانية ولا بد ان نذكر ان اسباب تأخرنا الاقتصادى اننا اغفلنا هذه الناحية رغم أنها المحرك الأكبر لكل تصرفاتنا. ولذلك يجب علينا ان نفكر ملياً فى البند الخاص بتكاليف الاطفال قبل أن نتمادى فى انجاب الأطفال دون ضابط أو رباط يحد من تلك النزعة الخطيرة.

ولا ننسى ايضاً أن تكاليف الاطفال بالنسبة للدولة قد غدت عبئاً ثقيلاً يصعب حمله. فتكاليف تربيتهم وتثقيفهم يعتبرها بعض الاقتصاديين نفقات استهلاكية لا تؤدى الى فوائد انتاجية سريعة ومباشرة والمسألة كما يقول البعض مسألة اختيار بين أصلح واجدى أنواع الانفاقات على الأوجه المختلفة.

ونحن نرى أنه ما دام تحديد النسل حقيقة واقعة ولا بد أن تمارسها اكثر الاسر من المستحسن حفظاً للصحة العامة ان تنمو الاذهان إلى خير الاساليب الصحية التى تفى بهذا الغرض مع المساس بصحة الامهات.

وقد يقال أن وسائل تنظيم النسل غالبية الثمن ، بعيدة عن الفقراء ومتوسطى الدخل، ولكن هذا الاعتراض لا وجود بعد ان تنبت الحكومة مشروع تحديد النسل وانشأت عيادات خاصة لذلك فى بعض المستشفيات والوحدات الاجتماعية التى تعطى الحبوب مجاناً لطالبيها بعد الكشف عليهم واعطائهم التوجيهات اللازمة لاستخدامها.

الموضوع الثالث

محافظة المنيا

صفحة من الماضى

البذور الأولى للاستقرار البشرى

شاءت الظروف الجغرافية أن تحتل منطقة محافظة المنيا جزءا من الواحة الطويلة الممثلة فى وادى النيل والواقعة ضمن منطقة تتسم بالمناخ الصحراوى المرتبط بالجفاف والبحث عن مصادر المياه فى أى مكان ، ومن ثم فالاستقرار البشرى فى هذه المنطقة مرتبط تماما بالاستقرار العام فى أرض الكنانة ولكن ليس معنى ذلك ان البيئة المحلية لم يكن لها دورا فى تشكيل نمط العمران والاستقرار فى منطقة محافظة المنيا وانما معناه أنه الى جانب السمات العامة التى جمعت بينها وبين بقية أجزاء مصر فان البيئة المحلية تركت بصماتها على ملامح معينة فى نمط الاستقرار المحلى للسكان فى مناطق استقرارهم .

فمع تحوّل الصحراء المصرية من بيئة غنية الى بيئة فقيرة مع انتهاء العصر المطير اصبح الاستغلال قاصرا فقط على مناطق الأودية الجافة حيث تقترب المياه الباطنية من الأرض وتسمح الظروف بنمو الأعشاب وقيام حياة رعوية . هذا فى نفس الوقت الذى مثل وادى النيل فيه بيئة مستنقعية مليئة بالبحيرات .

وسكان مصر الأوائل الذين استقروا فى الوادى وارتبطوا أساسا بسلالة البحر المتوسط تعود نشأتهم الى عصر ماقبل الأسرات تلك الفترة التى استمرت أكثر من ألف عام استطاع فيها الانسان أن يصنع البذور الأولى للمدينة المصرية .

ومنذ بداية التاريخ كان وادى النيل مسرحا للهجرات البشرية التى اختلفت فى حجمها ومداها من آن لآخر ، وكان من نتيجتها انتشار خليط السكان على طول وادى النيل فى منطقتين منفصلتين أحدهما فى جنوب أسيوط والأخرى فى شمال غرب المنيا فى منطقة الفيوم حيث كان التميز مع منتصف الألف الرابعة ق . م بين مصر العليا ومصر السفلى . وقد شهد صعيد

مصر موجة من الهجرات الحامية هبطت بعد ذلك الى مصر السفلى مع تقدم عصر المعدن الا أنه مع بداية الألف الثالثة ق . م ذابت الفوارق الجنسية التى كانت تميز الجماعات الوافدة بسبب الاختلاط وظهر المصريون كجماعة مولده يكونون وحدة جنسية خاصة بهم . على أى حال فمع العصر الحجرى الحديث ظهرت حضارات مرتبطة بمظاهر انتاج هذا العصر ومخلفاته فى موقعى تجمع السكان فى مصر العليا ومصر السفلى ففى ديز تاسا ظهرت أقدم حضارة حجرية حديثة سجلت آثارها فى وادى النيل وكانت على اتصال بالفيوم من ناحية والواحة الخارجية من ناحية أخرى ، كما ظهرت حضارة البدارى الى الجنوب من منطقة محافظة المنيا وامتدت مظاهرها صوب الجنوب الى ارمنت والى وادى الحمامات . وقامت ايضا حضارة العمرة الى الجنوب من منطقة المنيا التى بدأ أصحابها فى زراعة السهل الفيضى للنيل زراعة منظمة .

أما شمال غرب منطقة محافظة المنيا فقد وجد فى الفيوم محلات العصر الحجرى الحديث التى انتشرت على أطراف بحيرة قارون فى الألف الخامسة ق. م .

واذا كانت منطقة محافظة المنيا قد خلت من الآثار التى تشير الى وجود حضارات مماثلة لتلك الحضارات التى قامت فى المناطق الشمالية الغربية والجنوبية من حدودها الا أنها بحكم موقعها الجغرافى تأثرت بجملة التيارات الحضارية فى اتجاها صوب الجنوب أو نحو الشمال .

وفى الواقع كان لنظام تدفق المياه فى نهر النيل وطبيعة الارساب فيه عاملاً حيوياً فى انتقاء مواقع الاستيطان منذ العصور القديمة لأن التيارات النهرية تعمل على نحت الجانب الأيسر من نهر النيل وتلقى برواسبها على الجانب الأيمن منه مما ترتب عليه أن أصبح السهل الفيضى على الجانب الشرقى للنيل أضيق منه على الجانب الغربى فيتراوح متوسط أدنى اتساع

للسهل الفيضى فى منطقة مركز المنيا غرب النيل حوالى ١٣ ك . م بأقصى اتساع له ٢٠ ك . م بينما يصل أدنى اتساع فى شرق النيل الى أقل من نصف كيلو متر.الأمر الذى ترتب عليه أن المحلات العمرانية فى غرب النيل أكبر حجما ونوعا ، وأقل تباعدا من تلك التى توجد فى شرق النيل .

ويلاحظ أن مركز المنيا كغيره من المناطق التى يمر خلالها نهر النيل تأثر بعملية طرح النهر وأكله تبعا لطبيعة مجراه ومن ثم فعكس القاعدة المعروفة فى مصر الوسطى وبسبب انثناء النهر ينحت النيل عند المنيا الجانب الغربى ويلقى برواسبه على الجانب الشرقى ولذا تقل أراضى الطرح على الجانب الغربى بعكس الحال فى الضفة الشرقية ، ولاسيما فى ناحية سواده ودير البرشا (١) . غير أن هذه الحالة لاتأخذ على أنها قاعدة عامة بسبب وجود بعض مناطق الطرح فى الغرب ولاسيما جنوب مركز المنيا عند ناحية المطاهرة البحرية .

وسيادة الرواسب الفيضية فى منطقة محافظة المنيا وفقا لأعمال الحفر التى نفذت فى مدينة المنيا والبرجاية وبهدال وطهنا الجبل ودمشير وزهرة والبهنسا بينت وجود اختلاف فى طبيعة التربة بين شرق النيل وغربه حيث تسود فى شرق النيل تكوينات الحجر الجيرى النوموليتسى التى يرجع مصدرها الى الهضبة الجيرية الأيوسنسية المجاورة على حين يخلو الجانب الغربى من هذه التكوينات ليحل محلها التكوينات الطينية .

وقد انعكس هذا الموضوع الطبيعى على مواد البناء التى عمادها الطين فى غرب النيل بينما يمثل الحجر الجيرى مصدرا هاما فى شرق النيل وقد أثر

---

(١) امال حسن - أراضى طرح النهر - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ ، صفحة ٢٤ .

هذا الموضوع على اختيار مواضع التوطن القديمة التى روعى فى اختيارها توفر الامكانات اللازمة لقيام الحياة الانتاجية من حيث القرب من المورد المائى ، كما أن الالتجاء الى اقدام الهضبة لاستغلالها فى تشييد المعابد ارتبط بفكرة الخلود.

وقد وجد المنياويون شأنهم فى ذلك شأن بقية المصريين القدماء أن الجانب الشرقى للنيل بيئة أفضل لاختيار مواضع محلاتهم لأن قرب الهضبة من النهر ساعدتهم على ممارسة نشاط أوسع وذلك بعكس الوضع الجغرافى فى الهضبة الغربية التى تبتعد فيها الهضبة عن النهر وتدفع الانسان للمحاولة لايجاد مناطق تتوافر فيها المياه الباطنية لكى يقيم بالقرب منها محلاته العمرانية وذلك على تخوم الوادى الزراعى .

وقد ترتب على ذلك أن أصبح عدد المحلات العمرانية الممثلة للعصور القديمة والتى توجد على الجانب الشرقى أكثر من تلك التى نشأت على الجانب الغربى .

فمن بين ثمانية عشر موضعا لمحلات العصر الفرعونى اليونانى الرومانى فى منطقة محافظة المنيا نجد احدى عشر موقعا على الضفة الشرقية (١) حيث يضم مركز ملوى وحده مايقرب من ثلث المواقع الأثرية القديمة اذ يوجد بها خمسة مواضع فى مقابل ثلاثة مواضع قديمة فى بنى مزار وعدد مماثل فى مركز سمالوط واثنين فى مركز المنيا وعدد مماثل فى مركز دير مواس ، بينما تقيم كل من أبوقرقاص ومغاغة موضعا واحدا .

وتحتل منطقة ملوى رأس قائمة مناطق الاستيطان فى العصر الفرعونى

---

(١) ناريمان درويش - الجغرافيا التاريخية لمنطقة محافظة المنيا - الاسكندرية - ١٩٨٠ ، صفحة ٤٠ .

وذلك بالنسبة لمنطقة محافظة المنيا بسبب احتوائها من ناحية المادة العلمية والمساحة على أكبر المناطق الأثرية . كما أنها تختلف عن مثيلتها من مراكز منطقة المحافظة فى أن مدينة حبنو وهى المحلة العمرانية الرئيسية آنذاك كانت تقع على الضفة الغربية وحيث استغل موضعها الجغرافى فيما بعد مدنا أخرى انتمت الى العصر اليونانى الرومانى . وقد جاورها على بعد بضعة كيلومترات تونا الجبل أو مدينة الأموات والتى احتوت مقابرها على تراث مادى لما كانت عليه الحالة الاجتماعية والاقتصادية والروحية فى تلك المنطقة . وقد وجد فى نفس المنطقة على الضفة الشرقية البرشا ودير ابوحنس والشيخ عباده والتى عرفت قديما باسم انطونيو بوليس .

أما فى دير مواس التى تمثل الطرف الجنوبى لمنطقة محافظة المنيا فتضم مركزين حضاريين على الجانب الشرقى وهما تل العمارنة أو مدينة اخناتون وجبل الشيخ سعيد فى حين ضمت منطقة مركز أبوقرقاص بنى حسن الشروق واطلال اسطبل عنتر الذى يقع على بعد ٢ كم الى الشرق منها . وهكذا تضم المنطقة الممتدة من المنيا صوب الجنوب أكثر من نصف عدد المحلات العمرانية فى العصور القديمة لأنها احتوت على عشرة أماكن من بينها طهنا الجبل ومدينة حينو اللتان وجدتا على الضفة الشرقية للنيل .

أما المنطقة التى تشمل حاليا مركز سمالوط وبنى مزار ومغاغة والممثلة للجزء الشمالى من منطقة محافظة المنيا فقد اشتملت فى جانبها الشرقى على خمس محلات عمرانية هى جبل الطير ودير جبل الطير والسريرية التى تقع فى منطقة مركز سمالوط ثم الشيخ فضل التى تقع فى قرية بنى مزار وشارونه أو الكوم الأحمر التى تقع فى مغاغة - أما على الجانب الغربى وفى نفس المنطقة فما تزال آثار بلدة القيس فى بنى مزار والبهنسا تشيرا الى ماكان عليه العمران فى تلك المناطق .

ونظرة مدققة الى توزيع مواضع المحلات العمرانية القديمة تظهر أن المسافات بين هذه المواضع القديمة على الضفة الشرقية من النيل تتقارب فى منطقة ملوى فى نفس الوقت الذى تأخذ فيه هذه المسافات فى التباعد كلما اتجهنا شمالا فى المنطقة التى يحتلها مركز أبوقرقاص والمنيا وسمالوط وبنى مزار ومغاغة .

ولنتحدث بلغة الأرقام حيث نجد متوسط فاصل المسافة بين المحلات العمرانية القديمة على الجانب الشرقى فى منطقة التركز الجنوبية حوالى أربعة كيلومترات . وهى نفس المسافة بين تل العمارنة وجبل الشيخ سعيد فى حين تبعد المسافة بين موضع المحلة العمرانية الأخيرة وموقع دير البرشا بحوالى ٥ ر ١٠ ك.م فى مقابل ٥ ر ٣ ك.م بين دير أبوحنس ودير البرشا .

ومعنى ذلك أن العمران البشرى اتسم بالاتصال والانتشار على طول امتداد الضفة الشرقية من النيل فى المنطقة الجنوبية من محافظة المنيا فى العصور القديمة حيث ان صغر المسافات بين المحلات العمرانية لايتضمن انقطاع التواجد البشرى فى هذه المناطق لأن التركز فى محلة عمرانية معينة لاينفى وجود تدرج فى كثافة العمران من المركز -الذى تمثل فى مقر الحكم أو المعبد - نحو الأطراف بحيث يمكن اعتبار المسافات الفاصلة مناطق انتقالية للاستقرار . ويؤيد هذا الاعتقاد مقدار امتداد المناطق الأثرية التى تشكل أغلبها أكوام من الكفرى . ففى منطقة الشيخ عباده التى تقع الى الشمال من دير أبوحنس بحوالى ٣ ك . م تمتد بقايا أكوامها الأثرية ومخلفاتها صوب الجنوب لتتصل بمنطقة دير أبوحنس بينما من جهة الشمال والشرق يحدد معالم حدودها وجود المقابر التى أقيمت فى العصر الرومانى وكذلك الكنيسة القبطية.

والى الشمال من الشيخ عباده تتباعد المسافات بين مراكز الاستقرار

القديمة لتسجيل فاصل قدره ١٠ ك.م بين الشيخ عباده وبنى حسن الشـروق و ١٦ ك.م بين مدينة حبنو وبنى حسن الشروق ثم ١٧ ك.م وبين طهنا الجبل ومدينة حبنو.وربما يرد التباعد النسبى وبين مواضع الاستقرار السابقة الى كبر حجمها أو الى ثقلها الحضارى ان صح هذا التعبير حيث تعتبر كل من منطقة بنى حسن الشروق وطهنا الجبل من أهم المواقع الأثرية وأكثرها شهرة فى منطقة محافظة المنيا اذ تضما أدلة أثرية متعددة تعود الى العصر الفرعونى فى الدولة القديمة والدولة الوسطى والى العصر اليونانى الرومانى (١) مرة أخرى تتقارب المسافات بين مواضع الآثار فى شمال مركز المنيا لتعود مرة ثانية الى المسافة المتوسطة التى وجدت التركز الجنوبى فتصل المسافة بين طهنا الجبل وجبل الطير الى ٤ كم وبين جبل الطير ودير جبل الطير الى ٦ ك.م ثم الى ٥ ك.م بين السريرية وجبل الطير ولاتأخذ المسافة الفاصلة هنا كما حدث بالنسبة لمناطق التركز الجنوبية على أنها مناطق خلت من العمران البشرى القديم بل كانت مناطق انتقال بين التجمعات البشرية .

أما الى الشمال من السريرية حيث تبدأ المناطق الأثرية فى القلة والتباعد بسبب القرب أو الاقتراب من منطقة نفوذ مراكز الاستقرار التى نشأت فى منطقة الفيوم واهناسيا .

وبالنسبة لمواضع الاستقرار القديمة على الجانب الغربى من النيل فقد كانت لها ظروفا جغرافية مختلفة عن تلك التى قامت على الجانب الشرقى ويمكن تقسيم هذه المواضع تبعا لموقعها الجغرافى بالنسبة للأراضى المعمورة الى قسمين اذ تتواجد مجموعة منها فى وسط الأراضى الزراعية فى حين تقع

(١) المرجع السابق من صفحة ٤٤ - ٤٧ .

الأخرى بالقرب من حافة الهضبة الغربية على تخوم الأراضى الفيضية . وينتمى الى المجموعة الأولى الأشمونين التى تبعد بحوالى ٨ ك.م صوب غرب النيل والقيس التى تقع شمال الأشمونين بحوالى ٨ ك.م وعلى بعد ٦ ك.م من نهر النيل ويمكن ارجاع هذا التباعد الى أن الضفة الغربية للنيل لم تكن بيئة مفضلة للاستيطان القديم لأن أراضى مناطقها كانت مغطاه بالمستنقعات ومن ثم لم تكتن بيئة مستأنسة كما هو الحال فى الضفة الشرقية للنيل .

أما مجموعة المواقع التى تقع على الحافة الغربية للهضبة فتتصدرها تونا الجبل التى تقع الى الغرب من الأشمونين وبحر يوسف وبصفة عامة يمكن ارجاع تركز مركز الاستقرار القديم فى منطقة ملوى الى الظروف التاريخية والبيئية التى وجدت فيها هذه المحلات حيث مثلت المنطقة منطقة مقاومة فى أثناء حكم الأسرة ٢٤ وهى أسرة بمنخى .

هذا وتكاد تخلو الهضبة الغربية فى منطقة مركز أبوقرقاص وغيرها من المناطق الواقعة الى الشمال منها من الآثار الخاصة بالعصور القديمة حيث لانجد مواضع لمحلات قديمة سوى البهنسا التى تقع على نهاية الطريق المسمى بدرب البهنساوى والذى كان وسيلة للربط بين الواحات البحرية ووادى النيل . موضع البهنسا موضعا جذب استقرار بشريا لحضارات لاحقة للحضارة الفرعونية لأنه يضم آثارا تنتمى الى العصراليونانى والرومانى .

الأودية الجافة ومركز العمران القديم

تستقبل منطقة محافظة المنيا على طول امتدادها فى المسافة بين حدودها الشمالية وحدودها الجنوبية مجموعة من الأودية الجافة التى تنتهى عند تخوم الوادى من النهاية الشرقية والتى يمكن تتبعها وفقا لمواضع المحلات العمرانية المتمركزة فى هذه الناحية من الشمال الى الجنوب على النحو التالى:

١ - وادى شارونة الذى يتبع من الهضبة الشرقية بعدد من الروافد تتجمع من الجنوب الشرقى والشمال الشرقى ليتخذ فى مجرى واحد يتجه صوب الشمال الغربى لينتهى عند شارونة أو الكوم الأحمر سواريس .

٢ - وادى المهشم ويقع الى الجنوب من شارونة وينتهى عند بلدة الشيخ فضل.

٣ - وادى الخرافيش الذى يهبط من منطقة ملحية ارتفاعها يتراوح مابين ١٥٦ - ١٣٦ م فوق مستوى سطح البحر وينتهى ايضا عند الشيخ فضل.

٤ - وادى طرفه الذى يعتبر مسلك رئيسى بين وادى النيل والصحراء الشرقية الى الجنوب من الشيخ فضل بحوالي ٧ كم والى الشمال من السريرية بحوالي ١٢ كم [illegible]

٥ - وادى السرايريا وينتهى بالقرب من عزبة حماد جودة .

٦ - عند بنى خالد الى الجنوب من السرايرية بحوالي ٣ ك.م يوجد مجموعة من المحلات العمرانية القديمة والتى من بينها دير جبل الطير حيث ينتهى هنا وادى جرف الطير ويعتبر جبل الطير نهاية مطاف لواد بين جافين ففى طرفه الشمالى ينتهى وادى خشم الوادى عند قرية قسم الوادى بينما فى طرفه الجنوب يوجد وادى جبل الطير .

٧ - وادى الطهناوى وترجع أهميته الى امتداده الكبير من ناحية الى كبر المساحة التى تدخل ضمن منطقة الصرف التابعة له من ناحية أخرى وهذا الوادى ينتهى الى الجنوب من طهنا الجبل وذلك بعد أن يأخذ الاتجاه العام للأودية الجافة من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى هذا وتوجد الى الجنوب الغربى من هذا الوادى مجموعة من محاجر الرخام الأثرية . كما

أنه على التخوم الجنوبية فى الجانب الشرقى لمنطقة مركز المنيا توجد مدينة حينو ؟أو الكوم الأحمر والتى تضم منطقتها زاوية الأموات .

٨ - وادى حسحاسى ويرتبط بنهاية محله عمرانية رئيسية تنتمى الى العصر الفرعونى وهى بنى حسن الشروق .

٩ - وادى عباده ووادى المرعى اللذان ينحدرا من الشمال الغربى ليتحدا فى مجرى واحد يصب عن انطيوبوليس أو الشيخ عباده فى مركز ملوى وهذه المناطق غنية بالاثار حيث يوجد الى الشمال عن الشيخ عباده ودير الديك وأطلال دير الهواء اللذان يتبعا انطيويوليس ، كما يوجد الى الجنوب من الشيخ عباده دير أبوحنس ثم دير البرشا اللذان يلتقيا عند وادى النخلة .

١٠ - وادى البرشاوى ويخترق منطقة كانت تستخدم فى العصر الفرعونى كمحاجر للرخام .

١١ - أودية أبوحصاه البحرى وحصاه القبلى ووادى العمرانى ومجموعة هذه الأودية تلتقى فى جبل الشيخ سعيد وتل العمارنة حيث وجدت أول مدينة عمالية مخططة فى مصر الفرعونية .

وهكذا يظهر لنا مدى الارتباط بين مواضع المحلات العمرانية القديمة التى نشأت على الجانب الشرقى للنيل بالأودية الجافة المنحدرة ناحية الغرب وهذا الوضع لامثيل له بالنسبة للجانب الغربى فى منطقة مركز ملوى حيث وجدت الأشمونين وتونا الجبل (١) .

والخلاصة أن منطقة محافظة المنيا شهدت فى العصور القديمة نشاطا

---

(١) المرجع السابق صفحة ٥٤ .

عمرانيا ارتبط باستقرار الانسان فى وادى النيل عقب انتهاء العصر المطير فى شمال أفريقية . وقد توخى المنياوى القديم اختياره لمواضع محلاته العمرانية أن تكون قريبة من حافة الهضبة بينما لجأ الى تشييد معابده ومقابره على حافة الهضبة ذاتها مستقلا فى ذلك امكانيات البيئة المتاحة حيث يشيد محلاته الدينويه عن الطوب اللبن وان كان قد لجأ فى بعض الأحيان لاقامة المبانى الحجرية . أما المعابد فقد نحت أغلبها فى بطون الجبل كذلك فضل المنياوى القديم السكن فى الجانب الشرقى من الوادى لأن المسافة بين النهر وحافة الهضبة كانت قصيرة وذلك بعكس الحال على الجانب الغربى حيث يتسع الوادى ويبتعد فيها الهضبة عن النهر وان كان ذلك لم يمنع ان قامت على الجانب الغربى محلات هامة فى منطقة ملوى (١) .

كذلك قامت معظم المحلات القديمة على مصبات أودية جافة نشأت عن العصر المطير واستغلت منذ العصور القديمة كمسالك ودروب استخدمها الانسان المصرى فى تجواله للصيد أو التجارة ولم يكن توجيه المحلات العمرانية ناحية الصحراء فقط بل كان توجيهها صوب مورد الماء المتجدد اذ كان لكل محلة عمرانية منطقتها أو اقليمها المحدد الذى اتخذت منه قاعدة اقتصادية اعتمدت عليها فى نموها وكلما اتسعت هذه القاعدة عن طريق الزراعة والصيد كلما نمت المحلة وازدهرت. فالمحلات القديمة استغلت البيئة الجغرافية أفضل استغلال .

واذا كانت النوايات الأولى للمجتمع المنياوى القديم قد تطورت أبان العصر الفرعونى فقد شهد العصر اليونانى الرومانى امتدادا طبيعيا لهذا التطور بعد أن أضيف اليه مزيجا حضاريا جديدا واكب دخول عناصر جنسية غربية

---

(١) المرجع السابق صفحة ٦٧ .

على التركيب الاجتماعى المصرى وذلك فى غضون فترة زمنية بلغ مداها مايقرب من ثمانية قرون امتدت من القرن الخامس ق.م حتى القرن الثالث الميلادى حين بدأت المسحية تدخل مصر (١) . فتشير الأدلة الأثرية الى أن الاستمرارية الحضارية - رغم وجود فترات كبوة صفة ميزت المجتمع المنياوى القديم كما ميزت المجتمع المصرى بصفة عامة حيث تبين هذه الأدلة أنه ليس هناك انفصال أو انقطاع حضارى بين ماحققه الفراعنة وما أدخله اليونان والرومان لأن الأسس المادية التى قام عليها هذا المجتمع مستمرة (٢) . فالاستقرار الاغريقى على أرض المجتمع المنياوى لم يكن فى صورة اقامة محلات عمرانية أو مستوطنات اغريقية منفصلة عن المجتمع المنياوى بمعنى أنهم لم يقيموا لهم أحياء خاصة أو مراكز سكنية متميزة كما حدث فى عديد من المواضع فى الوجه البحرى فلم توجد بين آثار المنيا منازل اغريقية منفصلة تبين الحفائر التى أجريت فى مناطق تواجدهم أن الاغريق قطنوا مثل ياويين فى هذه الفترة منازل تعتبر استمراوا للمنازل التى أمكن التعرف عليها فى تل العمارنة . ويذهب بعض المؤرخين الى التعميم والقول أن اتخاذ الاغريق فى ريف مصر لمنازل من الطراز المصرى أمر فرضته ظروف استقرارهم اذ زن أغلبهم كانوا من التجار أو الجنود الذين لم يعيشوا من قبل فى منازل تختلف من حيث تركيبها وطابعها عن المنازل التى اعطيت لهم فى ريف مصر والتى ألفها الاغريق بمضى الوقت عليهم فى مصر (٣) .

---

(١) احمد فخرى - مصر الفرعونية - القاهرة ، ١٩٧١ ، صفحة ٤٢٢ .

ناريمان درويش ، صفحة ٢٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

Kitto, H.D.F., The Greeks, Penguin books, 1951, p. 69 .

(٣) وزارة الثقافة والارشاد القومى - تاريخ الحضارة المصرية والعصر اليونانى الرومانى والعصر الإسلامى دون تاريخ - المجلد الثانى صفحة ٩ .

أما المعابد التى أقيمت فى العصر الاغريقى للاله المصرية كانت من ناحية التخطيط والعمارة مصرية صميمة حيث اتسمت بظاهرتين الأولى كثرة ما استخدم فيها من الأعمدة وثانيها كثرة ما استخدم فى صالات الأعمدة من جدران قصرية تبلغ نصف ارتفاع الأعمدة تقريبا (١) .

على أى حال ضعف النفوذ اليونانى لم يبدأ قبل القرن الثانى ق.م ولم يكن نتيجة لاختلاط الاغريق بالمصريين كما أنه لم يتمخض عن دخول المنطقة فى حوزة الرومان أى تغييرات ذات معنى فى نظام ادارتها بمعنى ان الانتقال الى العصر الرومانى لم يكن مصحوبا باضطرابات . فلم يكن أكثر من انتقال الحكم من أسرة الى أخرى ولاسيما وأن الرومان قد أبقوا على ماخلفه اليونان من نظام ادارى مع تعديل طفيف فى بعض الأحيان .

وتشير الدلائل الأثرية الى أن الاغريق الذين وجدوا فى المجتمع المنياوى القديم قد أقاموا شعائر عبادة آلهتهم القديمة فى انطنيوبوليس (الشيخ عباده) وفى هرموبوليس (الأشمونين) فى نفس الوقت الذى لجأ فيه الكثير منهم الى أن يشبهوا الآله المصرية بالآله الاغريقية ومن ثم فقد عبدوا الاله المصرية الى جانب آلهتهم الاغريقية باعتبارهم نزلاء البلاد التى كانت تتمتع بحماية تلك الاله (٢) .

وحين وفد الرومان حذوا حذو البطالمة من قبل فاتخذوا صفة الفرعون ومن ثم شيد الأباطرة المعابد للآلهة المصرية أو أضافوا الى مبانى المعابد القائمة أو اكملوا مبانيها أو زخرفتها وصوروا على جدرانها وعلى النصب الرسمية فى زى الفراعنة .

---

(١) ناريمان درويش - صفحة ٢٢٣ .

(٢) تاريخ الحضارة المصرية - مرجع سابق صفحة ١٣٦ .

ومن أهم المواضع الأثرية التى تنتمى الى العصر اليونانى الرومانى فى منطقة محافظة المنيا ماعرف باسم هيرموبوليس ماجنا (الأشمونين) فمازال باقية فى هذه المنطقة بعض الأعمدة الجرانيتية التى ربما مثلت جزءا من الأجورا Agora أو مكان السوق ، كما يوجد الى الشمال من هذا الوضع بقايا معبد اغريقى يحمل ايضا آثار من عهد الاسكندر الأكبر .

أما عن تونا الجبل التى أطلق اليونانيون والرومان عليها اسم هيرموبوليس الغرب Hermopolis-West فتقع على بعد حوالى ٨ ك.م الى الغرب من الأشمونين على مقربة من الهضبة الغربية ويوجد بها مقابر يرجع تاريخها الى العصر البطلمى وأشهرها مخلفات مقبرة بيتوزوريس كبير كهنة الاله تحتوت (١) أما عن انطونيوبولس (الشيخ عباده) فيذكر المؤرخون أن مؤسس هذه المدينة الامبراطور هادريان الذى زار مصر فى عام ١٣٠ ق.م (٢) حيث قام بتشييد هذه المدينة ليخلد ذكرى صديقه انطنيوؤس الذى غرق فى النيل بالاضافة الى رغبته فى اقامة مركز جديد للحضارة الاغريقية فى قسم من مصر كان يفتقر الى مثل هذه الحضارة وقد كانت هذه المدينة متصلا قديما للحضارة الاغريقية فى مصر العليا ، ورغم أن الصبغة الاغريقية كانت هى الطابع العام المميز لهذه المحلة العمرانية الا أن التأثير المصرى لم يتعدم بها فانطنيوؤس الذى نصب فيها الها محليا كان يعبد تحت اسم « اوزير » وشبه بالمعبود المصرى بس Bes (٣) .

أما بقية المواضع الأثرية التى توجد فى منطقة محافظة المنيا وتحمل

---

(١) ناريمان درويش - صفحة ٢٣٠ .

(٢) تاريخ الحضارة المصرية - ص ١٢٦

(٣) المرجع السابق - ص ١٢٩ .

الطابع اليونانى الرومانى فتمثلت فى دير أبوحنس وطهنا الجبل والأخيرة تحتوى على بقايا ثلاثة معابد يرجع تاريخها الى العصر البطلمى الرومانى ويعتبر معبد نيرون أهم هذه المعابد كذلك تضم هذه المواضع شارنة أو الكوم الأحمر سواريسوالبهنسا أو اوكسيرنيوكسوس Oxyrhnchos التى كانت ملجأ للجماعا المسيحية حيث ضمت المدينة ١٢ كنيسة كما احتوت فى وقت ازدهارها مابين ١٠ - ١٢ ألف راهب (١) .

هذا وتشير الأدلة المستقاة من الآثار القديمة الرومانية الموجودة فى منطقة محافظة المنيا أن الطبقات الاجتماعية التى وجدت فى مصر منذ العصر الفرعونى والتى شكل فيها الفلاح عنصرا سائدا فى الطبقات الدنيا ان التجار والموظفين مثلوا الطبقة الوسطى والنبلاء والحكام الطبعة الرقيقة الارستقراطية . وقد ظلت هذه الطبقات موجودة فى العصر اليونانى الرومانى مع فارق واحد وهو أنه دخل فى الطبقة الأخيرة عناصر جديدة تتمثل فى اليونان والرومان وكان مناطق تركزهم فى مدينة انطنيوبوليس .

أما عن النشاط الاقتصادى لسكان منطقة محافظة المنيا فى العصر اليونانى الرومانى فاستناداً للأدلة المستقاة من تونا الجبل فقد ظل الفلاح المنياوى يمارس نفس طريقة الزراعة التى مارسها منذ معرفته استغلال أرضه بطريقة حرث الأرض وتقسيمها الى خطوط وبذر الحب عن طريق الأيدى واستخدام المحراث والمنجل والمدراء وغيرها من الأدوات الزراعية التى عرفها فى العصر الفرعونى استمرت ليستخدمها المنياويون المعاصرون . وقد استخدم المنياويون لأول مرة فى العصر اليونانى الرومانى الساقية والطنبور كأدوات لرفع المياه وذلك بالاضافة الى الشادوف الذى عرف فى العصر الفرعونى . وقد

---

(١) ناريمان درويش صفحة ٢٤٦ .

ظل نهر النيل المورد الرئيسى للزراعة رغم التوصل الى حفر الآبار ، ويحدثنا استرابون فيذكر فى هذا الصدد أنه قبل الفتح الرومانى كان يتمين ارتفاع مياه النيل الى ١٤ ذراعا لانتاج محصول وفير فى حين أن بلوغ منسوب المياه ثمانية أذرع كان يؤدى الى حدوث مجاعة . أما بعد الفتح الرومانى فقد أصبح ارتفاع منسوب المياه الى اثنى عشر ذراعا كافيا لانتاج محصول وفير جدا ، فضلا عن ذلك فان البلاد كانت لاتشكو من أى ضائقة حتى عندما كان منسوب المياه لايبلغ أكثر من ثمانى أذرع (١) .

وقد زرع المنياويون محاصيل متعددة فى العصر اليونانى الرومانى وكان فى مقدمتها القمح والشعير والكتان والخضروات والنباتات الزيتية والبردى والبلح . كذلك زرعوا العنب الذى مثل مادة خام أساسية لعمل النبيذ .

أما عن الصناعة فأغلبية الصناعات المنياوية فى العصر اليونانى الرومانى كانت فى أيدى الأفراد ومن ثم كانت صناعة المنسوجات الكتانية فى مقدمة الصناعات التى مارسها المنياويون فى ذلك العصر حيث تمكنوا من صناعة منسوجات دقيقة الى جانب صناعة العطور . كذلك تبين آثار العصر اليونانى الرومانى فى منطقة المنيا أن سكان المنطقة مارسوا صناعة التجارة بطريقة راقية حيث لم يستخدموا المسامير الخشبية فى لحم الأخشاب وذلك عن طريق تداخل القطع الخشبية ومن بين الصناعات الأخرى التى مورست فى المنطقة فى هذا العصر صناعة الزجاج .

والخلاصة أن المجتمع المنياوى فى العصر اليونانى الرومانى كان صورة مطابقة لما كان عليه فى العصر الفرعونى فلم يحدث اختلاف جوهرى فى الأساس الاقتصادى والاجتماعى للتكتلات السكانية الموجودة فى المنطقة حيث

---

(١) تاريخ الحضارة المصرية - العصر اليونانى الرومانى - صفحة ١٤٠ .

أن التغير الذى مس القواعد الاقتصادية للمجتمع المنياوى ارتبط مظهريا بالاحتكاك وذلك عن طريق اقامة مؤسسات اغريقية كانت بمثابة واجهات عرض فيها على الشعب المصرى ماللدى هذه الشعوب من حضارة . وكان على المصرى الضنين بحضارته المعتز بها أن يختار منها مايلائمه أو مايتفق منها مع مقتضيات بيئته النهرية دون أن يفرط فى شخصيته أو ملامحه الحضارية التى ظلت باقية حتى الوقت الحاضر .

المجتمع المنياوى منذ العصر العربى

لقد أثر النهر والهضبة والوادى عبر التاريخ على التوجيه الجغرافى لمنطقة محافظة المنيا وكان شأنه فى ذلك شأن تأثيره على بقية أجزاء مصر . فالطبيعة التى اتسمت بالسهولة والانبساط والنيل الذى يفيض بثبات كل عام والهضبة التى تحدد اطار الأراضى المعمورة كلها أمورا لعبت دورا حيويا فى التقسيم الادارى منذ القدم . ففى العصر الفرعونى قسمت منطقة محافظة المنيا خمس تقاطعات وهى من الجنوب الى الشمال المقاطعات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ حيث كانت مراكز لعباة آلهة محلية واستمدت كياناتها السكانية والاجتماعية من قواعد اقتصادية اتسعت أو ضاقت وفقا لظروفها الطبيعية .

واستمرت الحدود الادارية لمنطقة محافظة المنيا قائمة طوال العصر الفرعونى الى أن جاء اليونان ومن بعدهم الرومان وكان توجيههم نحو البحر كما كانت حضارتهم تختلف عن الحضارة الفرعونية وكان من المفروض أن ينعكس هذا الاختلاف على أسلوب ادارة الأرض ولكن بسبب طبيعة الأرض المصرية فقد املت عليهم أن يتقبلوا النظام الادارى الذى وجد فى وادى النيل . غاية مافى الأمر تبدلت أسماء الأقسام الادارية التى كانت موجودة فى منطقة محافظة المنيا فى العصر الفرعونى فخضعت لاقليم واحد شمل مصر الوسطى عرف تحت اسم اركاديا وذلك فى العصر اليونانى .

وحينما وفد الرومان استبدلت الأسماء مرة أخرى فحلت كلمة ابرشية محل اقليم فظهت فى منطقة محافظة المنيا ماعرف باسم بارجارشيان اتفقت حدودها مع ماكانت عليه حدوذ المقاطعات فى العصر الفرعونى . وهكذا وجدت فى الشمال البهنسا ، القيس والمنيا والأشمونين والشيخ عباده (١) .

وحينما وفد العرب سكان البادية الغرباء عن الأراضى الزراعية وموارد الماء الدائمة لم يكن آمالهم سوى قبول الأسلوب الذى ارتضاه الواقدون السابقين الى أرض مصر . وكان عليهم أن يقبلوا نظاما اداريا متطورا مبتعدين بذلك عن أى محاولة لتوقع الضرر بأرض زراعية وصفها عمرو بن العاص فذكر أن من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر الى مثلها فى الدنيا فينظر الى أرض مصر حيث يخضر زراعها وتنور ثمارها (٢) .

الفرق بين ما أقامه العرب وما أقامه اليونان والرومان كمن فى جوهر الاستغلال اذ أن العرب ولوا وجهتهم صوب الشرق بدلا من من الغرب رغبة فى تحويل استغلال موارد البلاد ومخازن غلالها الى بلاد العرب ومن ثم فابقوا على الوحدات الادارية البيزنطية التى كانت موجودة فى مصر وغاية مافى الأمر غيروا الأسماء فسميت باسم كورا كبرت أو صغرت بمقدار مااقتضاه نظامهم الادارى . فقد كان التقسيم الادارى للعرب فى أبسط أشكاله ووحداته يحمل أساسا ماليا ارتبط بتقدير الخراج . فقد كانت المحلة العمرانية سواء

---

(١) Ball, J., Classical Geog of Egypt, Cairo, 1942,p. 6o.

(٢) ناريمان درويش - منطقة محافظة المنيا من القرن ٧ م الى القرن ١٠ م . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة المنيا ، ١٩٨٢ ، صفحة ٢١ ابن عبدالحكم - فتوح مصر وأخبارها ، ١٩٢٠ ، ص ١٥ .

كانت قرية أو مدينة تعتبر من وجهة نظر الخراج وحدة مالية لها زمامها الزراعى الخاص (١) .

وقد وجد فى منطقة محافظة المنيا فى العصر العربى سبع كور تمثل محلات عمرانية رئيسية لقصبة الحكم لوحداتها الادارية . هذا الى جانب مجموعة أخرى عن المحلات العمرانية التى اختلفت فى مركزها الحضارى تبعا لزحجامها وقربها من المدينة الرئيسية .

فتبعا لقائمة ابن خردازبة التى ظهرت عام ٨٦٤ م ترتب كور منطقة محافظة المنيا من الشمال الى الجنوب على النحو التالى : البهنسا ، القيس ، طحا ، انصنا والأشمونين . مع ملاحظة أن الحدود الشمالية لمحافظة المنيا الحالية لاتتفق تماما مع الحدود الشمالية لكورة البهنسا كذلك لاتتفق الحدود الجنوبية للأشمونين مع الحدود الجنوبية الحالية لمحافظة المنيا . أما فيما يختص بكور القلب المنياوى فنجد أن كورة القيس وطحا كانت ركيزتها فى مراكز بنى مزار وسمالوط والمنيا ، أما كورة انصنا وهى تعرف حاليا باسم الشيخ عباده فقد ضمت الجزء الشرقى من منطقة محافظة المنيا أى الأراضى التى تقع شرق النيل وهذه الكور الخمس التى أوردها ابن خردازبة تكررت بمعينها بعد ذلك بربع قرن حيث أوردها اليعقوبى فى عام ٨٩١ م . على أى حال فان عدد الكور كان يزيد أو ينقص تبعا للتغيرات الادارية التى يستدعيها نمو السكان وعدد القرى وحالة العمال وان معظم القوائم تتفق على وجود الكور التالية فى منطقة محافظة المنيا منذ العصر العربى .

١ - كورة البهنسا كانت هذه الكورة تمتد امتدادا طوليا متاخمة للجانب

(١) محمد رمزى - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية - القاهرة ، ١٩٥٤ ، صفحة ٢٩

للجانب الأيسر من بحر المنهى من مدخله الى منخفض الفيوم ثم جنوبا الى حدود كورة الأشمونين الشمالية .

٢ - كورة جيرشنوده كانت هذه الكورة من أصغر كور مصر العليا اذ أنها لم تضم من المحلات العمرانية كما يذكر المقريزى سوى ثمان قرى (١) واتفق امتدادها مع حدود مركز بنى مزار الحالى .

٣ - كورة القس امتدت هذه الكورة الى الجنوب مباشرة من كورة جير شنوده حيث يشير موقع بلدة القيس الحالية الى نفس منطقتها .

٤ - كورة طحا . احتلت هذه الكورة أراضى وقت كلها غربى النيل فى المنطقة التى تشغلها حاليا مركز سمالوط فقد ذكر ياقوت الحموى أن طحا احدى قرى شمال صعيد مصر وأنها تقع فى غرب نهر النيل (٢) .

٥ - كورة الأشمونين وقد اعتبرت أهم كور المنيا فى العصر العربى وذلك من ناحية حجمها والمساحة التى يشغلها . فقد اعتبرت كورة الأشمونين الكورة الثانية فى مصر العليا حيث جاءت فى الترتيب بعد كورة الفيوم فضمت حوالى ١٢٠ محلة عمرانية (٣) .

٦ - كورة انصنا . احتلت هذه الكورة الأراضى التى تقع الى الشرق من نهر النيل والتى تقع ضمن اطار منطقة محافظة المنيا حاليا. وقد أخذت هذه الكورة الشكل الشريطى على امتداد الشهر ابتداء من الحدود الجنوبية

---

(١) الدمشقى (شمس الدين) - نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر - بغداد ١٣١٨ هـ صفحة ٢٣٢ .

(٢) ياقوت الحموى - معجم البلدان - بيروت ١٩٥٥ ، جـ ٣ ، ص ٤٢٢ .

(٣) ناريمان درويش - المرجع السابق صفحة ٣٩ .

للكورة اطفيح وحتى الحدود الشمالية من كورة أسيوط (١) وبهذا الامتداد شملت كورة انصنا أراضى تقع خارج اطار الحدود الادارية الحالية لمحافظة المنيا حيث شملت أراضيها الشريط الزراعى الذى يمتد الى بلدة الحبيبة شرق النيل بمركز الفشن بمحافظة بنى سويف .

٧ - كورة أبوايط . اختلف الكتاب فى تحديد رقعة هذه الكورة فأكتفى كل من القلقشندى وياقوت الحموى بذكر أنها احدى كور صعيد مصر (٢) فى حين حدد الفقاعى موقعها الجغرافى فى المنطقة الممتدة الى الجنوب من جير شنوده غير أن هذا التحديد خالفه بن دقماق بعده بثلاثة قرون وذكر أن ابوايط تقع بين البهنسا وطحا (٣) كما أن المقريزى لم يوردها فى قائمة ومرجع ذلك الى أن هذه الكورة لم تدم طويلا اذ أضيفت منطقة هذه الكورة الى كورة البوصيرى فى عهد المستنصر . وحينما ألغيت البوصيرية فى الروك الناصرى (٤) ضمت الى الأعمال البهنساوية (٤) .

على أى حال إذا مانظرنا الى المحلات العمرانية التى وجدت فى منطقة المنيا حينذاك سنجد بعض الملامح الرئيسية التى جمعت بينها ومن أهم هذه الملامح ازدحامها بالمساكن اذ كان هناك ميلا دائما للتكدس بدلا من الاتساع الخارجى وكان مرد ذلك هو انشاء المنازل بالقرب من قلب المحلة العمرانية حيث يوجد المسجد أو الجامع والمرافق التجارية الأخرى وفى مقدمتها الدروب ولعل قلة الطرق وردائتها كانت عامل من العوامل التى حدت بالمحلة العمرانية الى

---

(١) أحمد رمزى - القاموس الجغرافى - جـ ١ ، ص ٧٤ .

(٢) ياقوت الحموى - جـ ١ ، صفحة ٥١٣ .

(٣) ابن دقماق - الانتصار لواسطة عقد الامصار - القاهرة ١٣٠٩ هـ ، ص ٥ .

(٤) ابن قماتى - قوانين الدوادية - القاهرة ١٩٤٣ ، ص ١٠٣ .

الميل الى التكدس فالدروب والطرق التى وجدت كان تكفى فقط لأن تسمح بمرور المارة والدواب بدون أى غرض تخطيطى وقد كانت هذه الطرق متعرجة تمشى مع طبيعة المنازل التى لم تكن تتغير كثيرا بحدود الشوارع وقد كان لضيق الشوارع والطرقات وعدم اتباعها تخطيط منظم تأثير واضح على تركيب المنازل إذ أنها لم تعتمد كثيرا فى اضاءة أجزائها وتهويتها على هذه الطرقات بل جعلته على الأفنية التى أقيمت بهذا الغرض .

التركيب الجنسى للمجتمع المنياوى

يتفق الأنثربولوجيون على أن الأصول الجنسية التى كونت سكان مصر ترد الى سلالتين رئيسيتين وهما سلالة البحر المتوسط ذات الرأس الطويل والسلالة الجيزاوية المتسمة بالرأس العريض التى ظهرت فى مصر فى عهد بناة الأهرام ، كما يتفقوا أيضا على الجماعات التى وفدت الى مصر فى العصر اليونانى والرومانى أضافت صفات جديدة فى بعض المواضع كصفات الشقرة وان هذه الجماعات ساعدت على تقوية الأصول الجنسية لسكان مصر لأن الوافدين كانوا ينتمون الى نفس الارومة التى احتوت السلالتين السابقتين .

هذا هو الأساس الجنسى لسكان منطقة محافظة المنيا قبل العصر العربى غير أننا إذا ماتحدثنا عن المنياويين فى تلك الفترة أو عن المصريين بصفة عامة فاننا نتحدث عن الأقباط الأرثوزكس (١) .

حيث وفد العرب الى منطقة المنيا فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب (٢) وتوالى الولاه على مصر أخذت القبائل المختلفة تفد الى المنطقة بانتظام واستمرار واشتملت أفواجها على جماعات تنتمى الى سلالةالبحر المتوسط

---

(١) ناريمان درويش – مرجع سابق صفحة ٢٠١ .

(٢) سيده الكاشف – مصر فى فجر الاسلام – القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

وجماعات تأثرت بالسلالة الأرمنية العريضة الرأس وقد اندمجت بعض القبائل العربية فى السكان المصريين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى وتكلموا اللغة العربية وهكذا أصبحت التفرقة الجنسية صعبة بين العرب والأقباط اذ أن كليهما من سلالة البحر المتوسط والسلالة الأرمنية .

ومن يقرأ أخبار الولاه يجد أن كل واحد جديد منهم كان يجلب معه مجموعة من عشيرته وكان هؤلاء الولاه عربا حتى نهاية الدولة الأموية – أما فى عهد الدولة العباسية فقد جدت عناصر أخرى فارسية ثم مالبث أن ظهر عنصرا آخر على العرب والفرس وهم الأتراك الذى استكثر منهم المعتصم وأثبتهم فى الديوان ، بل أن المعتصم لم يقف عند هذا الحد فقد أمر واليه على مصر بازاحة العرب من الديوان ، ونتج عن ذلك أن انتشر العرب فى أنحاء مصر يسعون وراء الرزق عن طريق الجهاد والحرب فاحترفوا الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من الحرف والمهن التى كانت فى ذلك الوقت مقتصرة على أهل البلاد (١) .

وبطبيعة الحال لم يأت الاستقرار الأول للقبائل العربية بمنطقة المنيا مع وفود العرب مباشرة الى مصر فى عهد عمرو بن العاص لأن الأعداد القليلة التى وفدت آنذاك كانت عاجزة عن الاختلاط بسكان البلاد واكتفت أن اختطفت لنفسها محلات عمرانية حيث اتخذت كل قبيلة من القبائل العربية كما يذكر المقريزى (٢) خطة فى القسطاط .

وقد حدث تطور فى تاريخ القبائل التى استقرت فى مصر فى القرن الثانى الهجرى حيث هاجرت قبيلة جهينه مع الفتح العربى من الفسطاط الى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢) المقريزى – الخطط – جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

منطقة الأشمونين (١) والى جانب قبائل جهينة فقد وجد أيضا فى القسم الجنوبى من منطقة المنيا قبائل قريش التى لم يقتصر وجودها على المناطق التى تقع بين بحر المنهى ونهر النيل فقط بل امتدت أيضا الى المناطق التى تقع الى القرب من بحر المنهى وتمتد الى الصحراء الغربية كذلك تغلغلت الى الكور الشمالية فبنى طلحه القرشية كانت منازلهم بطحا وطوخ الخيل والبرجهان(٢) كما كانت منازل الجعافرة تمتد من بحرى منفلوط الى سمالوط غربا وشـــــرقا (٣) .

وقد عاصر قبائل قريش فى كورة الأشمونين والمناطق المتاخمة قبائل لواته التى كان لها السيادة فى معظم الأجزاء الشمالية من منطقة المنيا فى كورة ابوايط والبهنسا [illegible]
[illegible]
[illegible]
امتدت مناطقهم الى نهرى وجزيرة الحجر وسمالوط ، بينما وجدت بنى بركين فى قلوصنا وامتد نفوذها الى شمال طنبدى (٤) – أما سفط ابوجرجا والشيخ فضل فكانت لبنى حد وكان بنو محمد وبنى على امراءهم (٥) .

والآن جاء دور الاجابة عن سؤال يطرح نفسه وهو مامدى الارتباط بين استقرار القبائل العربية أبان العصر العربى وبين الوضع السكانى الموجود الآن

---

(١) عبدالله خورشيد – صفحة ١٩٤ – ناريمان درويش صفحة ٢١٣ .

(٢) المقريزى – البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب – القاهرة ١٩١٦ ، صفحة ٢٦ .

(٣) المرجع السابق صفحة ٢٥ .

(٤) المرجع السابق صفحة ٣٣ .

(٥) المرجع السابق صفحة ٣٤ .

بمنطقة محافظة المنيا .

والاجابة على مثل هذا السؤال لابد وأن تتسم بالموضعية اذ أن المجتمع المنياوى كجزء من المجتمع المصرى بحكم ارتباطه بأرض زراعية ونظام قروى لم يكن فى يوم من الأيام على مر التاريخ ينزع الى الانفصالية اذ أن السمة التى صبغته هى قدرته على استيعاب العناصر الجديدة بمعنى أن المجتمع المنياوى حافظ على أصوله الجنسية التى وضعت لبناتها الأولى منذ أن استقر الانسان الأول فى المنطقة وأن وفود القبائل العربية الى المنيا كان بمثابة اضافة دماء جديدة الى كل من السلالتين الرئيسيتين اللتين كونتا الأساس الجنسى لسكان المنيا .

أما عن النشاط الاقتصادى للمجتمع المنياوى فتجدر الاشارة الى أن العرب لم يتوصلوا الى ادخال انواعا جديدة من النباتات الى منطقة المنيا اللهم الا القصب الذى نقلوه من الهند كذلك لم يدخلوا طرقا جديدة للزراعة فطريقة زراعة الأراضى التى وجدت فى منطقة المنيا حينذاك هى تلك الطريقة الموروثة منذ العصر الفروعونى والرومانى وان كانت الزراعة قد اعتمدت فى بعض الأماكن فى البهنسا والأشمونين على مياه العيون والآبار ولاسيما فى تلك المناطق الصحراوية التى أقيمت بها الأديرة وكان لها زراعات وبساتين ذلك بالاضافة بطبيعة الحال الى نهر النيل الذى مثل المورد الرئيسى للزراعة فى منطقة المنيا فقد كانت الأرض تروى مرة واحدة فى العام وقت الفيضان وأنه اذا نقصت مياه الفيضان دون معدلها تعذر رى الأرض وتعرضت البلاد للقحط والمجاعة .

وقد ارتبطت الزراعة بالشهور القبطية وليس بالشهور العربية وزرع السكان محاصيل متعددة كالعدس والسمسم والخضروات والنباتات الزيتية والبردى والبلح .

كذلك زرعوا العنب الذى مثل مادة خام أساسية لعمل النبيذ ولعل من

أهم المحاصيل التى اشتهرت بها محافظة المنيا آنذاك الكتان حيث كان لهذا المحصول أهمية كبيرة في صناعة المنسوجات والى جانب المنتجات الزراعية السابقة وجدت منتجات أخرى تمثلت فى زراعة العنب والبنجر حيث لجأ الأهالى لاستخراج الزيوت من هذه النباتات وأطلقوا عليها اسم الزيت الحار .

وقد شيد سكان المنيا ولاسيما الأقباط عديد من دور الصناعة فى المنيا ، كما أن وفود المسلمين الى المنطقة لم يرتبط بانتقال الصناعة الى أيديهم اذ ظلت الصناعة فى أيدى الأقباط . هذا وقد لقيت أسواق القرى دورا رئيسيا فى حركة البيعوالشراء بنظام المقايضة كما زن المواصلات الداخلية لقيت دورا فى تسهيل سبل التجارة فبحر المنهى ربط بين المنيا والفيوم حيث كان يمر مابين الأشمونين والبهنساوية ومدينة اهناسيا واللاهون والفيوم حيث قطعت المراكب هذه المسافة فى أربعة أيام

وخلاصة ماتوصل اليه قراءة صفحة من الماضى قبل أن تطوى هو أن المجتمع المنياوى حافظ على استمرارية قواعده السكانية والاجتماعية والاقتصادية منذ العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر وكان أسلوبه فى ذلك هو أسلوب هذا النهر المتجدد الذى يأتى بجديد كل عام وان حافظ على تدفق المياه فيه منذ القدم .

* * *

الموضوع الرابع

المـــــدن الجــديــدة

خـرائـط ومصـورات

نقلا عن

وزارة التعمير ـ ديسمبر ١٩٨٩

خريطة جديدة لمصر

١ ـ تكوين مصر ونشأة المعمور المصرى

ومنذ نشأة الحضارة المصرية القديمة وحتى الآن كان النهر هو العنصر الرئيسى والمؤثر فى البيئة المصرية ، اما الصحراء فكانت عازلا بين المعمور المصرى وباقى الاقاليم المحيطة به ، اما البحر فلقد كان دوره هامشيا طوال هذه الفترة ، مما ادى الى ان المعمور المصرى استمر بنفس الشكل تقريبا منذ اكتشاف الزراعة وحتى الآن . .

كذلك ظهرت خصائص ثابتة وصفات واضحة تميزت بها مصر عن باقى الامم حيث استقطب نهر النيل على ضفتيه كل مظاهر الحياة وتركز حوله المعمور ونتج عن ذلك ان المركزية هى التى تحكمت فى الحياة والمعمور بمصر . .

ويجدر بنا الاشارة الى ان البيئة المصرية ليست سهلة جدا وليست صعبة جدا بل هى وسط فى نفسه ثروات مصر المعدنية تحت الارض ليست من الدرجة الاولى فى تعدد فى انتاج نوع من الموارد المعدنية كما انها ليست فقيرة فيها ، وعلاوة على تميز مصر باعتدال مناخ وبحسب المساحة نجد ، انها تمتلك اكبر رأسمال سياحى فى العالم من الآثار ورغم ذلك فنصيب ضئيل من السياحة ولا يمثل اكثر من ١ ٪ من اجمالى الدخل العالمى للسياحة . ومواردنا المائية فهى محدودة بمقدار ٧.٠٦ مليار م٣ سنويا والمصدر الرئيسى لها هو النيل ولن تزيد هذه الموارد بعد مشروعات أعالى النيل وتحسين مشروعات استخدام المياه وتطوير الرى عن ٨٥ مليار م٣ سنويا ..

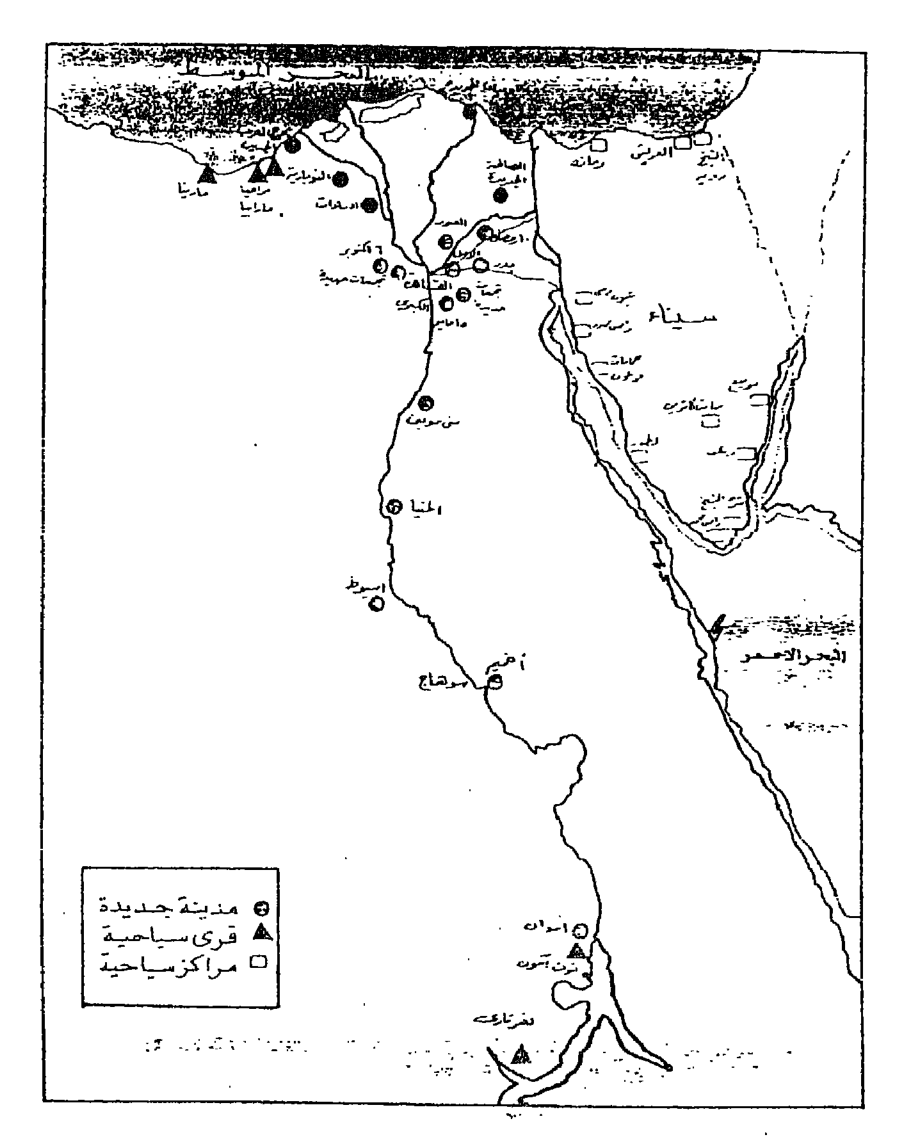
٢ ـ خريطة مصر المتغيرة

كان التحدى البيئى الاساسى فى فجر تاريخنا العمرانى هو غزو الوادى المشبع بالمستنقعات من الصحراء الجافة ، واصبح اليوم على العكس غزو الصحراء القاحلة من قاعدة الوادى المكتظة المتفجرة . ويأخذ هذه القاعدة بدورها فى السكان كذلك يعبر خريطتنا نحو المزيد من الانتشار على الأطراف بعد السوء ونحو أن تبعد تتكثف نحو المزيد من التركيز فى العاصمة . **وباختصار ثمة خريطة جديدة لمصر شاملة وجامعة ترسم من الأساس والمطلوب توجيهها الوجهة السليمة بدلا من ان ترسم عشوائيا .**

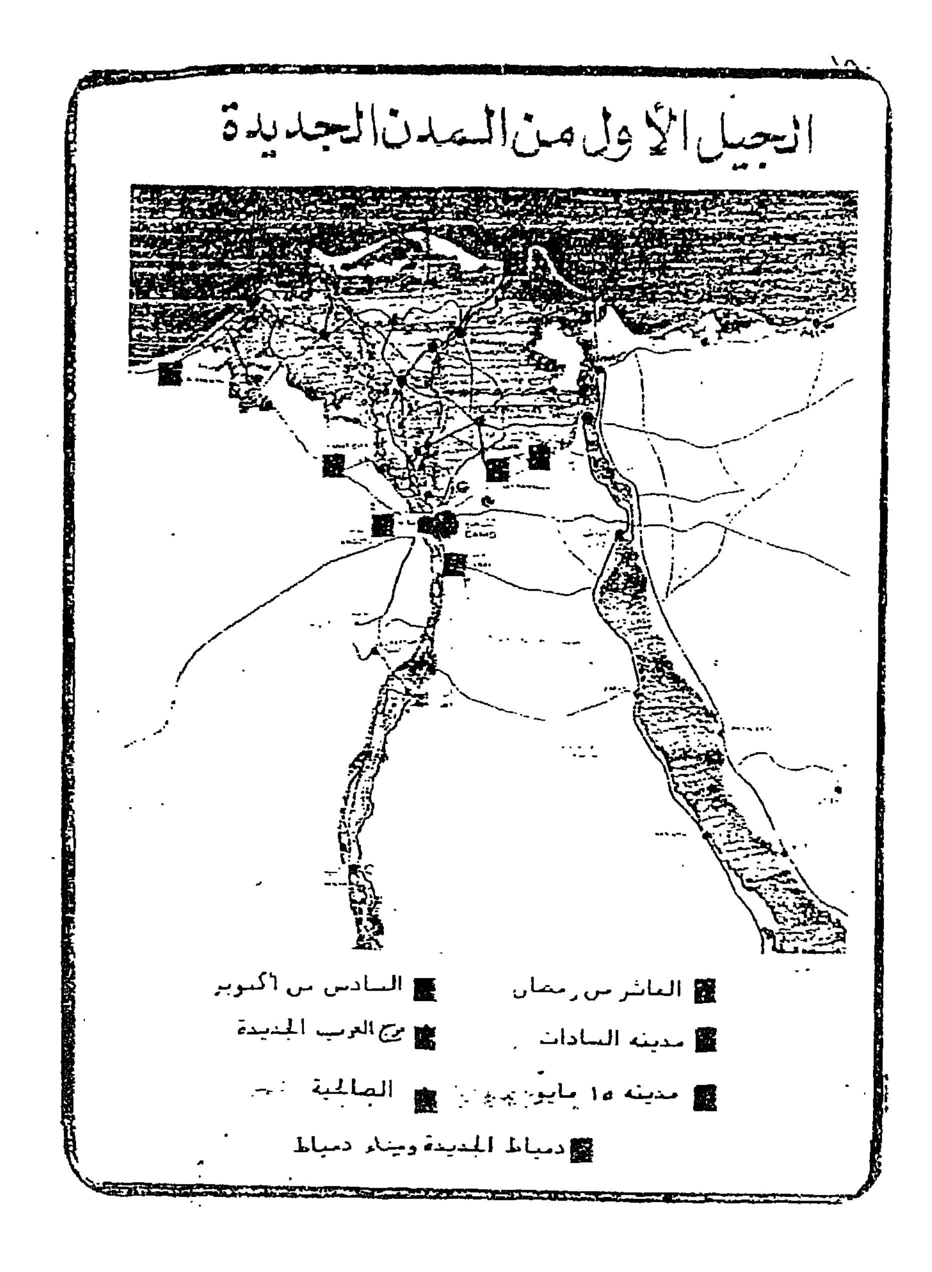
وهذا التغير الجذرى فى المكان والكيف يعنى فى النهاية ان مصر تخرج من آخر مراحل التخلف والدولة النامية الى الدولة العصرية الحديثة

★ ان مصر تتغير فى ثورة تاريخية حضارية هائلة على طريقتها الخاصة ، صرخة البسط والاعتدال ، ثورة وئيدة ولكنها اكيدة ، فكل شىء فيها الآن فى تغيير تقريبا . .

جمهورية مصر العربية



مواقع المدن الجديدة وبعض القرى والمراكز السياحية



الجيل الأول من المدن الجديدة
العاشر من رمضان
السادس من أكتوبر
مدينة السادات
برج العرب الجديدة
مدينة ١٥ مايو
الصالحية
دمياط الجديدة وميناء دمياط

الباكورة ..
العاشر من رمضان

تحية لكل المصريين الذين يستثمرون أموالهم فى مصر ... وهنا فى مدينة العاشر من رمضان قلعة صناعية جديدة .. يستثمرون فيها أموالهم لصالح مصر .. بعمالة مصرية .. وإنتاج مصرى .. يعود بالخير على كل المصريين .

حسنى مبارك.

نبذة عن المدينة

تعتبر مدينة العاشر من رمضان باكورة المدن الجديدة التى تقوم الدولة بإنشائها كما تعتبر الصناعة هى الركيزة الأساسية التى تقوم عليها المدينة . وتبلغ مساحة الأرض المخصصة للمشروعات الصناعية بالمرحلة الأولى فقط أكثر من ١٠ ملايين م٢ .

الموقع العام للمدينة

تقع مدينة العاشر من رمضان على طريق القاهرة/ الإسماعيلية الصحراوى ك ٥٥ من القاهرة . كما تبعد عن مدينة بلبيس بحوالى ٣٠ كم وبمتاز موقعها بأنه ملتقى منطقة قناة السويس ومحافظات الوجه البحرى ومدينة القاهرة .

تخطيط المدينة

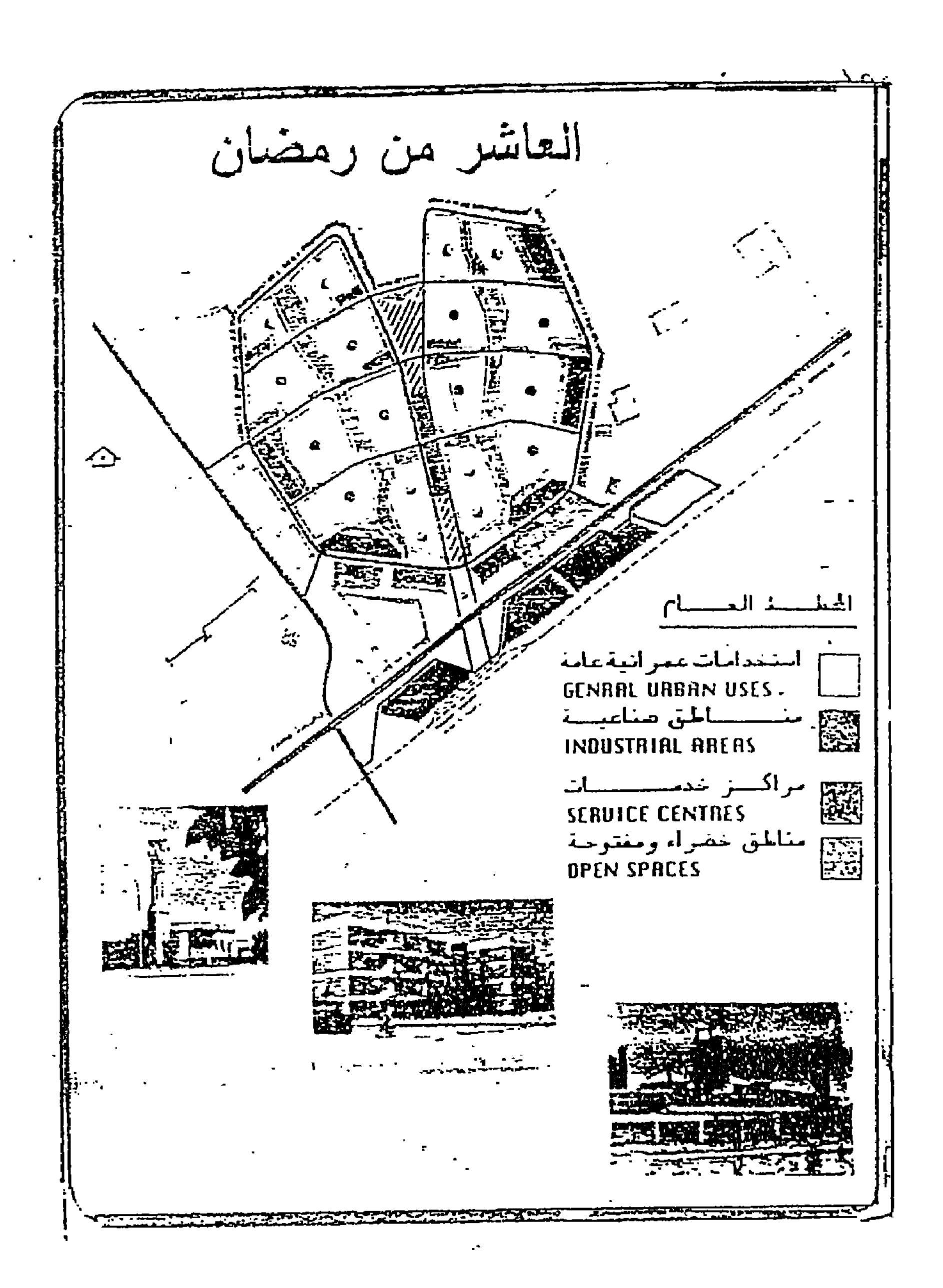
تم تخطيط المدينة بحيث تنقسم إلى ٤ مراحل وجارى العمل حالياً فى نهاية المرحلة الأولى كما بدأ العمل فى المرحلة الثانية .

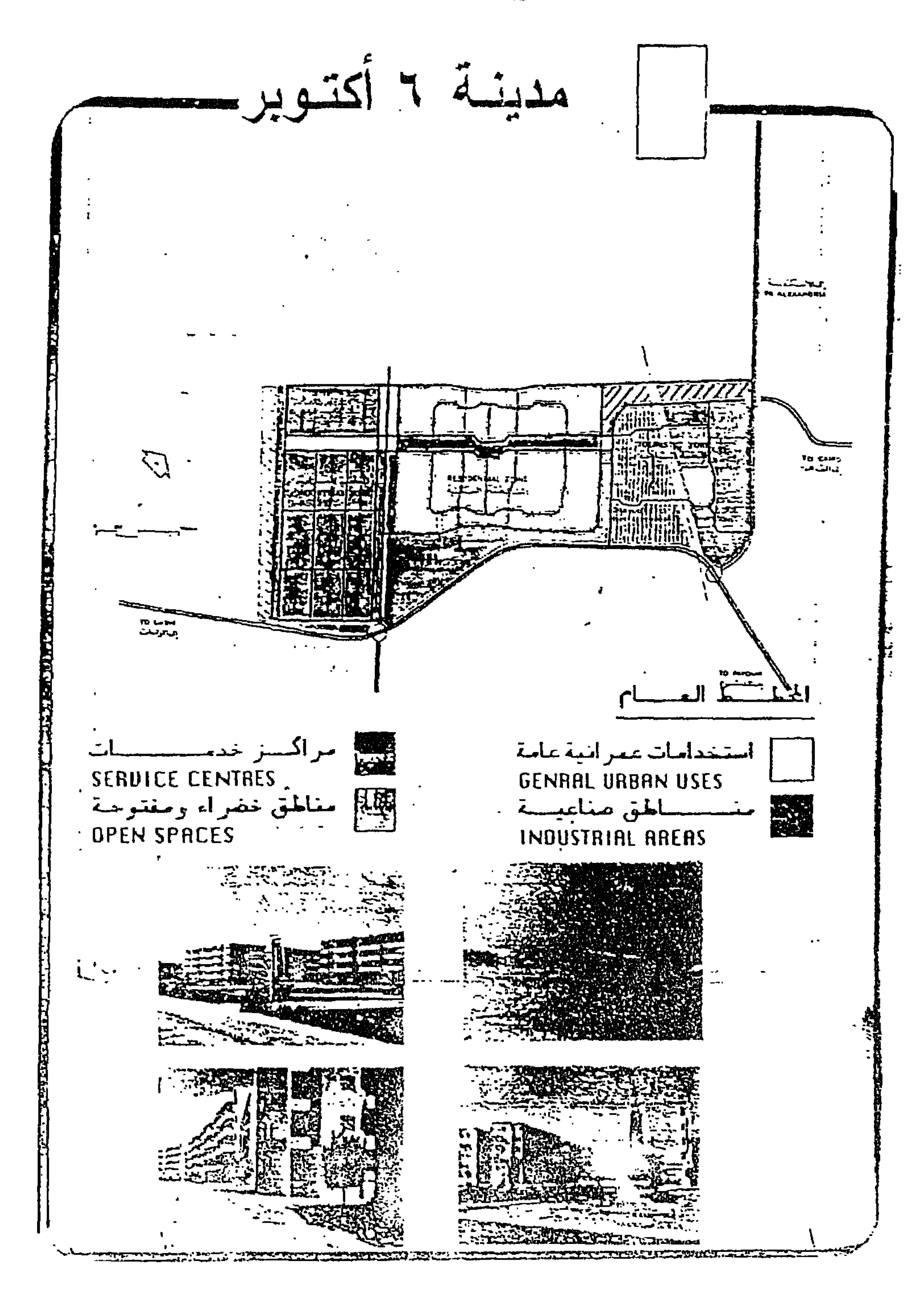
تنقسم المرحلة الأولى إلى ٤ أحياء يحتوى كل حى على ٨ - ٩ مجاورات وتستوعب كل مجاورة حوالى خمسة آلاف نسمة - يوجد فى كل مجاورة سوق تجارى - مدرسة تعليم أساسى - ٢ دار حضانة - مسجد - كما يشمل كل حى الخدمات اللازمة له (مدارس ثانوية/ قسم الشرطة/ مركز طبى/ مبنى إدارى/ أنشطة تجارية/ جامع كبير) .

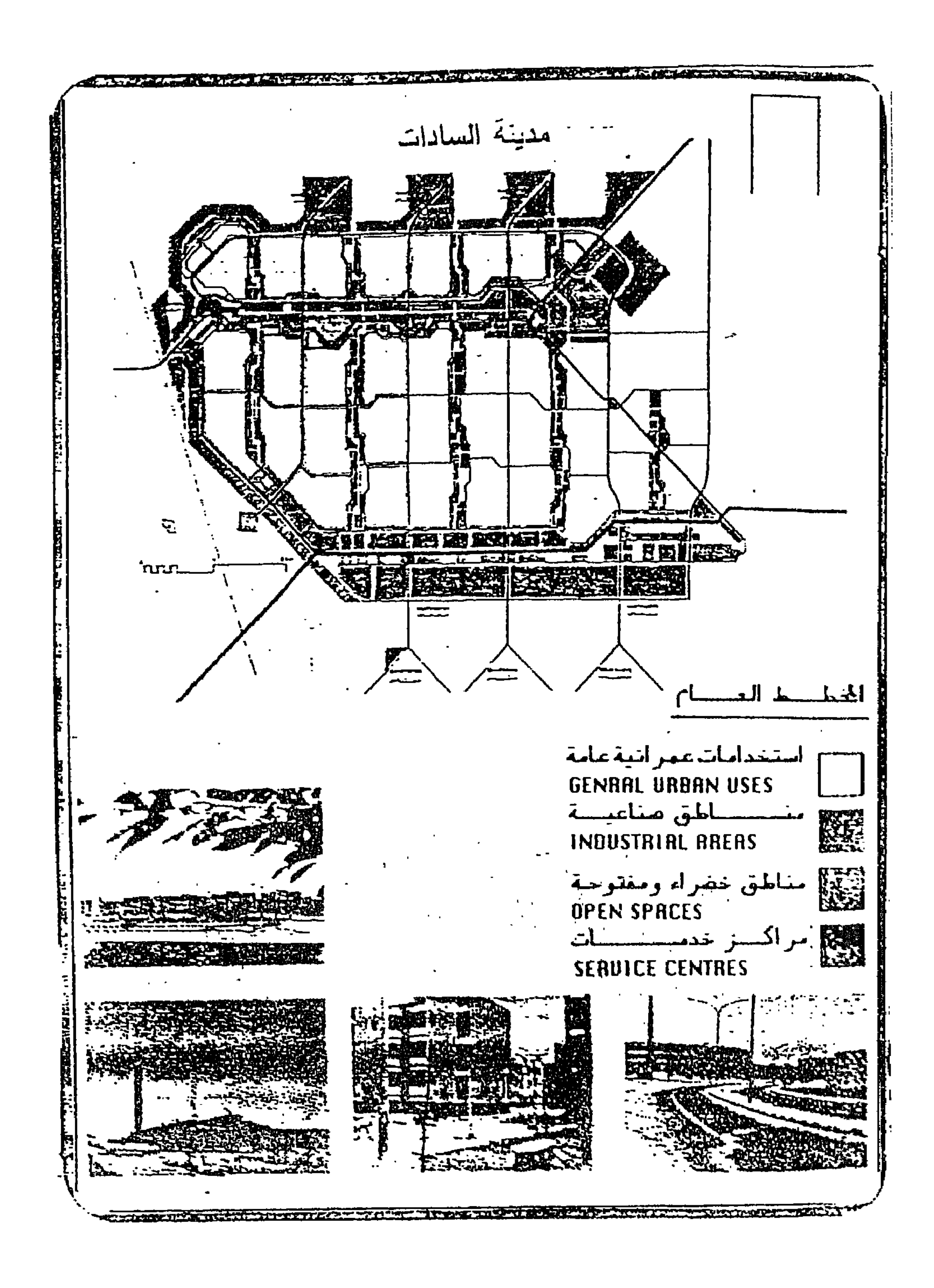
ويشمل تخطيط المدينة إقامة نوعين من الصناعات :

١ - الصناعات الثقيلة وتقع شرق القاهرة الأسماعيلية الصحراوى .

٢ - الصناعات المتوسطة والخفيفة غير الملوثة وخطط لها مناطق متاخمة للأحياء السكنية متكاملة معها لسهولة الأنتقال بين المسكن والمصنع .

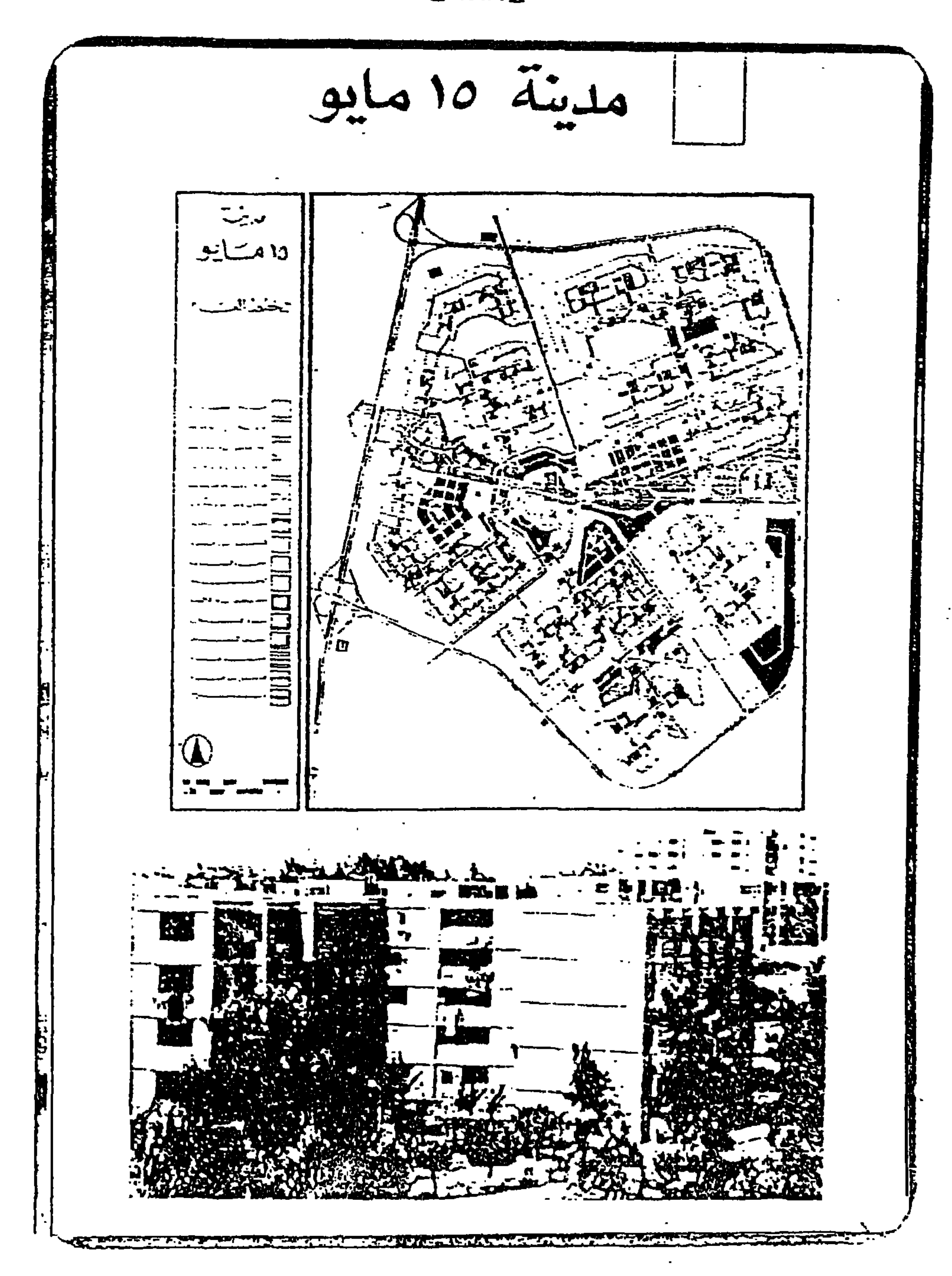

العاشر من رمضان
المخطط العام
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES.
مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS
مراكز خدمات
SERUICE CENTRES
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES


مدينة ٦ أكتوبر
المخطط العام
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES
مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS
مراكز خدمات
SERVICE CENTRES
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES

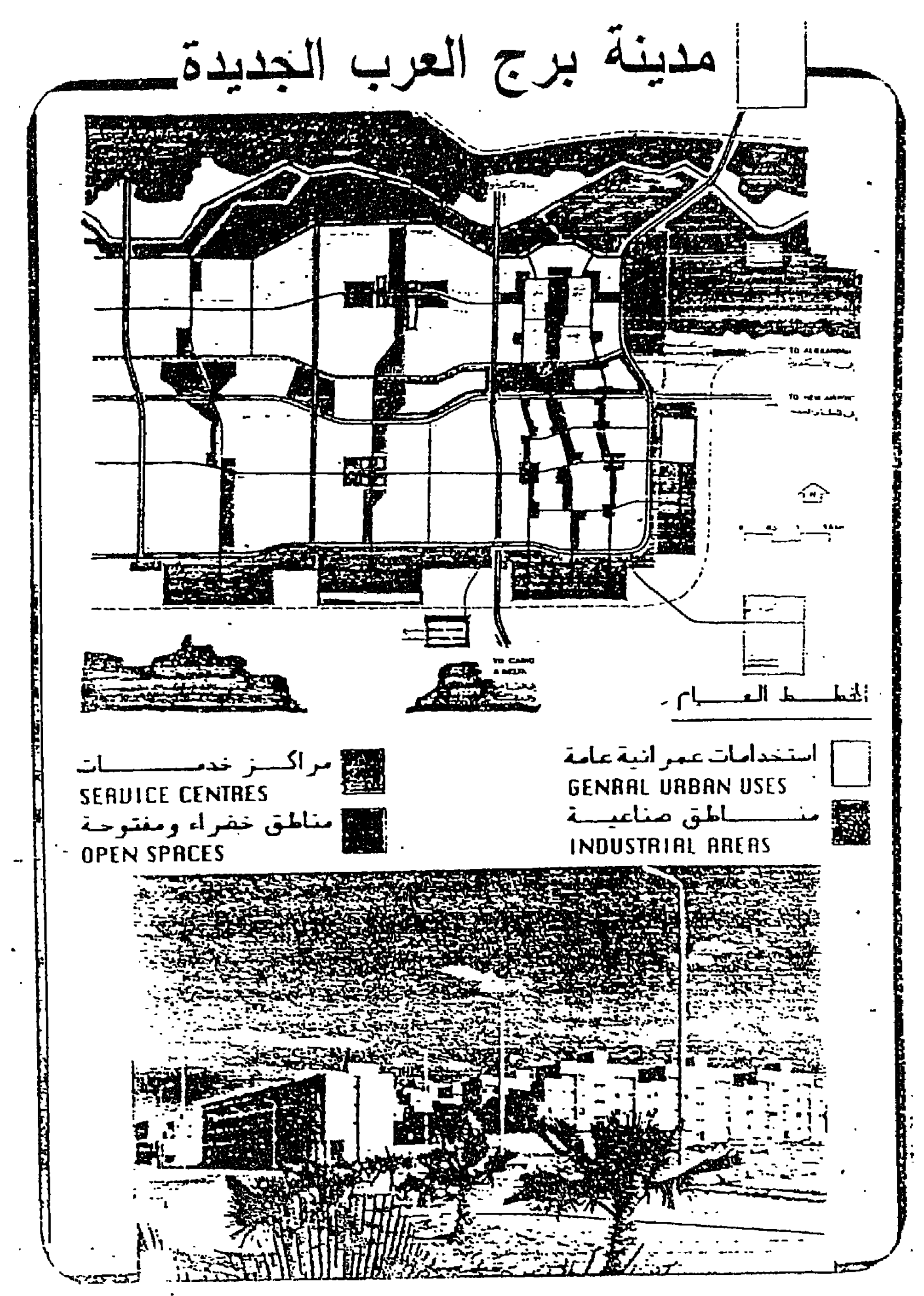


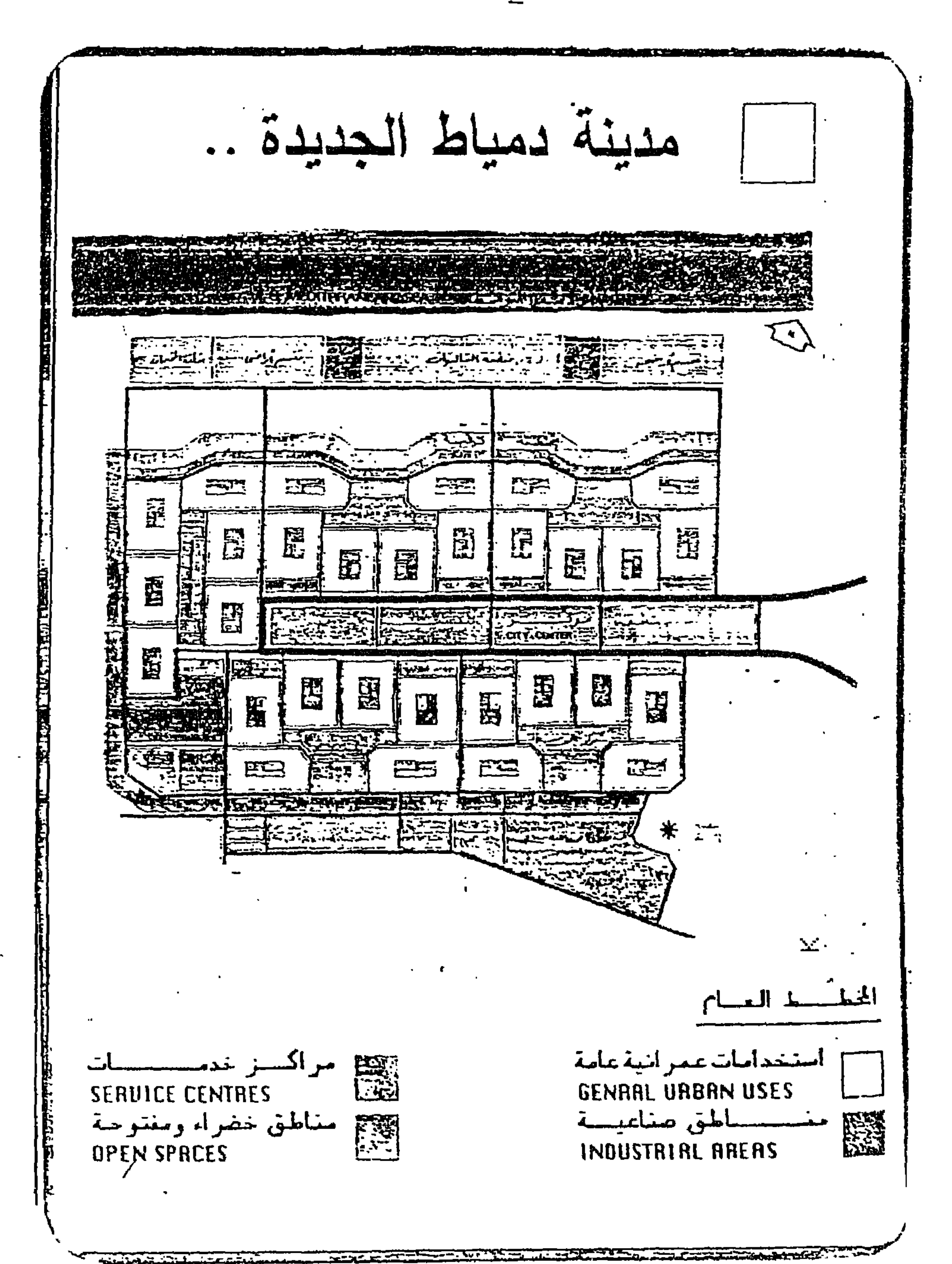
مدينة السادات
المخطط العام
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES
مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES
مراكز خدمات
SERVICE CENTRES

مدينة ١٥ مايو

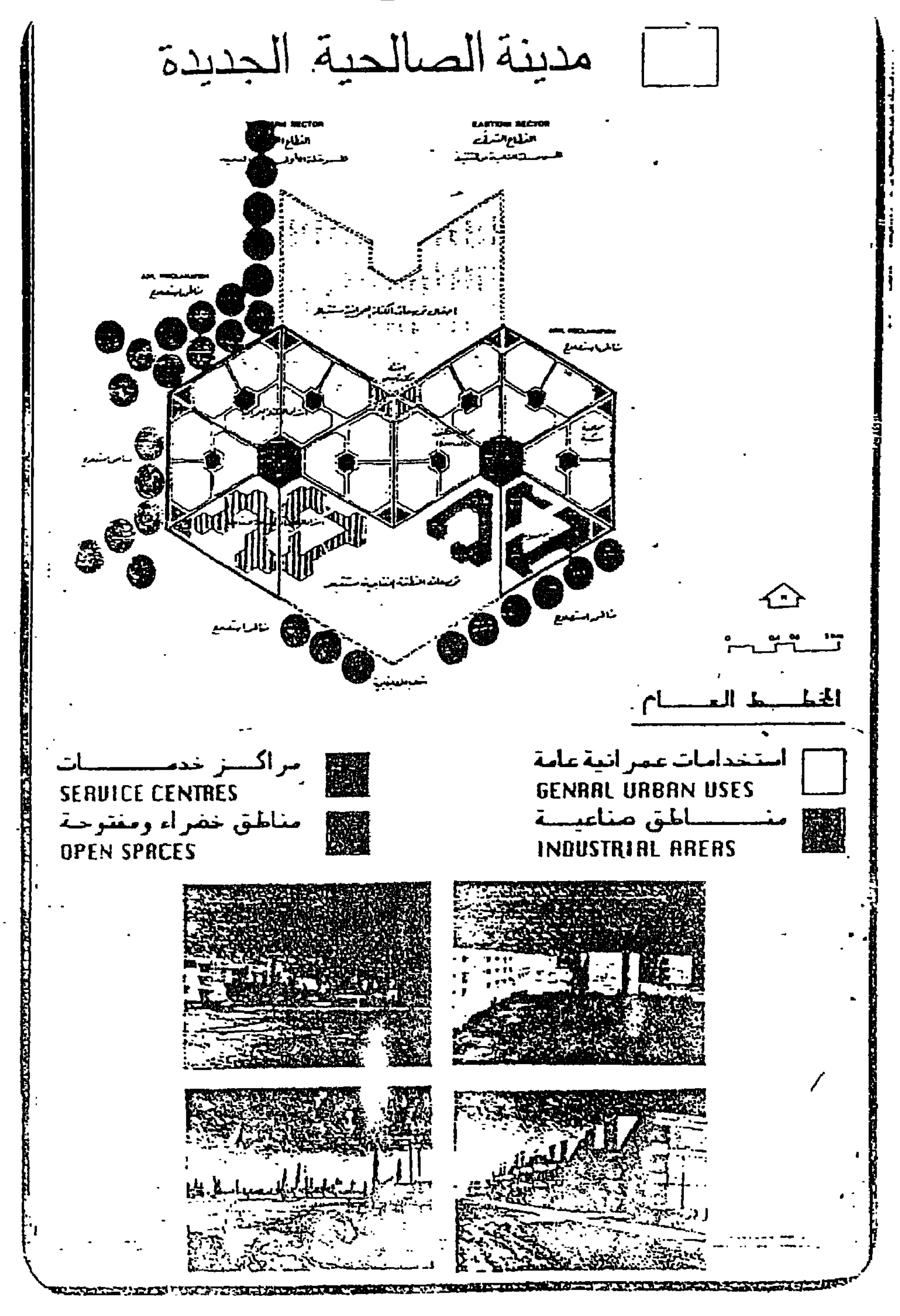


مدينة برج العرب الجديدة



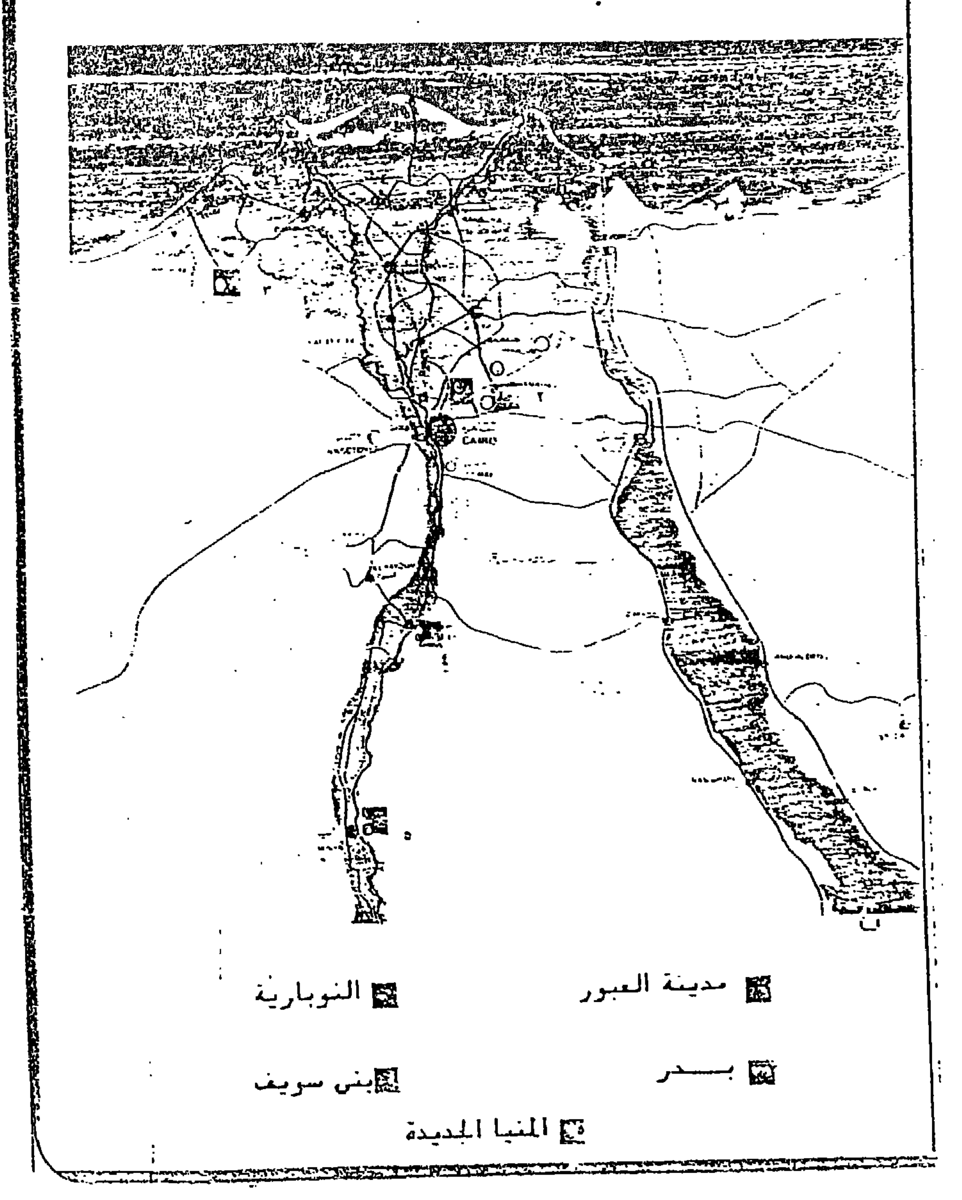


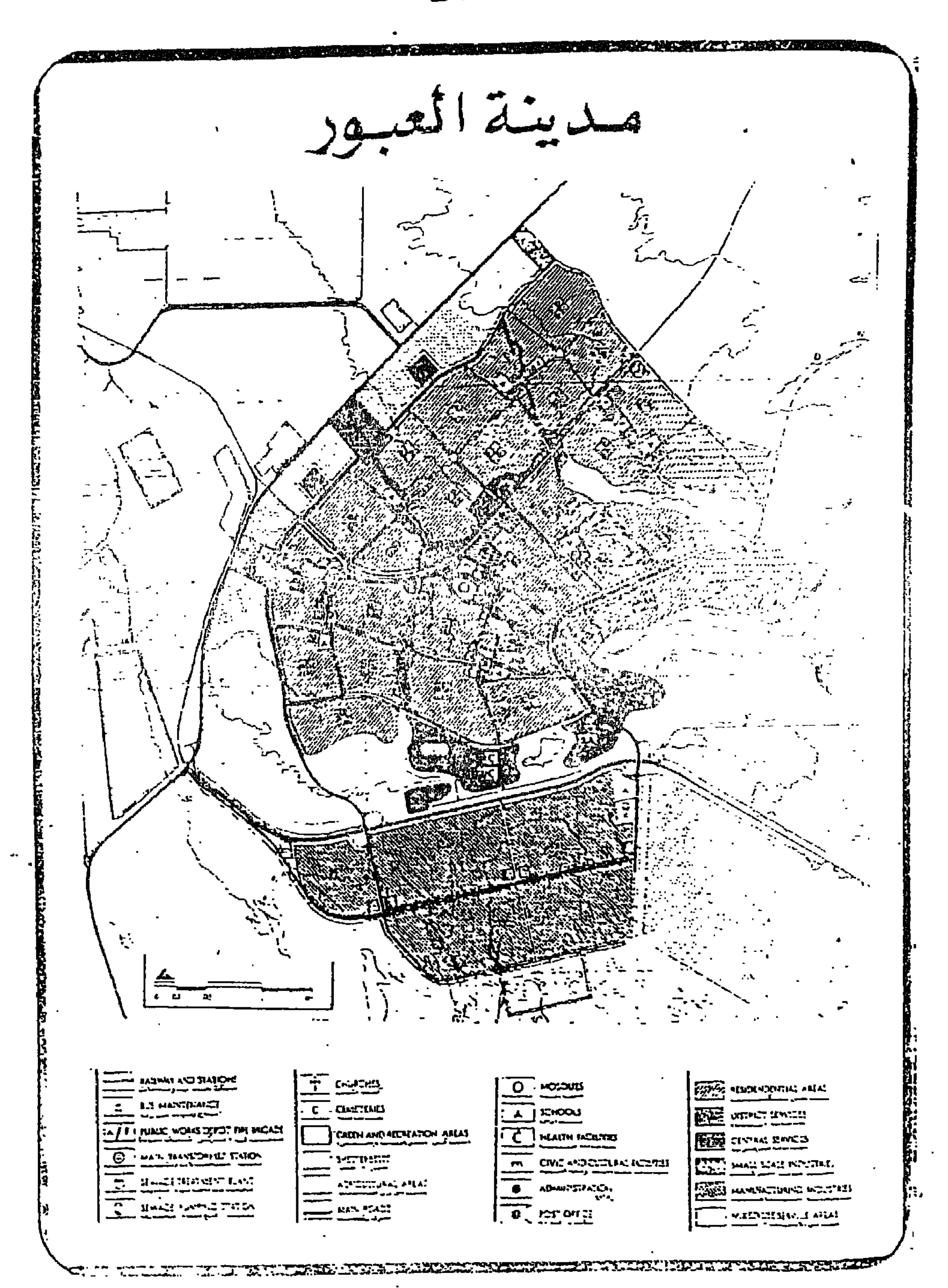
مدينة دمياط الجديدة ..
CITY CENTER
المخطط العام
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES
مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS
مراكز خدمات
SERVICE CENTRES
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES



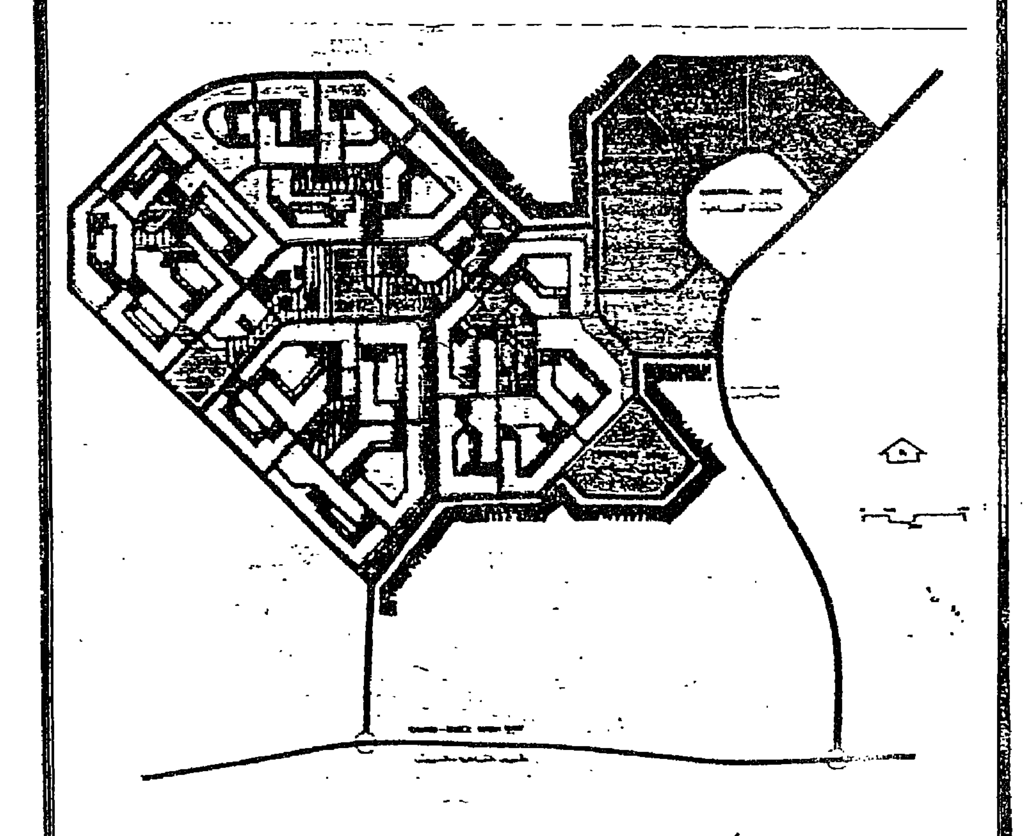
مدينة الصالحية الجديدة
المخطط العام
مراكز خدمات
SERVICE CENTRES
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES
مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS

الجيل الثاني من المدن الجديدة




مدينة العبور
CHURCHES
GREEN AND RECREATION AREAS
MOSQUES
SCHOOLS
HEALTH FACILITIES
CENTRAL SERVICES

مدينة بدر



الخطـــط العـــام



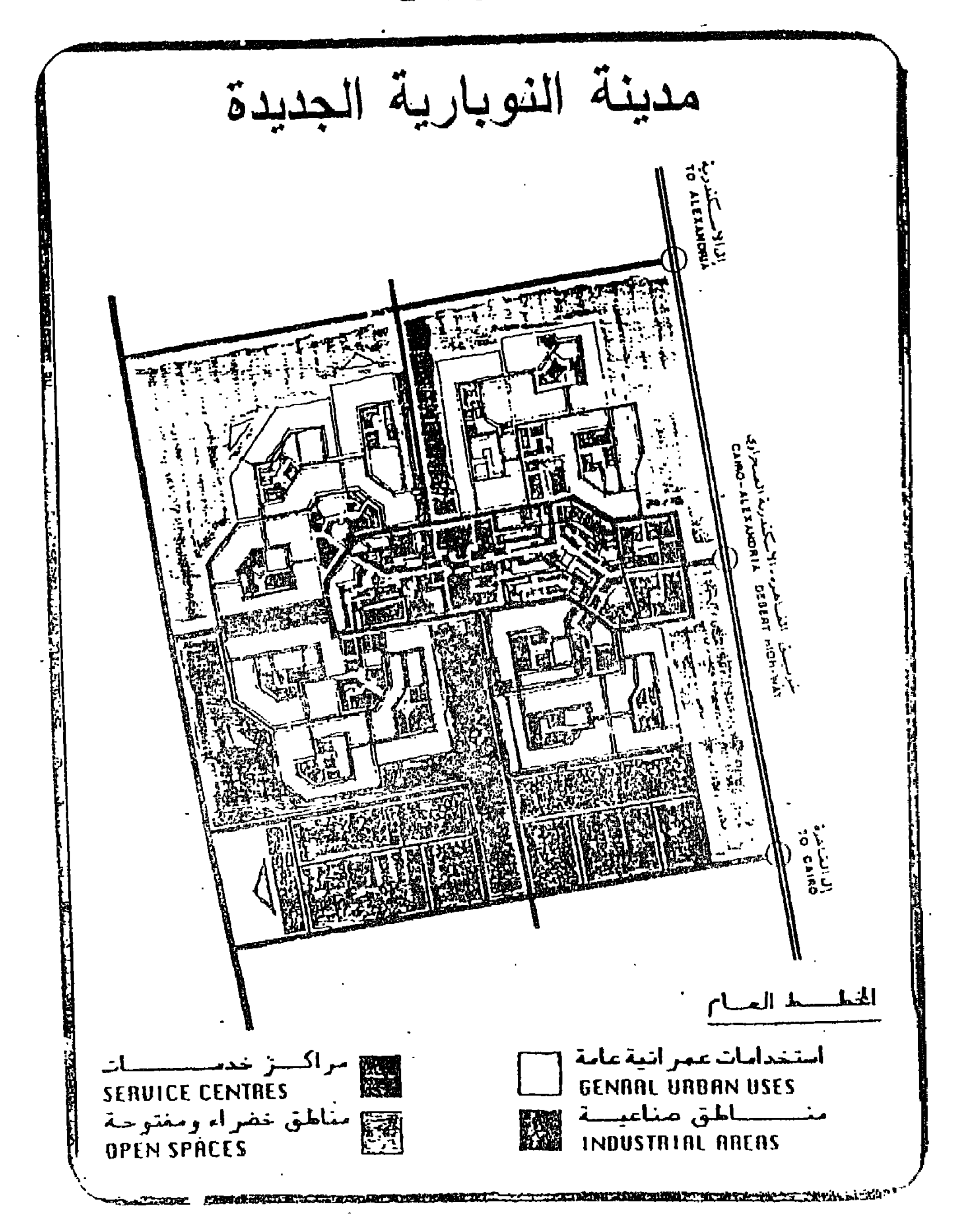
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES

مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS



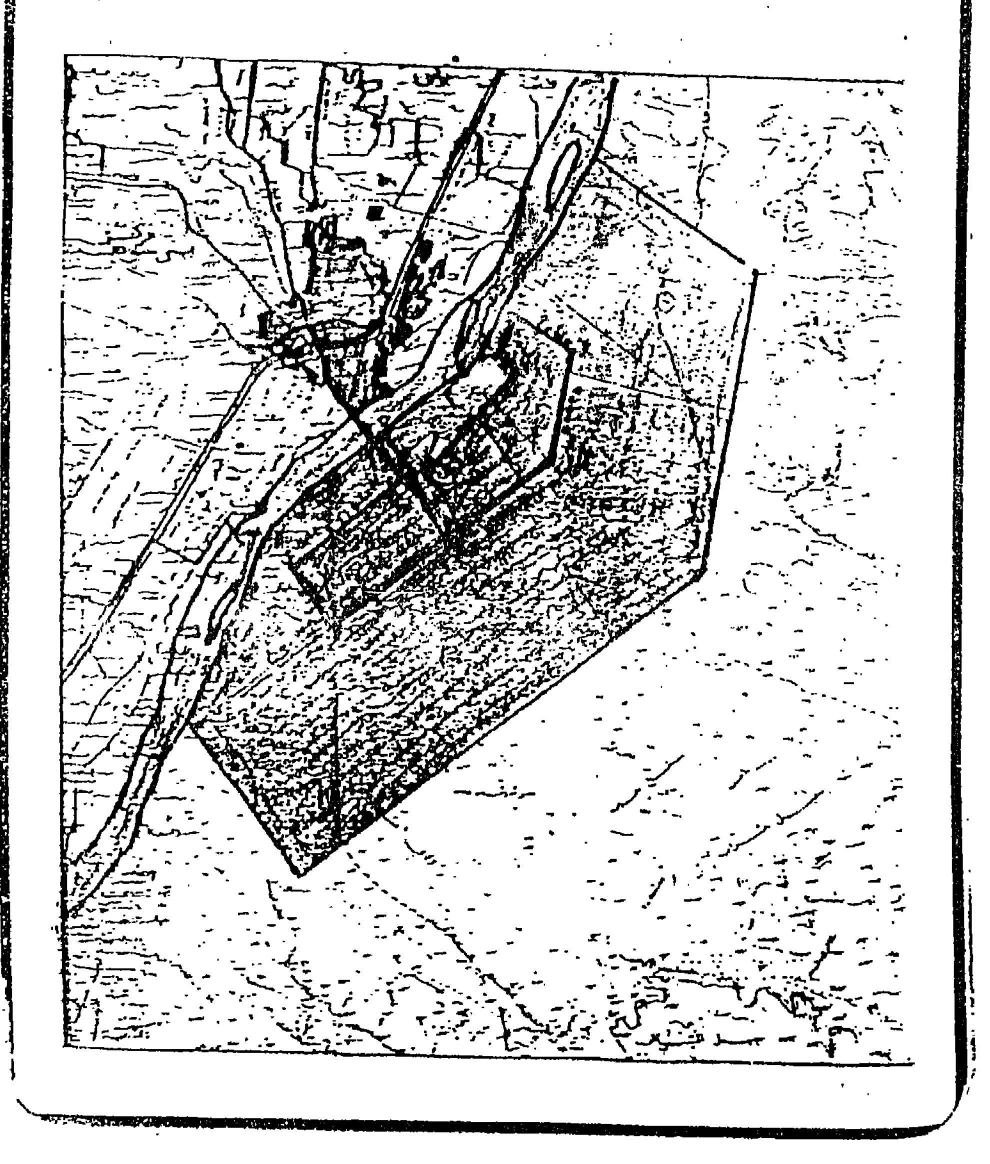
مراكز خدمات
SERVICE CENTRES

مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES

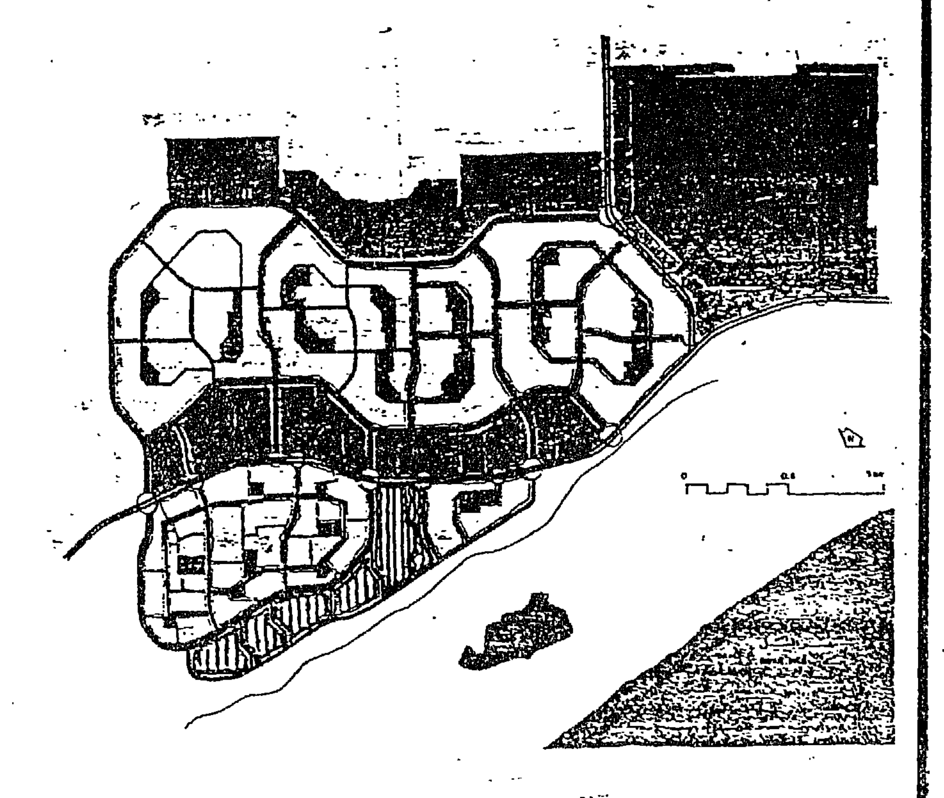


مدينة النوبارية الجديدة
إلى الاسكندرية
TO ALEXANDRIA
طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوي
CAIRO-ALEXANDRIA DESERT HIGH-WAY
إلى القاهرة
TO CAIRO
المخطط العام
استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES
مناطق صناعية
INDUSTRIAL AREAS
مراكز خدمات
SERVICE CENTRES
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES

مدينه بنى سويف الجديدة



مدينة المنيا الجديدة



المخطط العام



استخدامات عمرانية عامة
GENRAL URBAN USES

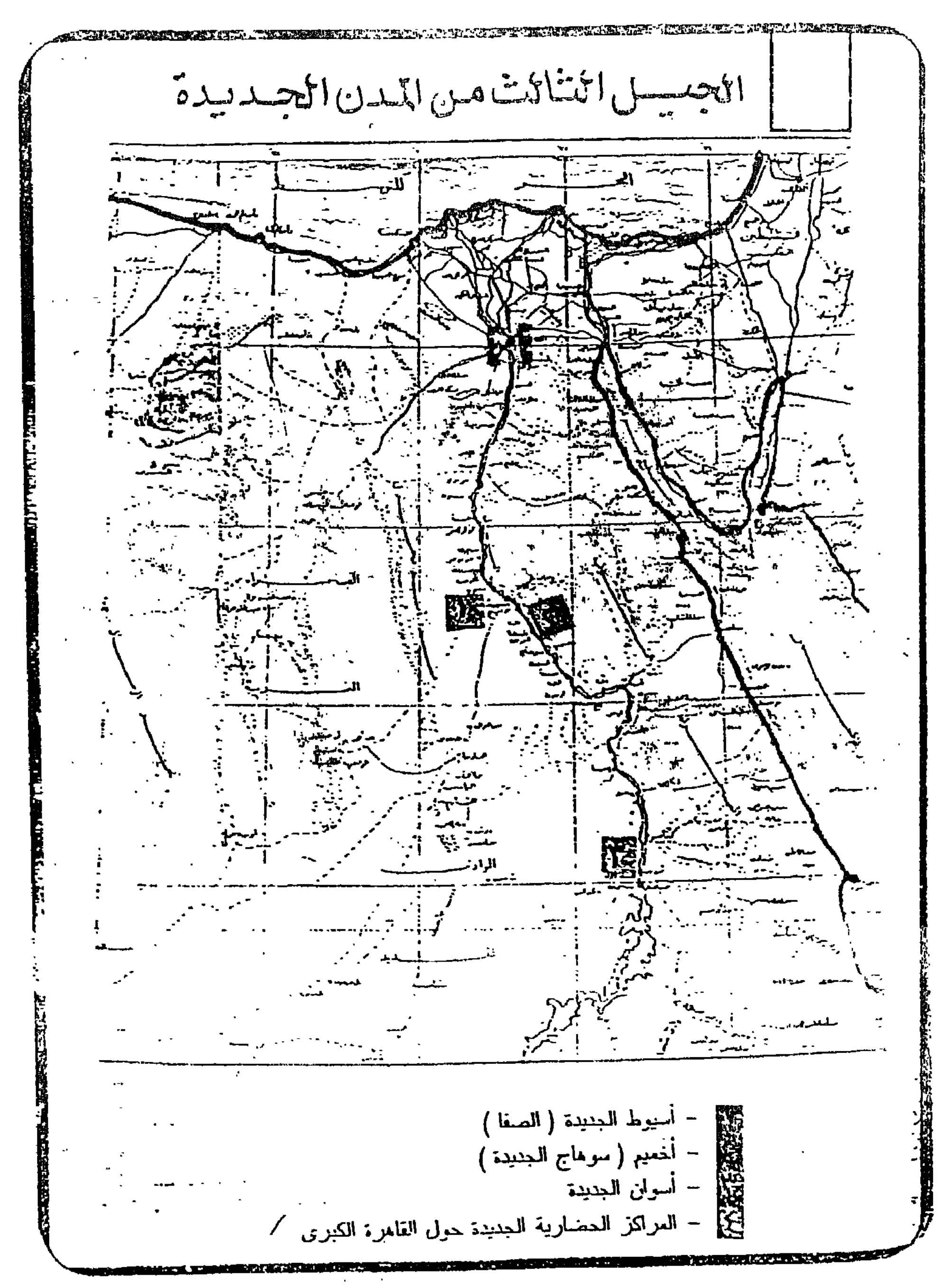
مناطق صناعية
INDUSTRAIL AREAS



مراكز خدمات
SERUICE CENTRES

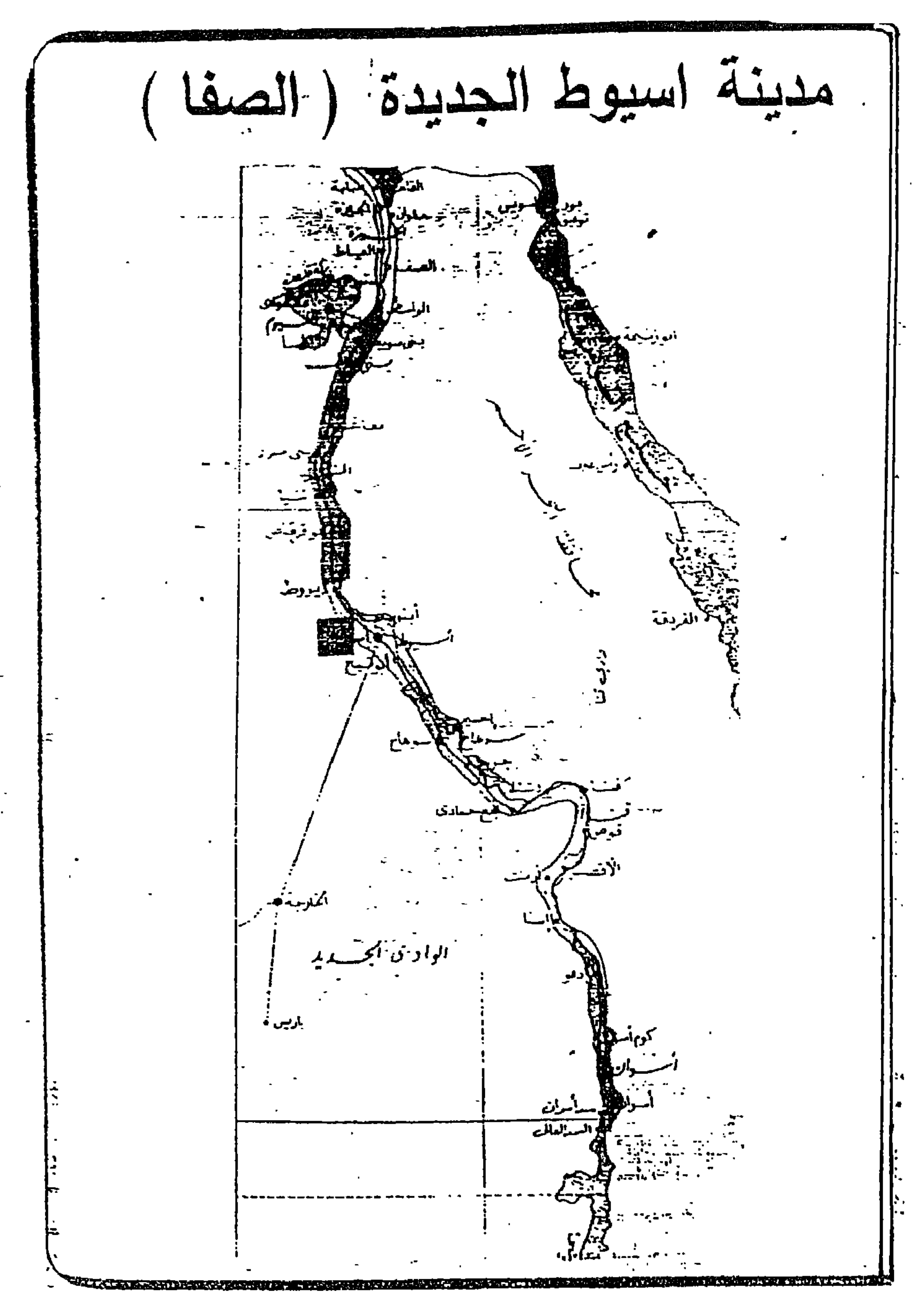
مناطق خضراء ومفتوحة
OPEN SPACES

الجيـــل الثالث من المدن الجـديـدة

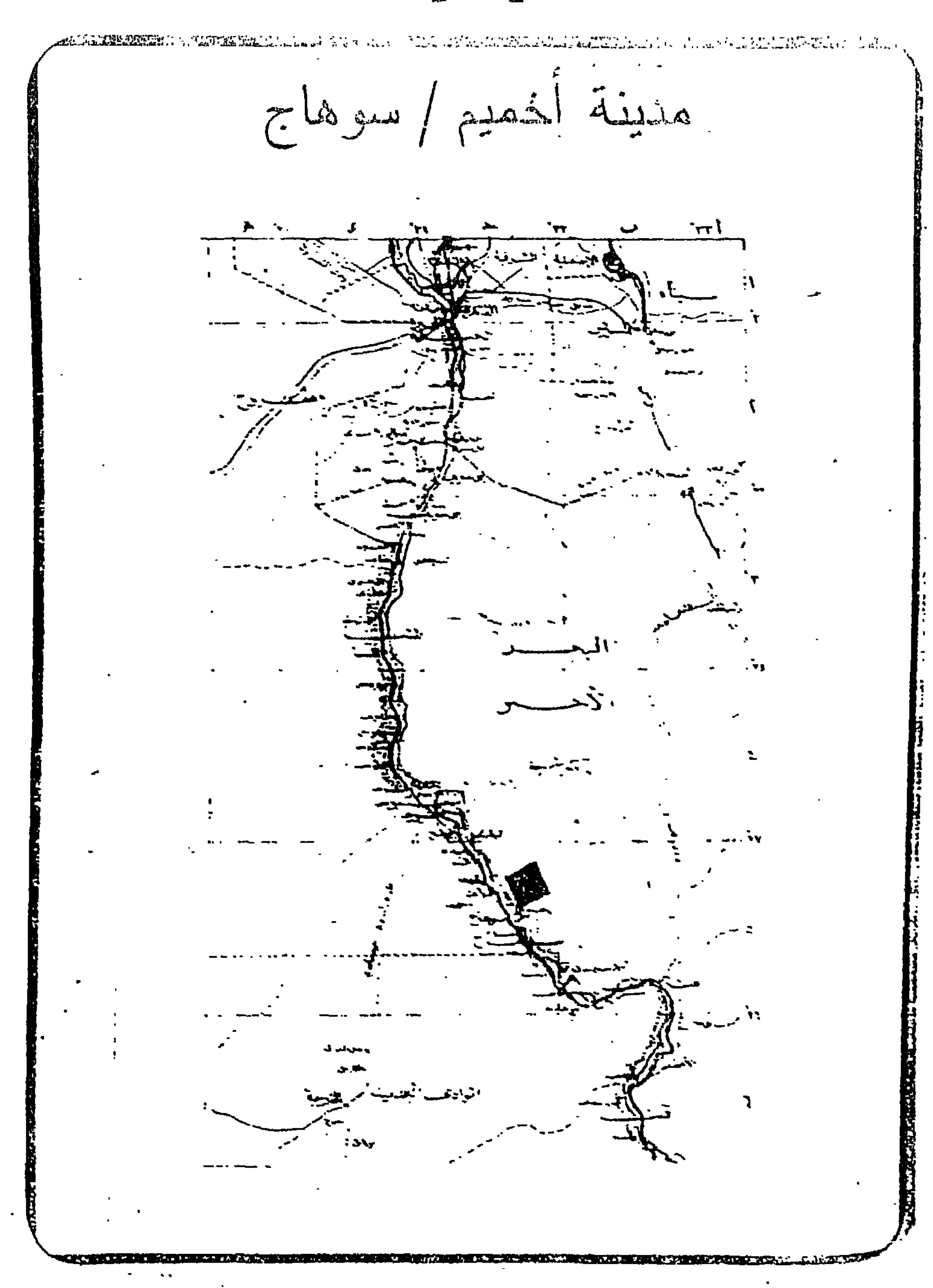


- أسيوط الجديدة (الصفا)
- أخميم (سوهاج الجديدة)
- أسوان الجديدة
- المراكز الحضارية الجديدة حول القاهرة الكبرى

مدينة اسيوط الجديدة (الصفا)



مدينة أخميم / سوهاج



مدينة أسوان الجديدة

تعد مدينة اسوان مركزا تجاريا شهيرا منذ العصور الأولى للتاريخ المصرى كما تعتبر البوابة إلى قلب افريقيا ومنذ عشرات السنين كانت مدينة اسوان منتجعا هادئا يحظى بشهرة واسعة نظرا لما يتميز به من مناخ جاف ومعتدل شتويا .

بعد بناء السد العالى بدأت اسوان تتغير بشكل جذرى وسريع حيث تدفق العمال من مختلف انحاء مصر على المدينة وتضاعف عدد سكانها خلال ست سنوات وقامت صناعات ونمت مناطق سكنية جديدة بصورة عشوائية تجاوزت الحدود الطبيعية للمدينة كما ظهرت الافكار المبدئية لانشاء مناطق عمرانية جديدة على الضفة الغربية لنهر النيل .

- وتتوفر فى اسوان مناطق ملائمة تلبى الاحتياجات السكنية المستقبلية حتى القرن القادم وتتطلب هذه المناطق استراتيجيات ملائمة حسب خصائصها .
- ويؤدى هذا بالضرورة إلى التفكير كثيرا فى الموقع المقترح للتنمية ودراسة مناطق التوسع الممكنة والبديلة واجراء تقييم لكل من هذه المناطق .

وبعد التقييم لبدائل التنمية اتضح ان هناك احتياجا لاتباع طريقتين للتنمية اولهما اسلوب تكثيف وتوسيع اسوان الحالية وثانيهما تجمع عمرانى جديد جنوب غربى قرية غرب سهيل والذى يساعد على ذلك النمو هو تصميم وتنفيذ الكوبرى الجديد الذى يؤثر تأثيرا مؤكدا على التنمية المستقبلية للضفة الغربية للنيل مع استكمال الدراسة بخصوص شبكة الطرق التى سترتبط به وخاصة الوصلة الممكنة مع طريق مصنع كيما والتى تعتبر ضرورة حتمية بالنسبة للموقع المختار .

وتتلخص متطلبات المستقبل وتوضيح التوزيع السكانى المقترح وذلك بالنسبة لاستعمالات الاراضى الرئيسية كما يلى :

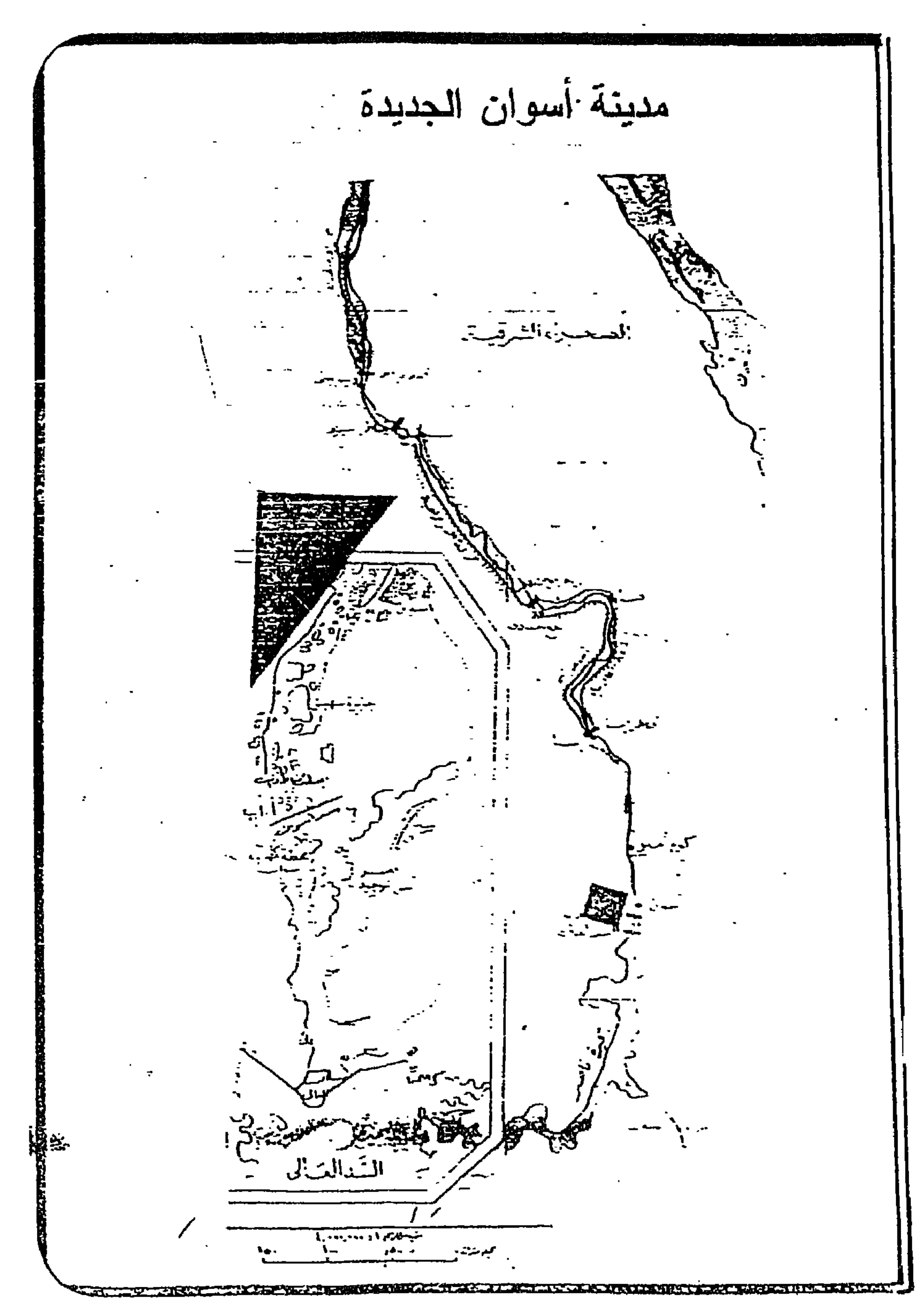
١ ـ المناطق السكنية :

ان موقع التوسع والامتداد على المدى البعيد يتأثر بصفة اساسية بموقع الكوبرى الجديد وامتداده إلى الغرب وكذلك بالطريق الجديد الذى يصل القرية النوبية فى غرب اسوان بشبكة الطرق الاقليمية قرب محطة كهرباء خزان اسوان رقم (٢) وستكون هذه المنطقة الجديدة نواة لتنمية مدينة اسوان فى القرن المقبل ولذا فان التخطيط التفصيلى المطلوب لابد ان ينبثق من مفهوم تنمية شاملة للتوسع على المدى البعيد ومن ناحية اخرى فانه يجب ادراك ان التنفيذ سيتم تدريجيا وتبعا للمناطق وبالنسبة للمراحل الأولى للتنمية الشاملة للضفة الغربية فان الخدمات الرئيسية سيتم توفيرها عن طريق التجمعات العمرانية بالضفة الشرقية الا ان تحديد منطقة معينة لتكون مركزا لهذه المنطقة فى المستقبل سيساعد على توفير الامداد بالخدمات العامة والخاصة بالمناطق الترفيهية .

٢ ـ الخدمات العامة

التوسعات الجديدة فى الضفة الغربية لتوجيه الزيادة السكانية لها فينبغى تلبية الاحتياجات من المدارس داخل المناطق الجديدة ويتبع مخطط استعمالات الاراضى للمراحل المختلفة .

مدينة أسوان الجديدة



التجمع العمرانى رقم (١) باقليم القاهرة الكبرى

يعد التجمع العمرانى رقم (١) الواقع عند التقاء طريق السويس الصحراوى بالطريق الدائرى أحد التجمعات العمرانية العشرة خارج الكتلة العمرانية الحالية لاقليم القاهرة الكبرى ، حيث يستوعب كل تجمع من تلك التجمعات العشرة المقامة بالصحراء نحو ٢٠٠٠٠٠ ـ ٢٥٠٠٠٠ ألف نسمة بهدف توفير بديل مناسب للامتدادات العشوائية وبخاصة على الاراضى الزراعية ، ولتحقيق خلخلة بالمناطق ذات الكثافة السكانية العالية .

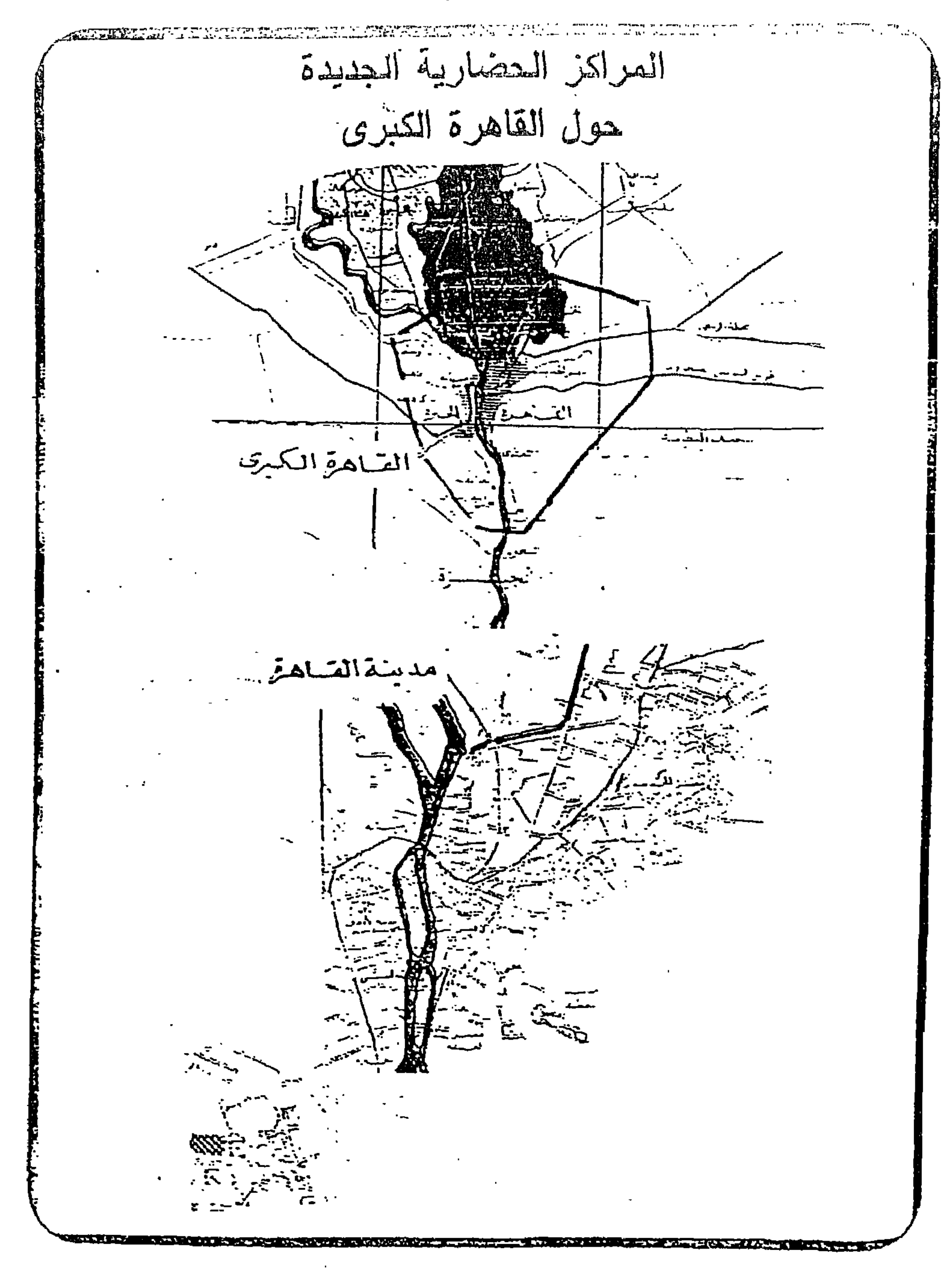
- ترتكز الفكرة التخطيطية للتجمع على وحدة الجوار التى تشكل الخلية الاساسية فى النسيج العمرانى ، وهى وحدة تخطيطية ثابتة المساحة والشكل تقريبا ومختلفة الكثافات . ويمكن تجميعها فى مجموعات اكبر لتمثل منطقة سكنية ، ويمكن أن تضم وحدة الجوار نوعية أو أكثر من الاسكان الحكومى أو التعاونى أو الخاص .
- يتوازى التدرج فى أحجام المناطق السكنية مع تدرج هرمى آخر فى أحجام وأنواع الخدمات العامة كما يوفر التجمع فرص العمل لما لا يقل عن ٧٠٪ من اجمالى القوى العاملة المقيمة به والمقدرة بنحو ٤٢٠٠٠ عامل ، منها نحو ١٤٢٨٠ عاملا فى مجال الصناعة والحرف ونحو ٣٧٨٠ فى مجال التشييد والبناء ، ونحو ٦٧٢٠ فى مجال التجارة والخدمات التحويلية ونحو ٤٦٢٠ فى مجال النقل والمواصلات ونحو ١٢٦٠٠ فى مجال الخدمات الاجتماعية .

ميزانية استخدامات الاراضى بالتجمع رقم (١)

نوع الاستخدام	المساحة بالهكتار	المساحة بالفدان	٪
الإسكان	٣١٨..	٧٨١	٤١.٨
خدمات	٧١.٨	١٧١	٩.٢
مناطق خضراء ومفتوحة	٧٠.٢	١٦٧	٨.٩
طرق	١٥٧.٥	٣٧٥	٢٠..
صناعة	١٥٧..	٣٧٤	٢٠.١
اجمالى مساحة التجمع	٧٨٤.٥	١٨٦٨	٪١٠٠

وزارة التعمير والمجتمعات الجديدة والإسكان والمرافق
الهيئة العامة للتخطيط العمراني

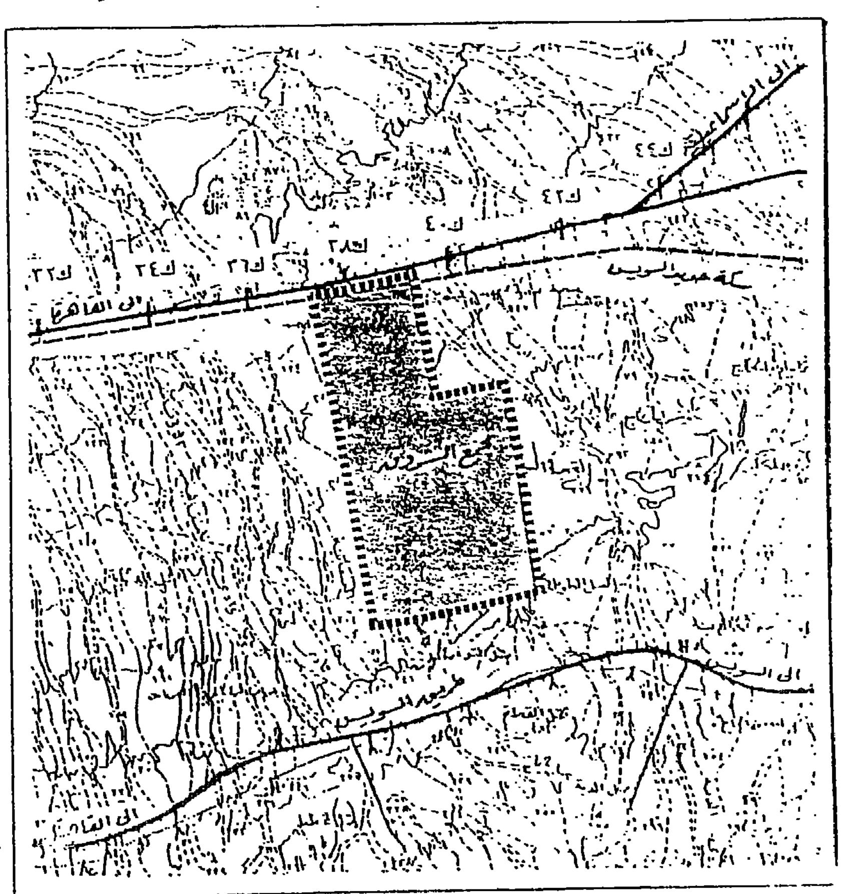
مخطط إقليم القاهرة الكبرى


المراكز الحضارية الجديدة
حول القاهرة الكبرى
القاهرة الكبرى
مدينة القاهرة

تجمع الشروق العمرانى

يقع التجمع العمرانى الجديد الواقع بمحور شمال شرق القاهرة جنوب طريق القاهرة / الاسماعيلية الصحراوى ، وذلك باعتبار مشروع الاسكان المقام على نحو ٣٠٠ فدان بمنطقة نواة لهذا التجمع العمرانى الجديد والذى يجرى استصدار قرار تخصيص موقعه فى ضوء موافقة وزارة الدفاع كما يجرى اعداد دراسات التخطيط العام للتجمع والمخططات التفصيلية للمراحل ذات الاولوية به .

الموقع العام للتجمع العمرانى الجديد (تجمع الشروق) بطريق الاسماعيلية الصحراوى



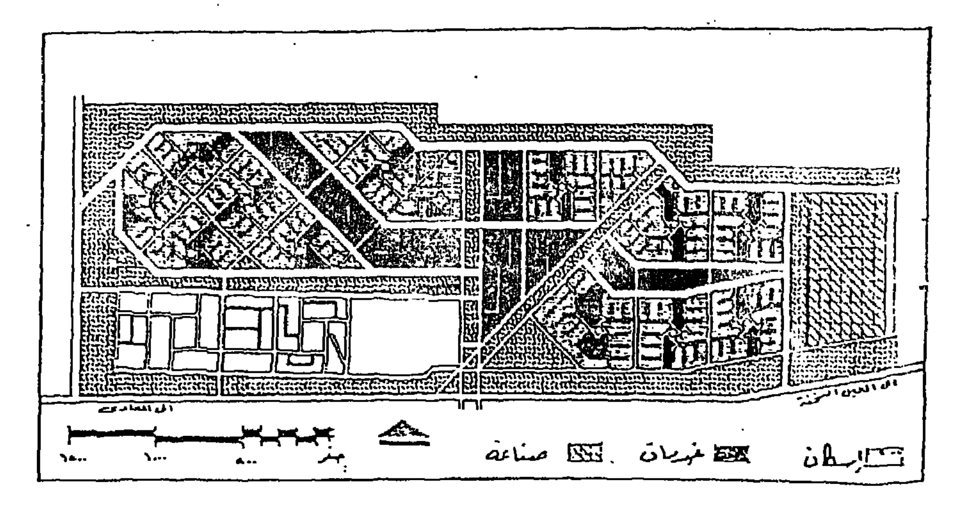
التجمع العمرانى بالقطامية

يعتبر مشروع التجمع العمرانى الجديد الواقع على بعد نحو ١٥ كم من وسط القاهرة بطريق القاهرة العين السخنة استمرارا لجهود التنمية المخططة لمحور شرق القاهرة ، وذلك باعتبار مشروع اسكان النقابات الذى يضم عشرة الاف وحدة نواة لهذا التجمع الجديد المنتظر ان يوفر فرص الاسكان والخدمات اللازمة لنحو ٢٠٠ ألف نسمة بالاضافة إلى فرص العمل الصناعية والحرفية والخدمية لما لا يقل عن ٨٠٪ من القوى العاملة بالتجمع .

وفضلا عن العشرة الالف وحدة التى تم انشاؤها فيجرى تنفيذ اربعة الالف وحدة اخرى بالخدمات المحلية اللازمة لها ضمن المرحلة ذات الاولوية بالتجمع .

التكوين العام للتجمع العمرانى شريطى الشكل محوره الطولى فى اتجاه الشرق غرب بموازاة طريق المعادى القطامية حيث يتوسط الكتلة العمرانية المستحدثة به قطعة محورية مركزية متباينة العمق والحدود والتوجيه تلتف حولها الاستخدامات السكنية والخدمات الاساسية المرتبطة بها والتى تتصل فى طرفها الشرقى بالمنطقة الصناعية المحتوية على قطع اراضى تناسب مختلف الصناعات الصغيرة والمتوسطة المنتظر استقطابها من القطاعات المتخلفة الداخلية بوسط مدينة القاهرة تخفيفا للعبء عنها وبما يساهم فى اعادة تنظيم تلك المناطق وتوفير الخدمات بها

الموقع العام للتجمع العمرانى الجديد بالقطامية .

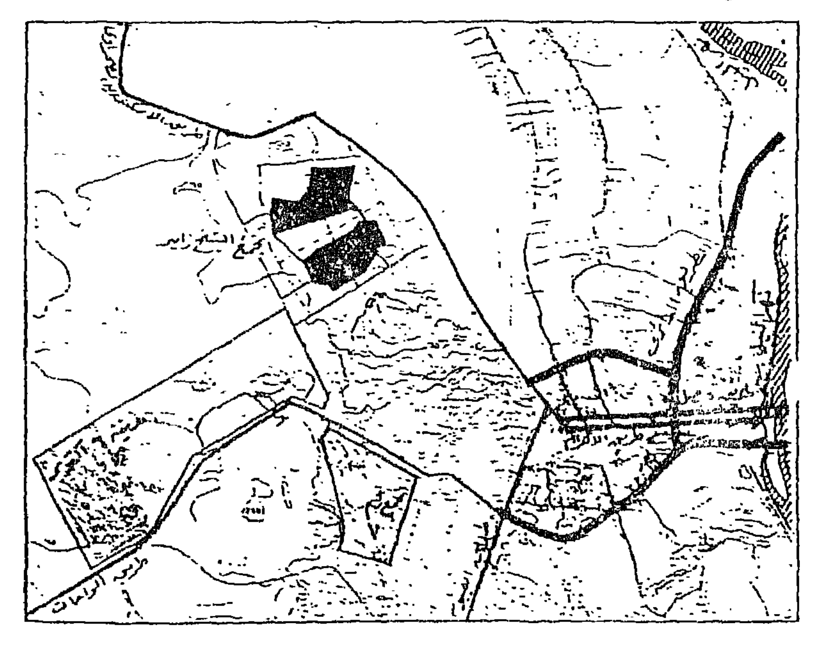


تجمـع الشـيخ زايـد

نظرا للضغوط العمرانية التى تعانى منها مدينة الجيزة وخاصة بالأطراف الزراعية المتاخمة للكتلة العمرانية الرئيسية لها ، فقد تم التخطيط للتجمع العمرانى الجديد والواقع ضمن حرم مدينة ٦ أكتوبر بطريق القاهرة / الاسكندرية الصحراوى حيث يضم التجمع كتلتين عمرانيتين أ ، ب (مطلق عليه تجمع الشيخ زايد) تستوعب كل منهما ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ألف نسمة من الزيادة السكانية لمدينة الجيزة وأطرافها الزراعية .

ويعتبر كل من جزئى التجمع الجديد تجمعا قائما بذاته من حيث توفير فرص السكن والخدمات لكافة سكانه فضلا عن توفير فرص العمل لما لا يقل عن ٨٠ ٪ من القوى العاملة تتجمع ضمن المناطق الصناعية والحرفية والخدمية به .

الموقع العام لتجمع الشيخ زايد بالجيزة

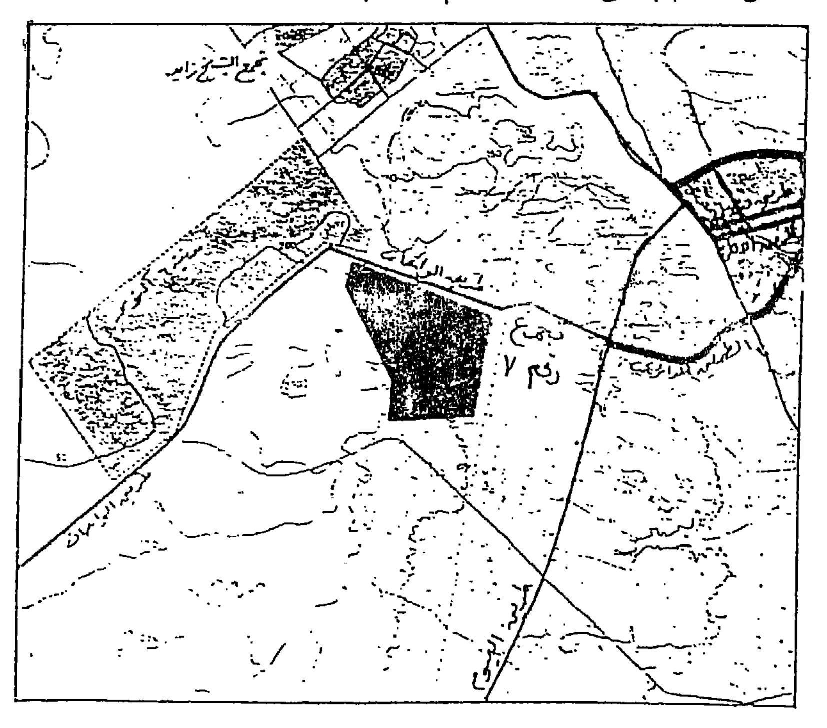


التجمع العمرانى رقم ٧

يعد التجمع رقم ٧ الواقع بين طريقى القاهرة / الواحات والقاهرة / الفيوم الصحراويين استكمالا لطاقة استيعاب الزيادة السكانية بمدينة الجيزة ومحيطاتها الزراعية وذلك بهدف التمكين من اعادة تنظيم الكتل العمرانية الحالية التى تعانى من تدهور البيئة العمرانية الناتج عن نقص الخدمات والمرافق .

تبلغ السعة الاستيعابية للتجمع العمرانى رقم ٧ نحو ٢٥٠ ألف نسمة منتظر استقطابهم من مناطق جنوب الجيزة تخفيفا من الضغوط العمرانية على حساب الأرض الزراعية بها .

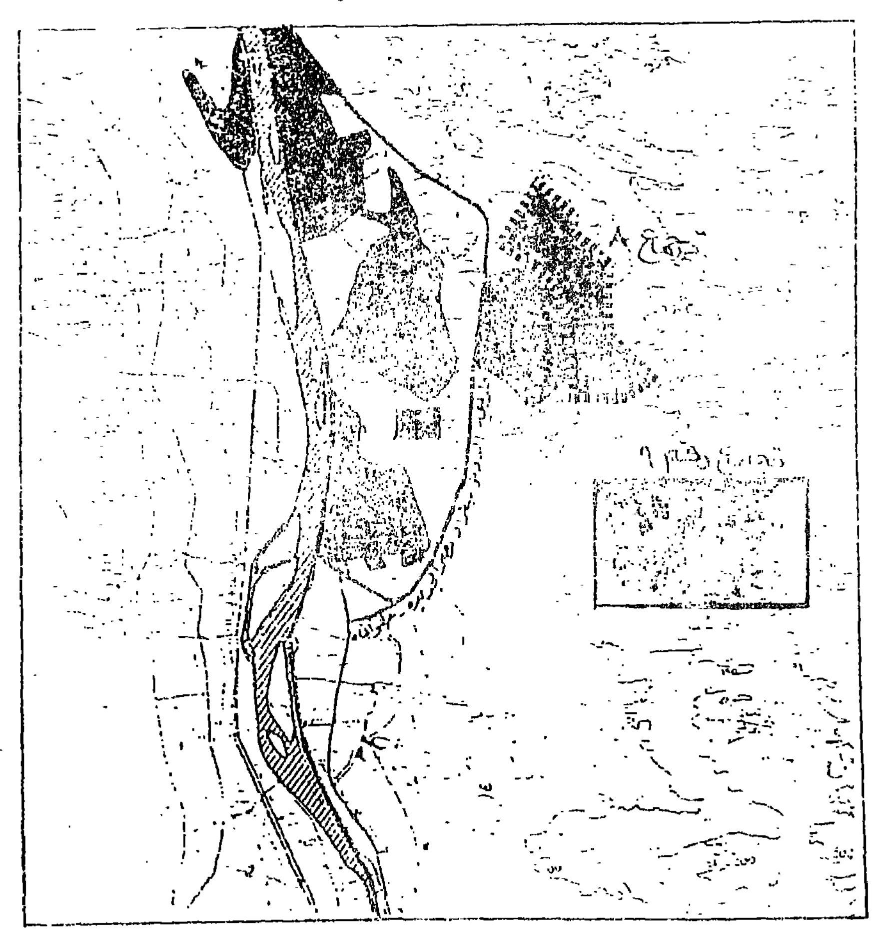
الموقع العام للتجمع العمرانى رقم ٧ ، بمحافظة الجيزة



التجمع العمرانى رقم ٨

يستهدف التجمع العمرانى رقم ٨ المساهمة فى استيعاب الزيادة السكانية بمناطق جنوب القاهرة وبتعداد اجمالى للتجمع يبلغ ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ألف نسمة طبقا للتركيب السكانى والاقتصادى لمناطق جنوب القاهرة التى تضم العديد من الأنشطة المتعارضة المسببة للازعاج والتلوث البيئى والمنتظر أن يوفر لنا التجمع رقم ٨ بديل مناسب وفرص أفضل للتشغيل والانتاج بما يحقق احدى الأهداف الرئيسية من انشاء التجمعات العمرانية الجديدة ومنها التجمع العمرانى رقم ٨ الواقع شرق كل من مدينة ١٥ مايو وطريق الاوتوستراد .

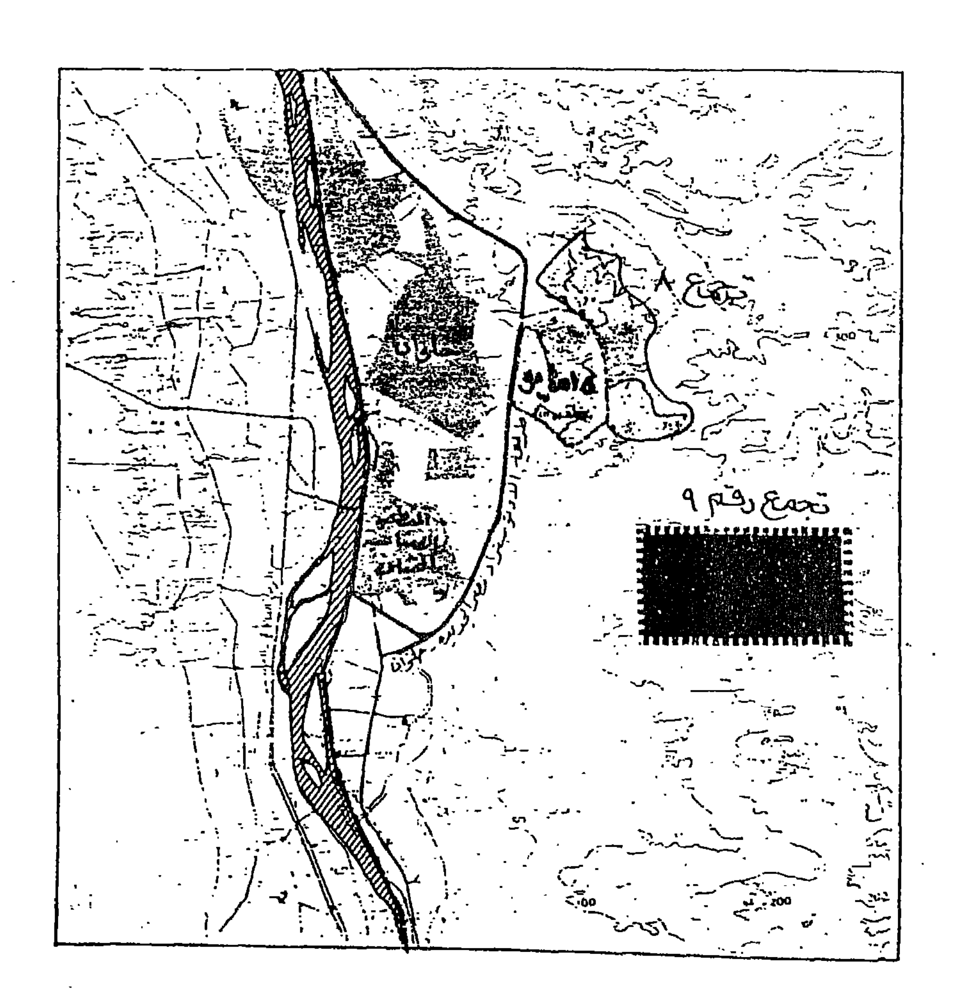
الموقع العام للتجمع العمرانى رقم ٨ ، مدينة حلوان جنوب القاهرة



التجمع العمرانى رقم ٩

تم دراسة موقع التجمع العمرانى الجديد رقم ٩ بالاتفاق مع وزارة الدفاع بحيث يقع عند الأطراف الجنوبية لاقليم القاهرة الكبرى ، وبما لا يتعارض مع خطط الاستصلاح والاستزراع بمناطق شرق وجنوب حلوان التى تشهد امتدادا عمرانياً ضخما يلزم التحضيط لاستيعابه مسبقا بالتجمع العمرانى رقم ٩ تحقيقا لتوصيل المخطط الهيكلى لاقليم القاهرة الكبرى بشأن متطلبات التنمية بالمناطق الجنوبية للاقليم .

الموقع العام للتجمع العمرانى رقم ٩ ، بمدينة حلوان جنوب القاهرة



22. Kees, op.cit, p.179.

23. Posener, op.cit, p.282.

24. Breasted, op.cit, p.216.

25. Gardiner, op.cit, p.163.

26. Breasted, op.cit, p.218.

27. Aldred, C., The Egyptians, London, 1961, p.38.

28. Posener, op.cit, p. 8 hawkes & Woolley, Prehistory and the Beginning of Civilization, London, 1963, pp. 430—436.

29. Gardiner, op.cit, p.255.

30 Posener, op.cit, p.279.

31. Kees, op.cit, p.199.

32. Breasted, op.cit, p.443.

33. Kees, op.cit, p.205.

34. Breased, op.cit, p.330.

35. Kees, op.cit p.343.

36. Newbery, P. E., A short history of Ancient Egypt, London, 1907, p.99.

REFERENCES

1. **Baumagartel, E. J,** The Culture of Prehistoric Egypt, London, 1947, P. 19.
2. **Ibid, P.** 24.
3. **Alimen, H.,** The Prehistory of Africa, London, 1957, P. 105.
4. **Baumgartel, Op. Cit,** P. 220 **Chijde, G.,** What happened in History, London, 1941, P. 92
5. **Alimen,** op. cit, p.104-**Huzayyin, S.,** The Place of Egypt in Prehistory Cairo, 1941, P.300.
6. **Alimen,** op. cit, p.117.
7. **Baumgartel,** op. cit, p.37.
8. **Ibid,** p.50.
9. Alimen, op. cit, p.119.
10. **Ibid,** p.125.
11. Kees, K., Ancient Egypt, London, 1961, p. 189.
12. **It should be pointed out that Lower Egypt,** from the political and administrative point of view in ancient Egypt, was not simply identical within the Delta proper, but it included the transit zones around the apex of the Delta. Ibid.p.34,
13. **The "nomes"** of the Delta were united together into two Kingdoms before the foundation of the Kingdom of Lower Egypt.
14. **Gardiner, A.,** The Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, p. 442.
15. **Breasted, I. H.,** A History of Egypt, London, 1948, p.34.
16. **Ibid,** p.88.
17. **Ibid,** p.86.
18. **Posener, G.** A Dictionary of Egyptian Civilization, London, 1962, p.179.
19. **Kees,** op.cit, p.147.
20. **Ibid,** p.29.
21. **Posener,** op.cit, p.166.

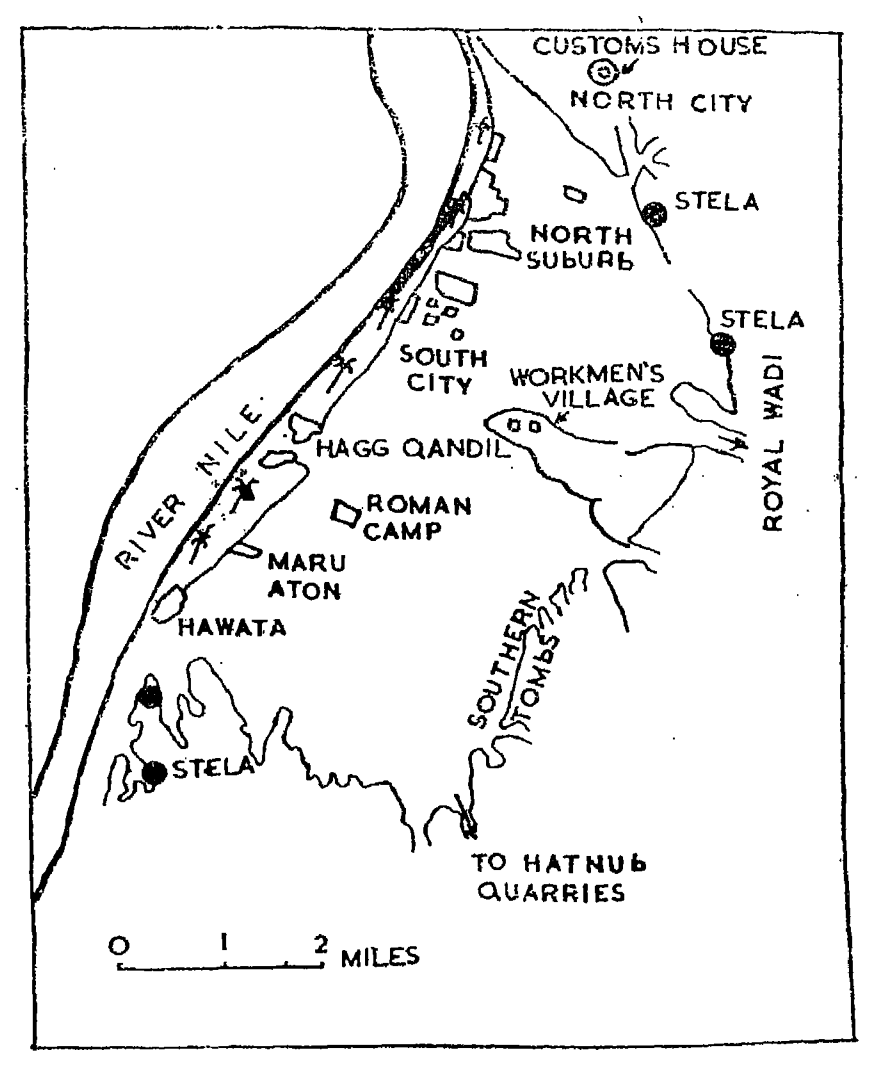


FIG. 3. AFTER PENDLEBURY.

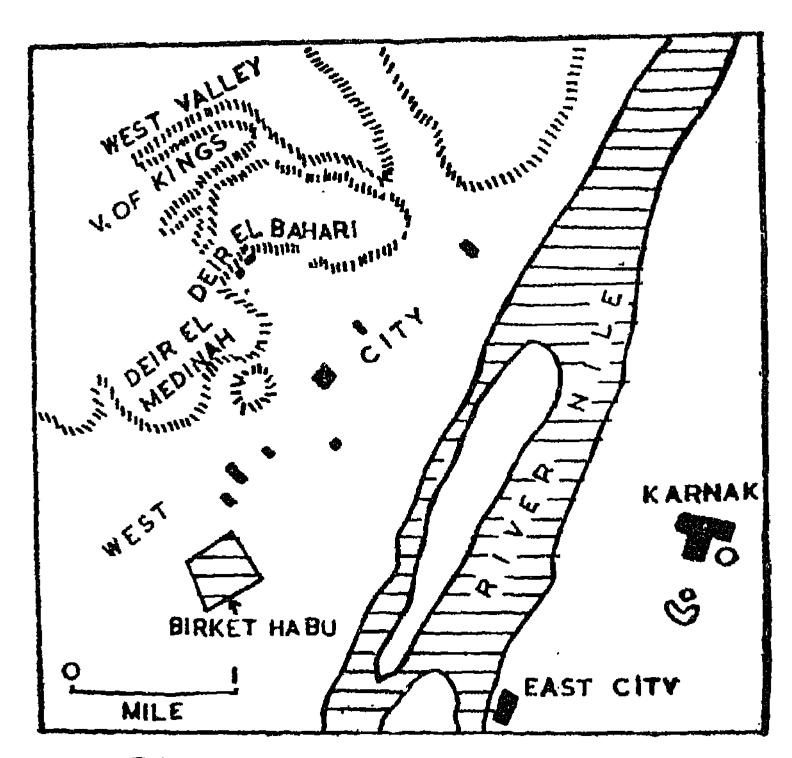


FIG. 2. THE THEBAN AREA AFTER KEES.

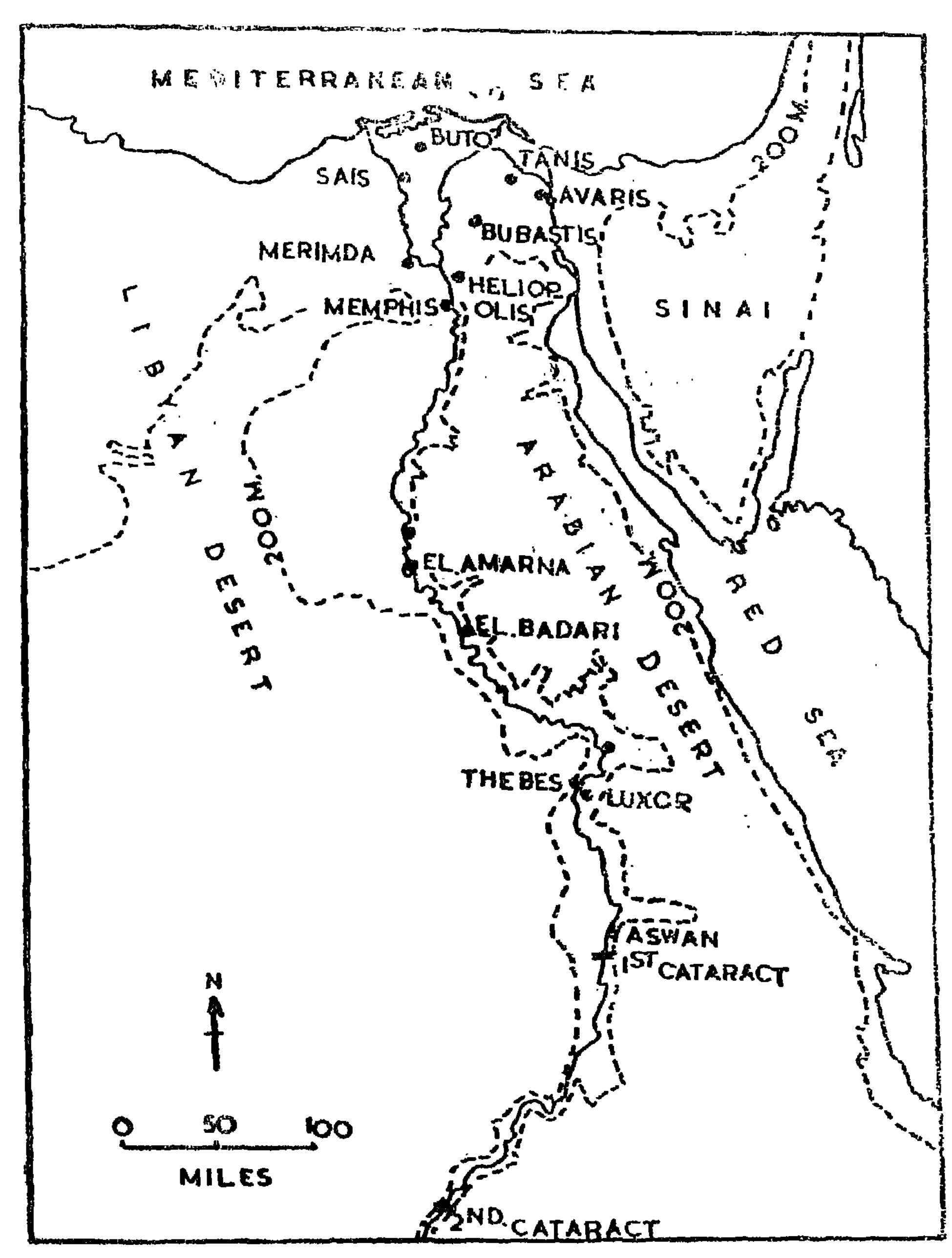


FIG. 1. THE ANCIENT CAPITALS OF EGYPT

gious influence is shown in the shifting of the adminsitrative centre from one place to anther, e.g., from Memphis to Thebes-to Akhet Aton-to Thebes again. The military pupose is the main reason behind the foundation of Memphis on the western side of the Nile at the apex of the Delta, for the constructin of Avaris in the Eastern Delta, and for the selection of Napata to be the capital of the Ethiopian empire. The political factor is connected with the religious and military factors, so that it is difficuilt to separate it from the others. However, its influence is apparent in the dividing of Egypt into fourty-two nomes, each of which had its own "chef lieu". In conclusion it should be realised that the site of the Egyptian capital was always chosen with regard to the river Nile, the main source of water.

Second Dynasty in 945 B.C. Although the High Priest of Theben still exercised undisputed religious authority, the city had politically become a backwater (34). Bubastis continued to be the chief administrative centre in Egypt until the centre of activity shifted to Sais (near from Kafr El Zayat) with the Twenty-Fourth Dynasty and later to Napata when the Ethiopians kings were dominant 722 B.C 663 B.C.

Napata was situated a short distance down stream from the Fourth cataract. It was founded at the head of the caravan route leading to the interior of the Sudan and in a remote position in order to develop without much-danger of any interference from the north. The transference of leadership from Napata to Meroe later on was probably due to the stagnation of Ethiopia's political and economic relations with Egypt (35).

The Ethiopian kings were unable during their rule from the south, to suppress the mercenary lords of Lower Egypt who continued to rule. It was in the midst of these conflict that the Assyrians entered the Delta and subdued the country (670 B.B—662 B.C) in a period contemporary with the last yars of the Ethiopians.

IX. *The restoration* 663 *B.C* — 525 *B.C.*

This was the age of power in which the native party endeavoured to restore the old glories of the classic age before the Ramesside empire. Again the seat of power was in the Delta at Sais, the native town of Psamtik and his descedants (36). It became a great and splended city, adorned with temples and palaces, whilst Thebes no longer possessed either political or religious siginificance.

X. *The Persian conquest* 525 *B.C* — 332 *B.C.*

The kings, who depended upon Greek mercenaries for their rule, failed to save Egypt from the Persian conquest in 525 B.C. Egypt was left helpless by the conflicts of the preceding centuries. She lived for a time under the Persians and the Ptolemies, till she became the granary of Rome, when Alexandria flourished and the history of the ancient-capital of Egypt closed.

Conclusion

The site of the ancient capital of Egypt is determined by three factors, namely, the religious, military and political factors. The reli-

VII. *The Ramesside period (the foundation of Tanis)* 1350 *B. C* — 1150 *B. C*

After the recovery from the religious revolution Egypt was governed from the Delta by the Ramessides kings under whose rule Egypt possessed as much of an Asiatic empire as at any other period in her history (29). The capital during this time was Pir-Ramses or "House of Rames". Its location is not certain but it has been though be identical with Tanis. At the present time there is a controversy over where or not was Tanis was first a Hyksos fortress under the name of Avaris, and whether 'it later became the city of Ramses (30). Although the origns of the town are unknown, one thing is certain: Ramsis II. built a new town in the Eastern Delta on ground belonging to an estate of Amon-Re. This land could have been the "Field of Tanis" when the Theben kings drove out the Hyksos (31). Moreover, the site of the town must have been to the eastern frontier, for a poet of the time singing of its beauties refers to it as being between Egypt and Syria and at the same time being accessible to sea faring traffic (32).

Tanis flourished until the Roman time and contined to act as the seat of administration for the eastern nome in succesion to its role as royal residence. It continued also to demonstrate its military utilty in spite of the fact that the key position in the the defensive system of the Eastern Delta had been advanced to Pelusim at the mouth of the ancient Bubastite branch of the Nile (33).

VIII. *The decadent period (Egypt under foreign rule)* 1150 *B. C* — 662 *B. C*

Under a series of weak Ramessides, the country rapidly declined and power passed to the High Priest of Amon. Thus from the end of the XX. Dynasty until 945 B. C Egypt was governed from two separte capitals, Thebes in the south and Tanis in the north. The god Amon, who had been adopted at Tanis, was regarded as the possession of the Theben god and the political power of Thebes was repesented accordingly.

By the middle of the 10TH century B.C, the "chiefs of the Meshwesh" who were closely akin to those Libyans whom Merenptah and Rameses. III. had repelled with such difficulty, ruled Egypt from the Delta at Bubastis (Zagazig). Sheshonk I., a Libyan mercenary commander, gained the throne and became the founder of the Twenty-

unexpectedly out of the Eastern Delta and subdued the country by force without a battle (24).

Now "the land of Egypt came into the possession of the polluted and no lord became king" (25). The Hyksos made one of themselves king (Salatis) and he constructed a chief base at Avaris to the east of the arm of the Nile near Bubastis. He set up his capital there on the exreme east of the Delta and not at Memphis or any other central position in Egypt in order to be on a site close to the borders of Asia. He thought that the Assyrians who had then the greatest power might invade the Delta, so that he must choose his chief centre on the wadi Tumilat, the natural route from Asia. Another reason was that the Hyksos might from this centre rule their Asiatic dominons as well as Egypt (26). They also could retreat from this site, as they did later, to Palestine and Syria. All the Above mentioned probablities throw light upon how the Hyksos chose the site of their capital in the Eastern Delta in order to meet their political and military needs.

VI. *The New Kingdom (the Theben supermacy and the religious revolution* 1580t*B.C.* 1350 *B. C.*

For the third time the fate of Egypt was determined by the people of Upper Egypt. The Theben kings (Eighteen Dynasty) were able to liberate Egypt from the Hyksos' domination about 1580 B.C, and consequently Thebes became "paramount among the cities of Egypt, and Amon-Re, the principal deity at Karnak, at last vindicated his right to the title King of the Gods" (27)'. However, this supermacy did not continue during the reign of Amenophis. IV. (Akhanaton) 1377 B.C—1960 B.C who worshipped "Aton" (the sun). In 1370 B.C he founded a new town for his personal god Aton and removed his residence to it from Thebes or the city of the Brightness of Aton", as it was called during this time. This town, which was called Akhet-Aton "Horizen of Aton", is known in modern times as Tell El Amarna. He chose as its site a bay in the cliffs about three hundred miles to the north of Thebes. At this point ,the cliffs leave the Nile in a semi circle, retreat some three miles from the stream and return to it again after five miles. In this wide plain which is bounded on the west by the river and the other sides by the cliffs, Akhnaton built his capital which lasted as long as his heresy (28). So after twenty years at ,,Akhet-Aton" he transferred his court again to Thebes.

III. *The Old Kingdom and the first intermediate period* 2980 *B. C* 2160 *B. C.*

The importance of Memphis as a political and military centre, controlling the river and caravan routes, increased during the Old Kingdom. Thus it became the "chef lieu" of Egypt during the period 2895-2360 B.C. It should be noted that the kings of the first two Dynasties did not rule from Memphis but from their homeland, Upper Egypt, They kept only to Memphis the function of a fortress. Memphis became the administrative capital "par excellence" during this era, especially during the time of the 6th Dynasty. Traffic from all the branches of the Nile came to its port, to such an extent that the Treasury of Thebes found it was necessary to have an agency there (21). Moreover in the New Kingdom and in the later periods, until Alexandria was founded in 332 B.C, it continued to be the foremost city of Egypt and the stronoghold which all invaders, Ethiopians, Assyrians and Persians, had to capture before gainig any real mastery over Egypt. The city of Memphis covered, during its supermacy, an area about one and three quarter miles in length and three quarters of a mile in breadth (22). Stituated 17 miles south of Cairo it is now nothing but nearly flat land shaded by palm trees.

IV. *The Middle Kingdom and Thebes* 2160 *B.C* 1788 *B. C*

By the end of the intermediate period the unity of Egypt disappeared owing to the internal conflict between different rulers. In 2040 B.C. the Theben Menthuhotps restored the lost unity and from that date Thebes began to be the chief centre of the country. Very little is known of its early beginnings except that it was the capital of the 4TH nome of Upper Egypt. In antiquity Thebes was called the "Amon City" because Amon "King of the Gods" and throne there. Thebes replaced Memphis after the explusion of the Hyksos, as the great political and retligious centre, and soon became the capital of Egypt (23). After 664 B.C (the Assyrian invasion) Thebes declined and never recovered again. At the present time the remains of Thebes at Luxur include Deir El Bahari on the left bank of the Nile and Karnak on the opposite bank.

V. *The second intermediate period (the Hyksos invasion and the foundation of Avaris)* 1788 *B.C.* — 1580 *B. C.*

About 1675 B.C, before the end of the Thirteen Dynasty, the Hyksos poured into the Delta from Asia. These Asiatic invaders came

Gerezan's dwellings were larger than those of the Amratians, but still there is nothing which one can call, urban organization (9). The Maàdian culture was the latest in date among those of the predynastic period (3300BC.3200 B.C). It was less refined than both the Gerzean and the Amratian and looked as though it was directly connected with Mermide Beni-Salame (10).

II. *Early dynastic period* 3400 *B. C.* — 2980 *B. C.* (*the unification of Egypt and the foundation of Memphis.*)

During this period the earliest known division of Egypt into 'nomes' or provinces, took place, and the first 'chef lieu' flourished. In Lower Egypt, the Nile Nelta was divided up according to the physical structure of the land, into nomes on a much wider scale than Upper Egypt, the Nile Delta proper. In these nomes one cannot determine whether or not the people who cultivated the estates, especially in the Delta, gathered themselves into settlements in the manner of those who inhabited the predynastic settlements at Maadi (11), However, in each divison or nome there was a chief centre (town) which was shown in antiquity by the symbol [x].

At the beginning of this epoch the nomes were independent, but later on, two united Kingdoms appeared in Egypt, one in the Delta and the other in the Nile valley (12). The capital of the Kingdom of Lower Egypt was Buto whilst El Kab was the chief administrative centre of the southern Kingdom. Buto (modern Tell El Farain) was the old capital of the Kingdom of the West Delta (13). It was situated almost like an island amid the marshes of the north west-Delta. Such a site unsuitable to be a chief politicl centre because it was difficult of access. El Kab or Nekheb (Hieroconpolis) was situated in an arid and infertile area near the extreme limit of Upper Egypt. Like Buto, its site was far from being a permanent-royal residence or a centre of gravity to the other nomes, so that some writer have suggested that both cities may have become holy cities or places of pilgrimage (14).

With regard to the structure of these earlier capitals, it should be pointed out that in the southern capital, there was a royal residence across the Nile, called Nekhen, and corresponding to it the northern Kingdom was a suburb of Buto, called Pe (15).

THE ANCIENT CAPITALS OF EGYPT
(4241 B.C = 332 B.C)

By

Dr. YOUSRY EL GOWHARY

The purpose of this paper is to discuss the change in the site of the Egyptian capital between 4241 B.C-and 332 B.C. and to show how the religion, politics and foreign relations of the country influenced the removel from one place to another of the "chef lieu" of Egypt. The morphology of capital will not be discussed here according to the lack of data. In 4241 B.C. the calender was introduced to the Egyptian life, and this date may be considered the time from which one can trace the beginning of the Egyptian civilization (I) whilst the foundation of Alexandria in 332 B.C marked the beginning of the Greek and Roman period as well as reprsenting another phase in the history of the Egyptian capital. The period between 4241 B.C. and 332 B.C can be divided from a historical point of view into ten stages during which the site of the Egyptain capital changed many times.

I. Predynastic period before 3400 *B.C* (*the earliest settlements*).

There is very little to be said a bout the capital of Egypt during this period because we do not know whether the prehistoric Egyptians formed small communties or states (2). The earliest phase of Egyptian culture so far known is the Deir Tasa and the Badari in Upper Egypt and the MerimdeBeni Salama in the WestDelta. Although these sites represent the Egyptian Neolithic age (3), Baumagrtel pointed out that the Badarian site was not a regular settlement but something in the nature of a temporary encampment(4), whilst Alimen mentioned that some sort of urban orgainisation was evident at Mermide Beni-Salama station (5). Amratian (Nagada I), Gerzean (Nagada II), and Maadi were other cultural centres during the predynastic period. Like Badarian, the settlements of Amratian were small in size (6) and no plan of the village or town can be made out (7), -However, "from the importance of the Amratians' cemetery and from the position of its gods" some writers have concluded that Nagada played a dominant role and that it was a capital (8). The



FACULTY OF ARTS

THE ANCIENT CAPITALS OF EGYPT
(4241 B.C = 332 B.C)

By

Dr. YOUSRY EL GOWHARY

Reprinted from Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University — Vol. XIX, 1965.

ALEXANDRIA UNIVERSITY PRESS
1966

اسم موضوع البحث

عناصر الموضوع

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

المحتويات

alesha'a الإشعاع

مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع : المنتزة - أبراج مصر للتعمير رقم ١٤ ت ٥٤٧٥٤٩١

المطابع : المعمورة البلد - بحري - شارع ٢٦٨ ت ٥٦٠٠٤٧٩ اسكندرية